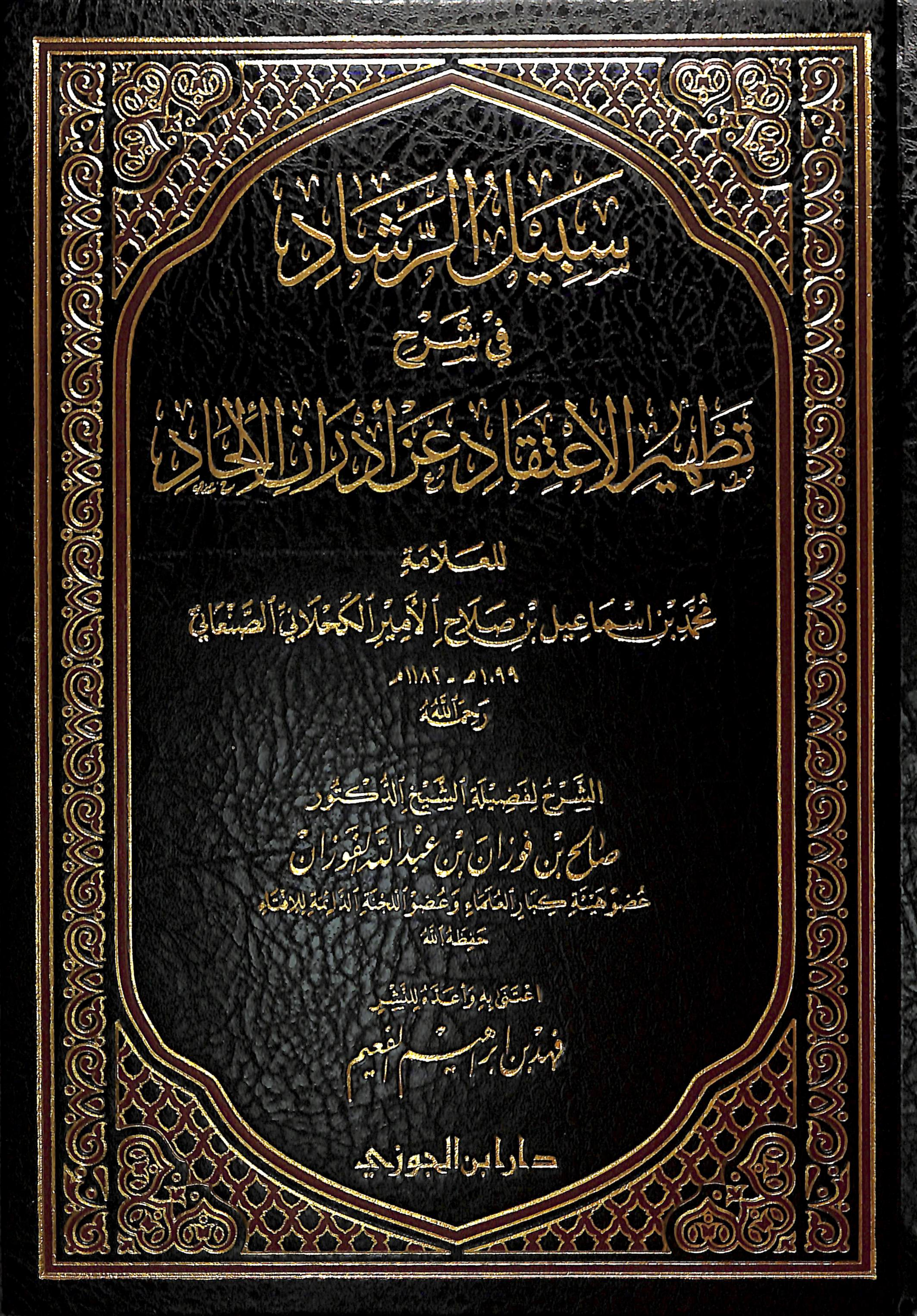
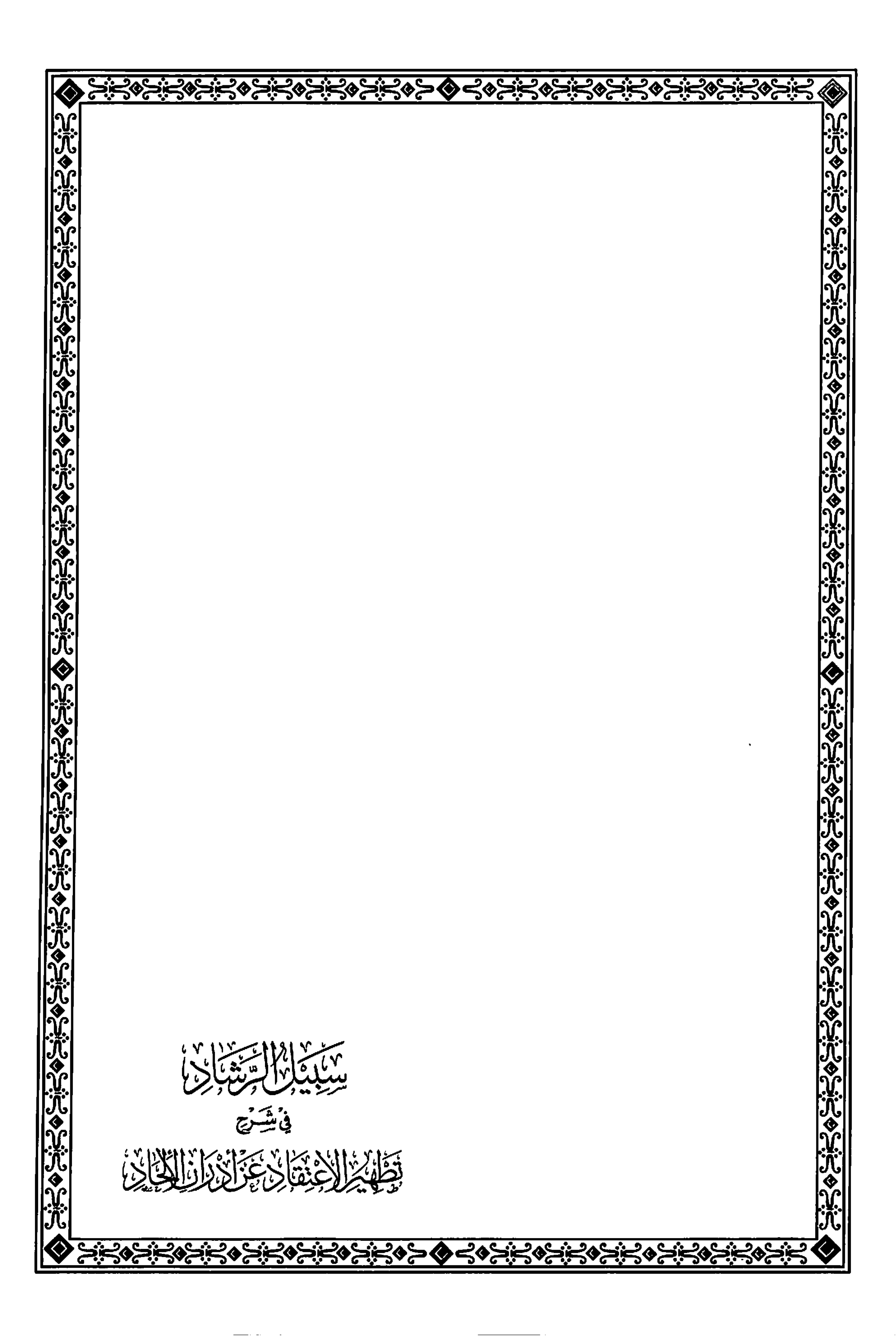

سبيل الرشاد
في شرح
تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد
للعلامة
محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني الصنعاني
١٠٩٩هـ - ١١٨٢هـ
رحمه الله
الشرح لفضيلة الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
حفظه الله
اعتنى به وأعده للنشر
فهد بن إبراهيم الفعيم
دار ابن الجوزي


سبيل الرشاد
في شرح
تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد



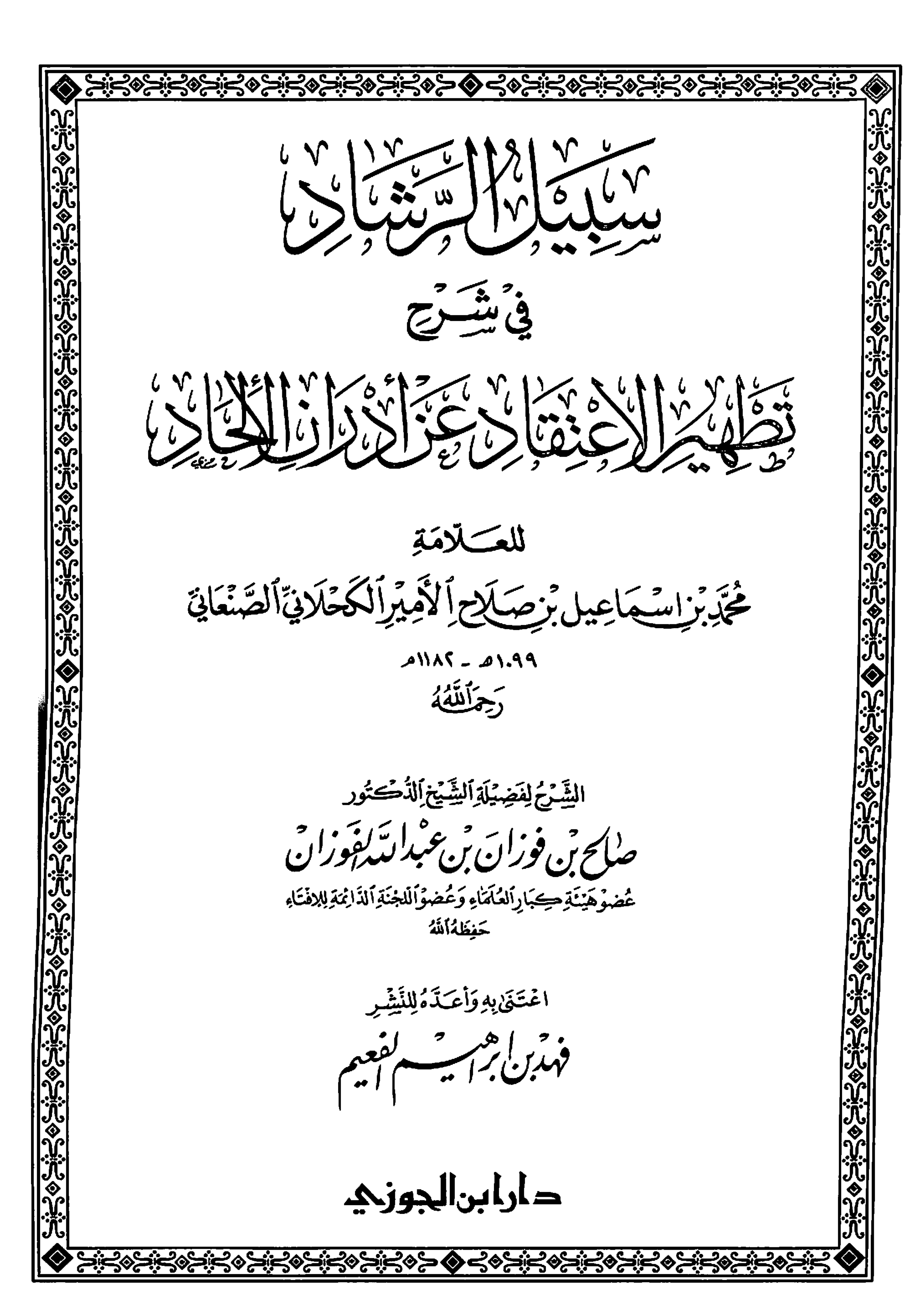
ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفوزان، صالح فوزان بن عبد الله
سبيل الرشاد شرح تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد. / صالح فوزان بن عبد الله الفوزان .- الدمام، ١٤٣٨هـ
٢١٦ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٣ - ٩٣ - ٨٠٦٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - الإلحاد والملحدون ٢ - العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن
أ. العنوان
ديوي ٢٤٩ ١٤٣٨/٥٨٤٠

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٥٧
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٣ - الرقم الإضافي: ٨٤٠٦ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨
جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ - الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت
هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨
تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:
aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com



سبيل الرشاد

في شرح

تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد

للعلامة

محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني الصنعاني

١٠٩٩هـ - ١١٨٢هـ

رحمه الله

الشرح لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

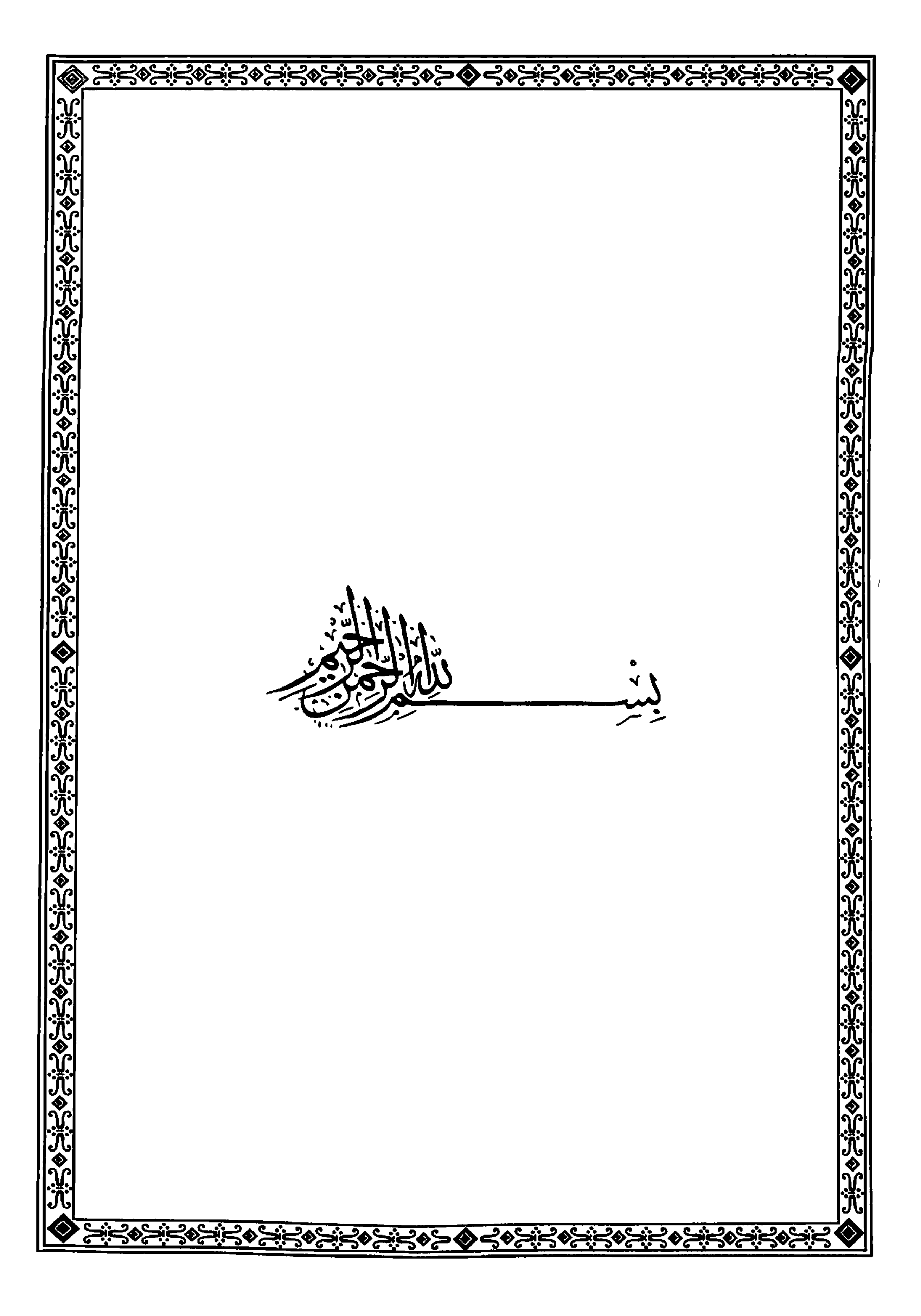
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

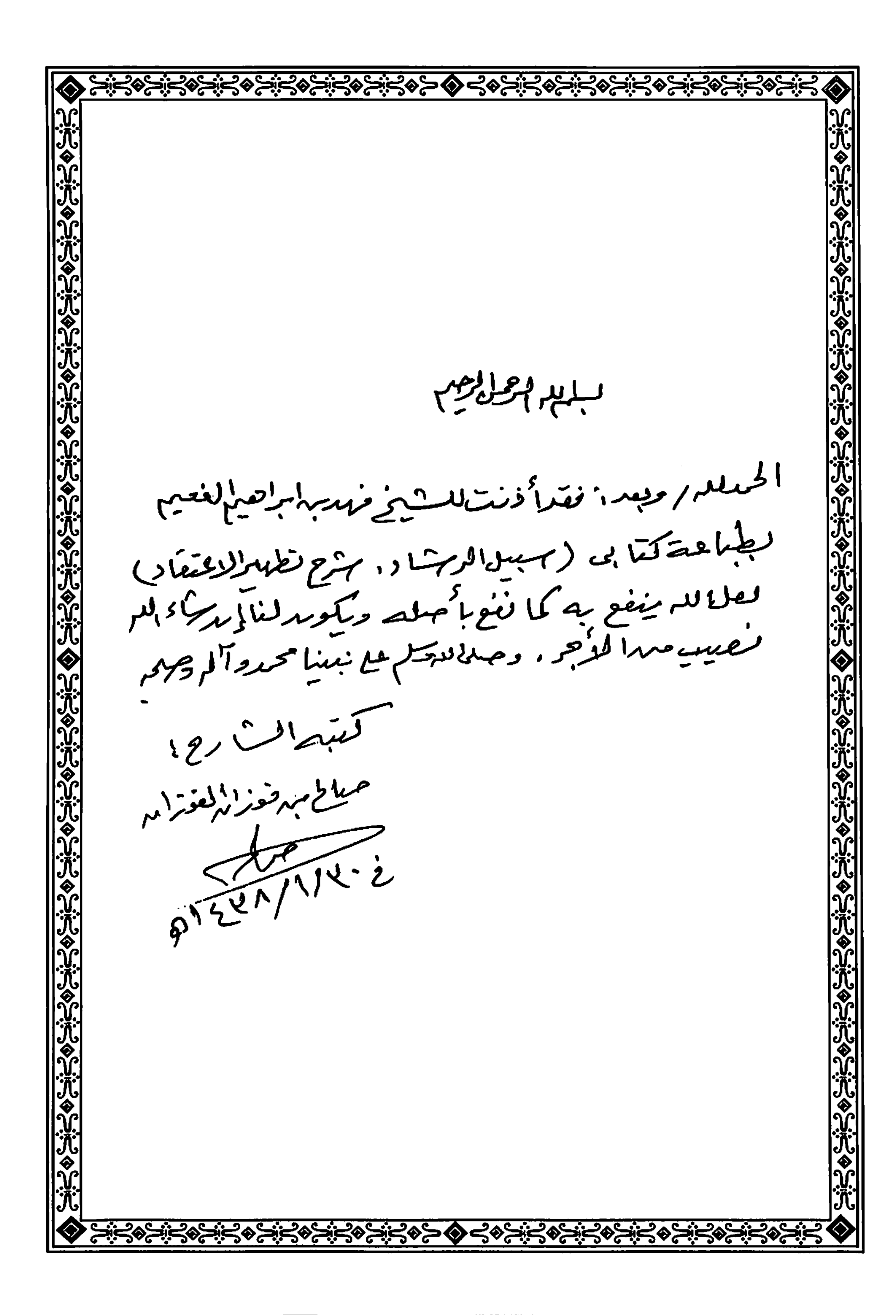
حفظه الله

اعتنى به وأعده للنشر

فهد بن إبراهيم الفعيم

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

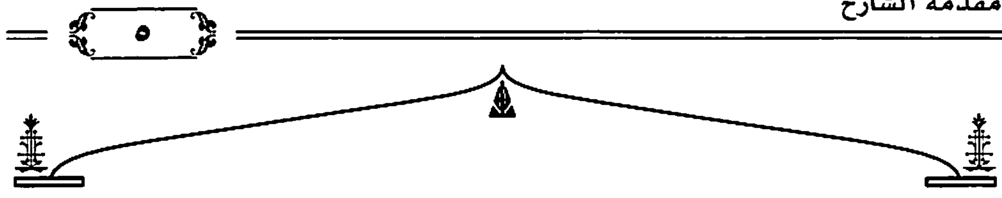
الحمد لله، وبعد: فقد أذنت للشيخ فهد بن إبراهيم الفعيم لطباعة كتابي (سبيل الرشاد، شرح تطهير الاعتقاد) لعل الله ينفع به كما نفع بأصله ويكون لنا إن شاء الله نصيب من الأجر. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه الشارح:

صالح بن فوزان الفوزان

في ٢٠/١/١٤٢٨هـ





مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

(تطهير الاعتقاد):

التطهير معناه: إزالة النجاسة عن الشيء؛ سواء كانت هذه النجاسة حسية كالبول والغائط وكباقي النجاسات، أو كانت معنوية كالشرك والبدع والمُحْدَثات؛ قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]؛ لأن المسجد الحرام مسجد التوحيد منذ أن بناه إبراهيم عليه السلام وأمره الله أن يطهره؛ قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ يطهره من النجاسة الحسية، ومن النجاسة المعنوية وهي الشرك، فالشرك نجاسة وهو أشد من النجاسة الحسية؛ فهو ينجس العقيدة وينجس صاحبها، فالمشرك نجس وعقيدته نجسة بالشرك، والشيخ رحمه الله اشتق هذا الاسم **(تطهير الاعتقاد)** من هذا المعنى.

(عن أدران الإلحاد):

(أدران): جمع درن وهو الوسخ.

(الإلحاد): هو الشرك والكفر بالله عز وجل، والإلحاد في اللغة معناه: الميل، والإلحاد في العقيدة: الميل بها عن الحق إلى الاعتقاد الباطل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]؛ أي:

يميلون بها عن طريق الحق بالتأويلات الباطلة وبالمعاني الفاسدة، ويحمِّلونها ما لا تحتمل، ويصرفونها عن الحق. منه الإلحاد في السماء والصفات، ومعناه: تأويل الأسماء والصفات عن معانيها الصحيحة إلى معانٍ غير صحيحة.

وهو متفاوت فبعضه أشد من بعض؛ فالذي لا يعتقد أن هناك إلهًا وربًّا ويضيف الأمور إلى الطبيعة فهذا ملحد أشد الإلحاد، والذي يؤمن بالله ولكن يعبد معه غيره، ويدعو معه غيره فهذا إلحادًا أيضًا في العبادة، وهذا هو الذي عناه الشيخ في هذا العنوان وهو الإلحاد في العقيدة. وكذلك سائر المعاصي هي نوع من الإلحاد، وميل عن الحق؛ فالإلحاد يتفاوت فبعضه أشد من بعض، وكله باطل.

والمؤلف هو الإمام الأمير الشيخ محمد بن إسماعيل الكحلاني اليمني، سُمي الأمير؛ لأنه من الأسرة الحاكمة باليمن. واليمن ـ كما هو معلوم ـ تكثر فيه عقيدة الزيدية، فيدرِّسون فقه الزيدية، وعقيدة الزيدية المتأخرة دخل عليها الاعتزال ـ وهو عقيدة المعتزلة ـ، لكن هناك فئة منَّ الله عليها بالبحث عن الحق، ومالوا إلى علم الحديث، واعتنوا به فنفعهم الله به، وعادوا إلى مذهب أهل السُّنَّة؛ لأن علم الحديث خير ونور وبرهان. من هؤلاء الإمام الصنعاني والإمام الشوكاني، وشيخهم ابن الوزير ـ رحمهم الله ـ، ومنهم المغربي صاحب (البدر التمام شرح بلوغ المرام).

فهؤلاء مَنَّ الله عليهم بعلم الحديث، ومحبة الحديث والإقبال عليه، فتركوا المذهب الزيدي، أو تركوا غالبه الذي ليس عليه دليل، وأخذوا بفقه الحديث وصاروا من المحدثين، وهذا شيء بارز في مؤلفاتهم رحمهم الله، وإن كان لا يخلو كلامهم في بعض الأحيان من أشياء لا ندري هل هم يجاملون فيها أم أنها باقية فيهم، ولكنها لا تضرهم، وهي أشياء بسيطة، وقد يُنتقدون فيها، وفكن فضائلهم وعلمهم وجهادهم وجهودهم تُشكر وتَغْمِر ما قد يحصل أو يقع من خطأ بسيط أو يسير.

ومن فضائل الإمام محمد بن إسماعيل أنه ناصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد نظم قصيدة معروفة في نصرة الشيخ ودعوته والثناء عليه يقول في أولها:

سلام على نجدٍ ومَنْ حَلَّ في نجدِ وإن كان تسليمي على البُعد لا يُجدي

إلى أن قال:

قِفي واسألي عن عالم حَلَّ سُوحَها به يهتدي مَنْ ضلَّ عن منهج الرشدِ

محمد الهادي لسُنة أحمد فيا حبذا الهاديويا حبذا المهدي

إلى أن قال:

فقد جاءت الأخبار ـ عنه ـ بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يُبدي

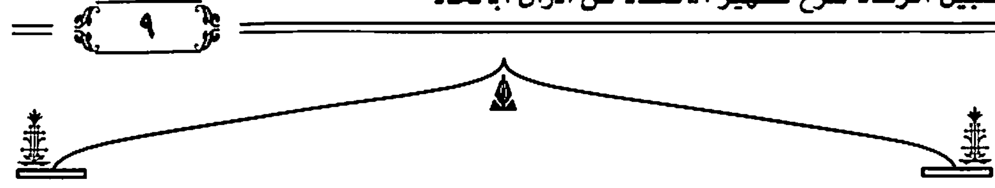
وهي قصيدة عظيمة قالها في الشيخ، إلا أنه كان في بلاد نجد من علماء الضلال مَنْ غاظهم هذا؛ لأنهم يعادون دعوة التوحيد، فغاظتهم هذه القصيدة وذهب منهم وفد إلى اليمن، منهم من يُدعى مربدًا التميمي وغيره، فنشروا عن الشيخ الأكاذيب هناك؛ فقالوا أنه يقتل المسلمين ويستحل دماءهم وأموالهم، ويكفِّر المسلمين... إلى غير ذلك، فلبَّسوا على الناس، حتى نظموا قصيدة على نمط قصيدة الصنعاني ونسبوها إليه، فقالوا في أولها:

رجعت عن القول الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

فقد جاءنا من أرضه الشيخ مِرْبد فأبدى لنا من حاله ما يبدي

إلى آخرها، ولكن الحق لا يخفى؛ فكلام الصنعاني واضح ليس فيه غموض، وينافي هذه القصيدة تمامًا ويناقضها وقد انبرى لهم الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالرد على هذه القصيدة نثرًا ونظمًا وبرَّأ الشيخ الصنعاني منها، وبرَّأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذه الشبهات والترهات، وسمى كتابه (تبرئة الشيخين الإمامين) يعني: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ الأمير محمد الصنعاني، وهو كتاب جيد أبطل الله به كيد هؤلاء وفضحهم، وبيَّن أباطيلهم، ونصر الله الحق ولله الحمد، وكذلك ردَّ الشيخ الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه القصيدة في كتابه (الدر النضيد)، فالحمد لله على نصرة الحق، ووضوح الحق، وإبطال الباطل.

وحتى لو سلَّمنا أن الصنعاني قال هذه القصيدة، فما الذي يضير دعوة الشيخ؟ فإن صح عن الصنعاني هذا فقد خُدع ولبِّس عليه، ولكن الشيخ دعوته واضحة ولا يضرها مثل هذا، فرد الله كيدهم في نحورهم؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢].



قال الإمام العلامة الحَبر الفهَّامة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني ـ رحمة الله تعالى عليه ـ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يُفردوه بتوحيد العبادة كلَّ الإفراد ....

۞ الشرح :

• **قوله**: (الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يُفردوه بتوحيد العبادة)؛ أي: لا يقبل توحيد الربوبية من العباد حتى يفردوه بتوحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية لم ينكره أحد؛ وهو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، فلا أحد ادَّعى أن هناك مَنْ يخلق مع الله، أو يدبر مع الله، لم يستطيعوا أن يقولوا هذا، ولكن الشرك وقع في توحيد الألوهية، فهم يقرون بتوحيد الربوبية، حتى المشركون الأولون يقرون بتوحيد الربوبية؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

ولكن الخلاف وقع في إفراد الله بالعبادة؛ فهم يقرون أنه الرب الخالق الرازق، لكن لا يفردونه بالعبادة، بل يَدْعون معه غيره من الأصنام والأشجار والأحجار والقبور؛ حتى مِنَ المنتسبين مَنْ يدعونها ويتقربون إليها، ويقولون: نحن نعترف أنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تنفع ولا تضر، ولكنْ هؤلاء رجال

....

صالحون نريد منهم أن يتوسطوا لنا ويشفعوا لنا عند الله لا نريد منهم إلَّا الشفاعة، زيَّنَ لهم شياطين الإنس والجن هذه الشُّبه، وهذا عين الذي قاله المشركون الأولون؛ قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [يونس: ١٨]، هذه شبهتهم، ولن تنفعهم هذ التَّرهات؛ فالدين لله ﷻ، والعبادة حق لله، لا يشاركه فيها أحد، والله لم يأمر عباده أن يتخذوا وسائط بينهم وبينه؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فلم يقل: ادعوني بواسطة فلان، أو بشفاعة فلان، بل قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وقـــــال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: يخصُّوني بالعبادة ولا يعبدوا معي غيري.

وفي القرآن يذكر الله ـ جلَّ وعلا ـ توحيد الربوبية الذي يقرون به؛ ليقيم عليهم الحجة على توحيد الألوهية الذي أنكروه؛ يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١]، هذا من باب الإلزام لهم؛ لأنهم يعترفون أنه لا يرزق ولا يخلق إلا الله، فهو يُلزمهم بهذا؛ فكيف تقرون أنه هو الذي يخلق ويرزق وأنه هو الرب، ومع هذا تعبدون معه غيره من مخلوقاته ممن هو مثلكم أو دونكم أو أقل منكم؟ هذا من انتكاس الفطر والعقول، فالله ـ جلَّ وعلا ـ يذكر توحيد الربوبية في آيات كثيرة ليقرر به توحيد الألوهية. ومن هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، فأنتم تعلمون أن هذه الأنداد لم تخلق السماوات ولا الأرض، ولا أنزلت المطر، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ

من اتخاذ الأنداد؛ فلا يتَّخذون له ندًّا، ولا يَدْعون معه أحدًا، ولا يتَّكلون إلَّا عليه، ....

ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ أي: آيات على وجوب عبادة الله ﷻ وحده. ثم قال بعدها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والقرآن مملوء بهذا، ولكن عَمِيَ عنه هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ وهم يقرؤونه ويحفظونه بالقراءات العشر والسبع، ولا يستفيدون منه في هذا الأصل العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأنهم صُرِفوا عنه، فهم يقرؤون حروفه ولا يقيمون حدوده.

• **قوله**: (**حتى يُفردوه بتوحيد العبادة كلَّ الإفراد**) فلا يقبل توحيد الربوبية من عباده حتى يُفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد؛ فلا يُدخلون معه غيرَه في العبادة، وإلا فإقرارهم بتوحيد الربوبية لا ينفعهم شيئًا، ولا ينقذهم من النار.

• **قوله**: (**مِن اتخاذ الأنداد**) وهم الشركاء، فليتنبه لهذا ويُعَلَّم للناس ويُبَيَّن لهم؛ فإن أكثر الناس غافلون مقلِّدون مطيعون لدعاة الضلال، الذين يريدون مصالحهم الدنيوية ومنافعهم، فلا بد لطلبة العلم أن يتنبهوا ويقوموا ويُبَصِّروا الناس بهذا الأمر ويشرحوه لهم بحكمة وموعظة حسنة؛ فإنه إذا حصل هذا اهتدى من يريد الله هدايته.

• **قوله**: (**فلا يتَّخذون له ندًّا**)؛ يعني: شريكًا.

• **قوله**: (**ولا يَدْعون معه أحدًا**)؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقوله: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي تعمُّ كلَّ أحد: الملائكة والرسل والصالحين...

• **قوله**: (**ولا يتَّكِلُون إلَّا عليه**)؛ يعني: لا يفوضون أمورهم إلا إلى الله، ولا يعتمدون إلَّا على الله؛ فلا يعتمدون على القبور والأضرحة والأشجار والأحجار، وأنها تقضي حوائجهم وتُفَرِّج كرباتهم.

ولا يَفزعون في كلِّ حال إلَّا إليه، ولا يَدْعُونه بغير أسمائه الحسنى، ولا يتوصَّلون إليه بالشفعاء؛ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،

• **قوله**: (ولا يَفزعون في كلِّ حال إلَّا إليه)؛ أي: عند الشدائد لا يلجؤون إلا إليه ﷻ قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، فلا تنقذهم هذه الأشياء إذا وقعوا في لُجَّة البحر وأشرفوا على الغرق والهلاك، وهم يعلمون أنه لا ينجيهم من هذا إلا الله، فيدعونه ويخلصون له الدعاء في هذه الحالة، فينجيهم الله ﷻ؛ لأنه غفور رحيم رؤوف بالعباد يجيب دعوة المضطر.

• **قوله**: (ولا يَدْعونه بغير أسمائه الحسنى)؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا من أسباب الإجابة، وهو إليه بأسمائه الحسنى؛ تقول: يا رحمٰن ارحمني، يا غفور اغفر لي، يا رزاق ارزقني... وهكذا؛ فلا يُدعى الله ﷻ إلَّا بأسمائه فلا يُدعى بفلان والولي الفلاني والشجرة الفلانية والقبر الفلاني، فلا يُتوسل إليه إلا بأسمائه، وبالأعمال الصالحة.

• **قوله**: (ولا يتوصَّلون إليه بالشفعاء)، كما يفعل المشركون؛ قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس: ١٨]، وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فهذه حجتهم؛ يقولون: نعلم أنهم لا يخلقون ولا يرزقون ولا يدبِّرون شيئًا من الكون، ولكنهم رجال صالحون، ونحن نريد منهم أن يقربونا إلى الله؛ مثلما يحصل عند ملوك الدنيا حينما يُتوسَّل إليهم بوزرائهم لقضاء حوائج المحتاجين، يقيسون الله على خلقه! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

• **وقوله تعالى**: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]،

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

هذا استفهام للنفي؛ فلا أحدَ يشفع عند الله إلا بإذنه، فالشفاعة لله؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فيُطلب من الله أن يُشَفِّع فيه الرسول ﷺ، أو أن يشفِّع فيه عباده الصالحين.

وللشفاعة شرطان:

الأول: أن تكون بإذن الله.

الثاني: أن تكون في أهل التوحيد الذين حصل عليهم بعض الذنوب، فالله - جل وعلا - يقبل فيهم الشفاعة في الدنيا والآخرة بهذين الشرطين، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، ذكر الله الشرطين في هذه الآية؛ حيث يأذن الله لمن يشاء بالشفاعة، ويرضى عن المشفوع فيه. أما المشرك أو الكافر فلا يقبل الله فيهم شفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، إنما الشفاعة في أهل التوحيد.

• **قوله تعالى**: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]، فالله لما ذكر مخلوقاته قال: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾: السمٰوات والأرض والجبال والبحار والآدميون والدواب وكل شيء، ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ هل خلقوا جبلًا، هل خلقوا شجرًا؟ أبدًا، فهم مخلوقون، وهذا تحدٍّ من الله ﷻ، فيقول: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠]، ما لهم شِرك في الخلق، فالخالق هو الله وحده، وهو الذي يجب أن يُعبد وحده.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ربًّا ومعبودًا، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، الذي أمره أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وكفى بالله شهيدًا، صلى الله عليه وعلى آله التابعين له في السلامة من العيوب، وتطهير القلوب عن اعتقاد كلِّ شيء يشوب.

❁ الشرح:

• **قوله**: (لا شريك له ربًّا ومعبودًا) هذا فيه توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

أمر الله نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالذين يقولون: إن الرسول ﷺ يفعل كل شيء، وأنه يُعطي وأنه تُطلب منه الحوائج، ويرفعون أصواتهم بالدعاء: يا رسول الله، يا رسول الله! أمر الله الرسول ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٣]، وهذا هو الذي يملكه الرسول ﷺ: البلاغ الذي أوحاه الله إليه، أما التصرُّف في الكون فهذا إلى الله ﷻ لا يشاركه فيه أحد، لا الرسل ولا الملائكة ولا غيرهم.

• **قوله**: (وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله)، فالنبي ﷺ عبد ورسول، وليس ربًّا ولا إلهًا.

• **قوله**: (وتطهير القلوب عن اعتقاد كلِّ شيء يشوب) أي: تطهير الاعتقاد، وهذا مضمون العنوان.

والصلاة على الرسول ﷺ معناها: طلب الثناء من الله عليه، ثم مِنْ بعد الرسول يُصلى على أصحابه، ويُدعى لهم بالصلاة عليهم بعد الرسول ﷺ.

وبعد:

فهذا (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) وجب عليَّ تأليفُه وتصنيفُه، وتعيَّن عليَّ ترصيفُه؛ لِمَا رأيتُه وعلمتُه يقينًا من عموم اتخاذ العباد الأندادَ ....

۞ الشرح:

• **قوله:** (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) هذا عنوان الكتاب كما ذكرنا آنفًا.

• **قوله:** (وجب عليَّ تأليفُه) فقد اعتبر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا واجب عليه، وهذا واجب العلماء جميعًا أنهم يبينون للناس الحق ولا يكتمونه، ويوضحونه لهم.

• **قوله:** (لِمَا رأيتُه وعلمتُه يقينًا من عموم اتخاذ العباد الأندادَ) هذا هو السبب في تأليفه هذه الرسالة، وهو ما رآه من الناس بعينه من الشرك، ممن ينتسبون إلى الإسلام وليسوا من المشركين بالأصل، وقد رأى منهم الشرك وهم ينتسبون إلى الإسلام ويقولون: لا إلٰه إلا الله، منه ما شاهده بعينه، ومنه ما بلغه عن الثقات في غير بلاده من بلاد الإسلام مما يقع فيها من الشرك؛ فلذلك قام بتأليف هذه الرسالة؛ نصحًا للعباد، وتوضيحًا للحق وردًّا للباطل، وهذا واجب العالِم، ما الفائدة من العالِم الذي يسكت؟ وجوده كعدمه، وجوده مثل الكتاب الذي على الرف، لا يُستفاد منه شيء إلا إذا استعمل. فالعالِم هذه وظيفته، والعلماء ورثة الأنبياء، وما وظيفة الأنبياء؟ وظيفة الأنبياء الدعوة إلى الله، ونشر التوحيد والنهي عن الشرك.

• **قوله:** (لِمَا رأيته وعلمته يقينًا) فقد رآه بعينه وشاهده، أو وصله خبر من غير بلاده من وقوع الشرك الأكبر المنافي للتوحيد. بلغه هذا ولا يزال واقعًا وموجودًا ومستمرًّا، ولكن مع هذا لا نيأس ولا نستسلم، بل يجب علينا أن نقوم بما نستطيع من مقاومة هذا الشرك وهذا الباطل، أما أننا نحثُّ الناس

في الأمصار والقرى وجميع البلاد، من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام.

وهو الاعتقاد في القبور، ....

على العبادة وعلى الصدق... إلى آخره، ولا نتكلم ولا نذكر التوحيد، فهذا خلاف دعوة الرسل؛ فالرسل أول ما يبدؤون بالتوحيد، ثم بعد ذلك إذا تقرر التوحيد وضَّحُوا بقية أحكام الشريعة، أما دون أن يقوم التوحيد فلا فائدة في الأعمال ولا في الأقوال بدون العقيدة الصحيحة؛ لأنها هي الأساس، ولا يسعُ العالم السكوتُ، إذا رأى أو بلغه ما عليه الناس من الشرك، ولن تبرأ ذمته وسيسأله الله يوم القيامة عن ذلك.

• **قوله**: (في الأمصار والقرى وجميع البلاد) أي: جميع البلاد واقع فيها هذا الشرك، فليس بخاص بقُطْر دون قُطْر، ولا ببلد دون بلد، بل منتشر ويحتاج إلى مقاومة، وإذا قام الحق اندحر الباطل ولو كان الباطل كثيرًا، مثل الشمس إذا طلعت على الضباب والظلام انجلى، فالحق إذا قام به أهله انقمع الباطل وانحسر.

• **قوله**: (من اليمن) وهي بلاده، سميت يمنًا لوقوعها يمين الكعبة.

• **قوله**: (والشام) سمي شامًا لوقوعه شأم الكعبة أي: يسارها.

• **قوله**: (ونجد وتهامة) هذه مقابلة؛ لأن (**النجد**) هو المرتفع، و(**التهامة**) هي المنخفض؛ يعني: أن هذا عام في جميع البقاع: من شام، ويمن ونجد، ولا يقصد بلاد نجد خاصة، نعم هي فيها شيء، ولكنه لم يقصدها خاصة، بل يقصد أنه انتشر في التهام وفي النجد يعني في المرتفعات.

• **قوله**: (وجميع ديار الإسلام) انتشر فيها هذا، لما انتشرت الصوفية، وانتشر التشيع، وجاؤوا معهم بهذه الفتن وجلبوها إلى بلاد المسلمين.

• **قوله**: (وهو الاعتقاد في القبور)؛ أي: في الأموات وأنهم ينفعون ويضرون؛ ولذلك فتنة القبور هي من أعظم الفتن ـ والعياذ بالله ـ تجد الناس

أو في الأحياء مِمَّن يدَّعي العلم بالمغيَّبات والمكاشفات، وهو من أهل الفجور، لا يَحضر للمسلمين مسجدًا، ....

يفتتنون بالقبور، حتى إن المسجد الذي ليس فيه قبر لا يذهبون إليه، وليس له قيمة عندهم، لا يحنون ولا يذهبون إلا إلى المساجد التي على القبور، وهذه فتنة، والعياذ بالله.

• **قوله**: (أو في الأحياء)؛ أي: أو يعتقدون في الأحياء من الطواغيت، وشيوخ الصوفية والمخرفين والمشعوذين والسحرة والكهان، يعتقدون فيهم أنهم أولياء، فيتقربون إليهم ويعظمونهم؛ فهم فتنوا بالأحياء من هؤلاء وبالأموات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• **قوله**: (مِمَّن يدَّعي العلم بالمغيَّبات والمكاشفات)، وهم الكهان ومَنْ يدّعون الشعوذة وهم لا يعلمون شيئًا، ولكن الجن والشياطين تأتيهم بالأخبار فيخبرون الناس به ويدعون أن هذه كرامة من الله؛ فيظن الناس أنهم يعلمون الغيب فيعظمونهم ويعبدونهم ويتقربون إليهم ويرجونهم ويخافون منهم وهم خدم للشيطان، فما يخبرون به إنما هو مما تلقوه عن الشياطين قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣] هذه المصيبة والفتنة، ويقولون: إن هؤلاء أولياء الله، وأنه فلان جرى على يده الكرامة، وفلان خارق للعادة... وهذا يمشي على البحر، وهذا يمشي على النار ولا تضره! وهو في الحقيقة يحمله الشيطان فوق البحر وفوق النار، والشياطين تحمله؛ لأنه تقرب إليهم وعبدهم.

• **قوله**: (وهو من أهل الفجور لا يحضر للمسلمين مسجدًا)، هذه علامته فهو من أهل الفجور، يقول: أنا لست بحاجة للعبادة أنا وصلت إلى الله، العبادة للعوام، أما أنا فقد وصلت ولا أحتاج إلى العبادة! فيزيد تعظيمهم عند الجهال، إذا رآه لا يصلي قال: هذا وليٌّ وليس بحاجة إلى الصلاة فقد وصل إلى الله.

ولا يُرَى الله راكعًا ولا ساجدًا، ولا يَعرف السُّنَّة ولا الكتاب، ولا يَهاب البعثَ ولا الحساب.

فوجب عليَّ أن أُنْكر ما أوجب الله إنكارَه، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره.

انظر إلى الشيطان كيف يتلاعب ببني آدم؛ فهؤلاء محفوظ عنهم أنهم لا يُشَاهدون في المساجد ولا يحضرونها، بل ربما يبولون فيها؛ لأن الشيطان يأمرهم بهذا، فيعتقدون فيهم أنهم أولياء لله وهم أولياء للشيطان، وهناك قصص في هذا ذكرت في (الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولابن القيم في (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان).

• **قوله:** (**ولا يُرَى لله راكعًا ولا ساجدًا**)، لأنه ـ بزعمه ـ لا يحتاج إلى الصلاة ولا إلى الركوع ولا إلى السجود، ولا يحتاج إلى الذهاب إلى المساجد؛ لأنه وصل إلى الله، يقولون: هو لا يصلي معنا لأنه راحل إلى مكة، يصلي في الحرم، وهو نائم في بيته؛ لأن الكرامة تحمله ويذهب بلا سيارة وبلا طائرة وبلا أي شيء، يروح ويأتي في لحظات!.

• **قوله:** (**ولا يَعرف السُّنَّة ولا الكتاب**)، السُّنَّة: هي طريقة الرسول ﷺ، والكتاب هو القرآن، فهو ليس بحاجة إليهما، لست بحاجة إليهما هذه للعوام، الذين لم يَصِلوا ولم يعرفوا؛ ولذلك يسمونه العارف بالله!.

• **قوله:** (**ولا يَهاب البعثَ ولا الحساب**)؛ أي: لا يؤمن بالبعث ولا الحساب، ولا يراقب الله ﷻ.

• **قوله:** (**فوجب عليَّ أن أنكر ما أوجب الله إنكارَه، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره**)؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

....

ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فالواجب على العالِم أن لا ينام ويسكت ويتغافل، بل الواجب أن يقوم لله ﷻ بما أوجبه الله عليه ولا سيما إذا كثر الشرك والمنكرات.

فاعلم أنَّ ههنا أصولًا هي من قواعد الدِّين، ومِن أهم ما تجب معرفته على الموحِّدين:

الأصل الأول:

أنَّه قد عُلم من ضرورة الدِّين أنَّ كلَّ ما في القرآن فهو حقٌّ لا باطل، وصِدْقٌ لا كذب، وهُدًى لا ضلالة، وعلمٌ لا جهالة، ويقينٌ لا شك فيه.

❁ الشرح:

هذه الأصول التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي القواعد التي تُبنى عليها عقيدة التوحيد؛ فليتنبه لها.

• **قوله:** (الأصل الأول...) أن نعلم ونعتقد أن كل ما في القرآن فهو حق لا ضلالة، وعلم لا جهالة، وهذا فيه رد على الذين يشككون في أدلة القرآن، ويقولون: إنها ظنية، وأن الأدلة العقلية هي الأدلة اليقينية، فإذا تعارض العقل والنقل، فإنه يُقدم العقل عندهم؛ لأن العقل دليل يقيني، وقطعي عندهم، وأما القرآن فإنه دليل ظني. وهذا عكس الحقيقة؛ فالحقيقة أن أدلة القرآن قطعية لا شك فيها، وأن أدلة العقل هي الظنية؛ لأنها نحاتة العقول وأفكار الرجال، وأما القرآن فهو تنزيل من حكيم حميد؛ قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

والواقع ـ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح أبدًا[1]. فالعقل الصريح الذي ليس فيه خلل لا يخالف النقل الصحيح الثابت، فإن تعارضا فلا بدَّ أن النقل غير صريح، وإما أن العقل غير صحيح، أما إذا توفر الشرطان: العقل الصريح والنقل الصحيح فلا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٥).

فهذا الأصل لا يتمُّ إسلامُ أحد ولا إيمانه إلَّا بالإقرار بهذا الأصل، وهذا أمر مُجمعٌ عليه لا خلاف فيه.

يتعارضان أبدًا، فقاعدتهم السابقة باطلة، وقد ألّف شيخ الإسلام في هذا مؤلفًا كبيرًا اسمه (درء تعارض العقل والنقل) وهو مطبوع ـ والحمد لله ـ ويختصرون العنوان ويقولون: (العقل والنقل)، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... ما في الوجود له نظير ثان

يعني: ليس له نظير في هذا الباب؛ لأنه أفحم المتكلمين ورد شبههم وفنَّدها، وبيَّن أن القرآن لا يتطرق إليه شك أو احتمال أبدًا، وقول ابن القيم: **(ما في الوجود له نظير ثان)** يعني: ليس له من مؤلفات العلماء نظير؛ لأنه قطع ظهور هؤلاء وأفحمهم ورد شبهاتهم.

• **قوله:** (فهذا الأصل لا يتمُّ إسلامُ أحد ولا إيمانه إلَّا بالإقرار بهذا الأصل)، فلا يتم إيمان أحد حتى يقرَّ بهذا الأصل، وهو القرآن الذي لا شك فيه وفي دلالته، وأن ما خالفه فهو محل شكٍّ.

• **قوله:** (وهذا أمر مُجمعٌ عليه لا خلاف فيه) مجمع عليه عند علماء الإسلام؛ لا خلاف فيه بينهم، هذا الأصل الأول.

الأصل الثاني:

أنَّ رسلَ الله وأنبياءه ـ من أوّلهم إلى آخرهم ـ بُعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، ....

۞ الشرح:

• **قوله: (الأصل الثاني: أن رسل الله وأنبياءه ـ من أولهم إلى آخرهم ـ بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة)** وهو توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فالعالم مُقِرُّون به لا يختلفون فيه؛ لأن الفطرة تقتضيه، فلم يقع خلاف في توحيد الربوبية، بينما وقع الخلاف بين الرسل وبين الكفار والمشركين هو في توحيد الألوهية؛ فكل رسول أول ما يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]؛ فكل رسول يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك، فهذا أصل لا شك فيه وهو واضح في القرآن في آيات كثيرة.

أما توحيد الربوبية فالناس مُقِرُّون به، والنبي ﷺ قاتل المشركين وهم يُقِرُّون بتوحيد الربوبية؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١] لكنه قاتلهم لجحدهم توحيد العبادة وهو توحيد الإلوهية.

لكن علماء الكلام ومن يسير على نهجهم الآن يقولون: الرسل يدعون إلى توحيد الربوبية، يردون على الملاحدة، وأنتم كذلك ردوا على الملاحدة الذين يجحدون الرب! أما توحيد الألوهية فهذا لا تذكرونه ولا تتعرضون له، لا تفرقوا بين الناس؟ اتركوا كلًّا على ما هو عليه!.

....

وهذا الكلام غش للأمة، وغش للمسلمين، وغش للإنسانية، وهم يدندنون به؛ ولذلك لا تجدهم يهتمون بتوحيد الألوهية، تجد كتبهم ومحاضراتهم وجميع جهودهم كلها في الرد على الملاحدة، ومطالبتهم إياهم أن يُقِرُّوا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر! . كل عقائد علماء الكلام على هذا الأساس، وكتبهم موجودة، وليس فيها ذكر لتوحيد الألوهية وإنما هي تركز على توحيد الربوبية، وهي شيء قد أقر به كل الخلق، حتى إبليس قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، حلف بعزة الله، فإبليس مقر بهذا، وجميع المشركين مقرون بهذا، إذًا لا فائدة من بعثة الرسل، ولا فائدة من إنزال الكتب، فيجب معرفة هذا الشيء؛ فهذا الذي عطَّلوا به دعوة الرسل، ولا تجدهم يدعون إلى التوحيد، بل يدعون إلى الصدق، وإلى الأمانة، ويدعون إلى مكارم الأخلاق. . . إلى آخره، وينهون عن الربا، وعن الفواحش.

وكل هذا ضروري بلا شك لكن بعد التوحيد، وبعد الأساس، فلا بدَّ في أول الأمر من تصحيح الأساس، ثم بعد ذلك تبنى عليه الدعوة، أما بدون أساس فما الفائدة إذا ترك الناس الخمر والزنا، تركوا الربا، تركوا جميع المعاصي، ولكنهم يَدْعون غير الله، ويعبدون غير الله؟ فلا فائدة لأنهم كفار، ملحدون، هم تَبَعٌ لأبي لهب وأبي جهل وعلى دينهم؛ لأن أبا جهل وأبا جهل وأبا لهب وسائر المشركين مقرون بتوحيد الربوبية.

يجب أن يتنبه لهذا الأمر؛ فدعوتهم الآن في الغالب قائمة على مذهب المعتزلة، أو على مذهب علماء الكلام، وكتبهم كلها مشحونة بالأدلة على توحيد الربوبية؛ كـ (الإرشاد) للجويني، ومنظومة (جوهرة التوحيد) عند الأشاعرة كلها عن توحيد الربوبية، لا تجد فيها ذكرًا لتوحيد الألوهية.

• **قوله**: (بتوحيد العبادة)؛ أي: توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فلا يُدْخِل في الإسلام.

فكلُّ رسول أوَّل ما يَقرَع به أسماعَ قومِه قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [هود: ٢]، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: ٣]، وهذا هو الذي تضمَّنه قول: (لا إله إلا الله).

فإنَّما دَعَت الرسلُ أمَمَها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجرَّد قولها باللسان. ....

• **قوله**: (فكلُّ رسول أوَّل ما يَقرَع به أسماعَ قومِه قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾)، قالها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، جميع الأنبياء، أول ما يقوله الرسول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، ولم يقولوا: أقروا واعترفوا بأن الله هو الرب؛ لأنهم مقرون بأن الله هو الرب، ولكن يقولون: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ قال نوح عليه السلام وهو أول الرسل لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: ٢، ٣].

فلا يستحق العبادة إلا هو ﷻ، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ أي: حكم وأمر ووصَّى، وهذا قضاء شرعي، وليس قضاءً قدريًّا.

• **قوله**: (**وهذا هو الذي تضمَّنه قول: لا إله إلا الله**)؛ أي: هذا هو معنى (لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله؛ لأن الإله معناه المعبود، والألوهية معناها العبودية، من أله يأله إذا أحب، والمحبة هي العبودية، هذا معنى (لا إله إلا الله) أما هؤلاء هم فيقولون معنى (لا إله إلا الله)؛ أي: لا ربَّ إلا الله، وهذا كلٌّ يقوله، حتى المشركون يقولون: لا ربَّ إلا الله.

• **قوله**: (**فإنَّما دَعَت الرسلُ أمَمَها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان**)، ليس قولها باللسان فقط هو المطلوب، بل يجب اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، لا بدَّ مِنَ التلفظ بها، واعتقاد معناها بالقلب

ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لِمِ ما يُعبد من دونه والبراءة منه.

والعمل بها، وأما مجرد اللفظ فلا ينفع، فمن اعتقد أن لا إلٰه إلا الله، ولكن أَبَى أن ينطق بها؛ فهذا ليس بمسلم، قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[1]، فلا بدَّ أن ينطق بها. هذا أولًا. وثانيًا: لا بدَّ أن يعتقد معناها وإلا يكون منافقًا، فالمنافقون يقولون: لا إلٰه إلا الله، وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لا يعتقدون معناها.

وثالثًا: لا بدَّ من العمل بمقتضاها؛ فبعد النطق والاعتقاد لا بدَّ من العمل بمقتضاها، وهو إفراد الله ـ جلَّ وعلا ـ بالعبادة وترك عبادة ما سواه، فليست (لا إلٰه إلا الله) مجردَ لفظ يُقال باللسان.

• **قوله**: (**ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة**)، هذا معناها، وليس المعنى إفرادَ الله بالربوبية كما يقوله علماء الكلام ومن سار على نهجهم حيث يقولون: (لا إلٰه إلا الله) يعني: لا قادر على الاختراع إلا الله، وهذا توحيد الربوبية.

• **قوله**: (**والنفي لِمَا يُعبد من دونه والبراءة منه**)، لا تكفي عبادة الله بدون البراءة من عبادة ما سواه، فلا يكفي أن لا يعبد الإنسان إلا الله، ومع ذلك لا يتبرأ مما يُعبد سواه، وكذا لا يتبرأ من المشركين، فهذا لا يكفي؛ إنما لا بدَّ أن يتبرأ من المشركين ومما يعبدون من دون الله قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

فـ (لا إلٰه إلا الله) لها ركنان: النفي والإثبات، النفي لجميع ما يُعبد من دون الله، والإثبات لعبادة الله وأنه لا شريك له.

• **قوله**: (**والبراءة منه**)؛ أي: البراءة من كلِّما ما يُعبد من دون الله، فلا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٢.

وهذا الأصل لا مِرْيَة فيما تضمَّنه، ولا شكَّ فيه، وأنَّه لا يتم إيمانُ أحد حتى يعلمه ويحققه.

تقل: اترك الناس على ما هم عليه كلًّا له دينه، وكلٌّ له قناعته! فهذا إلحاد وكفر والعياذ بالله، وهذا يخالف دعوة الرسل، ويجعل الرسل مخطئين حيث أنهم يتعرضون لعقائد الناس ويأمرونهم بإفراد الله بالعبادة، وأول ما يبدؤون بالتوحيد!

- **قوله**: (وهذا الأصل لا مرية فيما تضمَّنه، ولا شكَّ فيه)، فهذا أصل عظيم إذا فهمته.
- **قوله**: (وأنَّه لا يتم إيمانُ أحد حتى يعلمه ويحققه)؛ لأنه إذا لم يعلمه يقع فيما يخالفه، فمن جهل الشيء فإنه يقع فيه، وكما يقال:

تعلمتُ الشر لا للشرِ ولكن لتوقيه ... ومَنْ لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

الأصل الثالث:

أنَّ التوحيد قسمان:

الشرح:

• **قوله:** (أنَّ التوحيد قسمان)؛ التوحيد على سبيل الإجمال قسمان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ لأن توحيد الأسماء والصفات يدخل في توحيد الربوبية؛ ولذلك صار التوحيد على سبيل الإجمال قسمين، أما على سبيل التفصيل فهو ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وذلك لمَّا كثر الإلحاد في الأسماء والصفات من الجهمية والمعتزلة وممن يجحدون الصفات ويؤولونها، احتاج إلى أن يُفرد بقسم مستقلٍّ عن توحيد الربوبية، فصار توحيد الأسماء والصفات قسمًا مستقلًا.

ومن جُهّال الناس والكُتاب من يقول: إن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام تثليث، وهذه عقيدة المُثَلِّثة؛ يعني تشبه عقيدة النصارى، فالتوحيد قسم واحد - هكذا قالوا - وهو توحيد الربوبية فقط ويرددون هذا ويكتبونه؛ أن التوحيد قسم واحد وتقسيمه إلى ثلاثة أقسام تثليث!.

ومنهم من يزيد على الثلاثة، ويقول: التوحيد أربعة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الاتباع؛ أي: الاتباع للرسول ﷺ.

ومنهم من يقول: توحيد الألوهية معناه أن لا حاكم إلا الله، ويسمونه توحيد الحاكمية، مع أن الحاكمية داخلة في توحيد الألوهية، ولا تحتاج أن تُفْرَد بقسم مستقل، وهذه أقوال مخترعة جديدة لا يعوَّل عليها، بل التوحيد ثلاثة أنواع على سبيل التفصيل:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وقسمان على سبيل الإجمال إذا اعتبرنا توحيد الأسماء والصفات داخلًا في توحيد الربوبية.

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرَّازقية ونحوها، ومعناه: أنَّ الله وحده هو الخالق للعالَم، وهو الرَّبُّ لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكًا، بل هم مُقِرُّون به، كما سيأتي في الأصل الرابع.

والذي يخالف توحيد الاتباع، لا يقال له: أنه مشرك، بل يقال له: مبتدع؛ فالذي لا يتبع الرسول ﷺ ويُحدث شيئًا من العبادات مبتدع، ولا يقال له: مشرك، أما من خالف توحيد الألوهية فهذا يقال له: مشرك.

• **قوله:** (**القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرَّازقية ونحوها**)؛ بأن تؤمن أنه لا رب للعالم إلا الله، وهو رب العالمين؛ أي: خالقهم، ورازقهم، ومدبر أمورهم، (**والرَّازقية**) هو الرازق وحده.

• **قوله:** (**ومعناه: أنَّ الله وحده هو الخالق للعالَم، وهو الرَّبُّ لهم والرازق لهم**)، هذا بلا شك، ولا يجحد هذا أحد ولا ينكره أحد، ولهذا قال: (**وهذا لا ينكره المشركون**)، وهو مذكور في القرآن.

• **قوله:** (**ولا يجعلون لله فيه شريكًا، بل هم مُقِرُّون به**)، فهم مقرون بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الكون إلا الله، وإنما اتخذوا ما اتخذوا من المعبودات بزعمهم أنها تقربهم إلى الله، وأنها تشفع لهم عند الله، وإلا فإنهم لا يعتقدون فيهم النفع والضر، وإنما يعتقدون فيهم الشفاعة والتقريب لهم عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هذا باعترافهم، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]؛ أي: لا نعبدهم لأنهم يرزقون ويخلقون ويدبرون ولكن ليقربونا إلى الله ونتوسل بهم إليه.

والقسم الثاني: توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يُشعر بالإقرار بالله تعالى.

فالرسل ﷺ بُعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثاني،

❁ الشرح:

◦ **قوله**: (إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات)؛ لأن العبادات أنواع كثيرة كما سيأتي، فلا يفرده في نوع دون نوع.

◦ **قوله**: (فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء)؛ أي: توحيد الألوهية، فعبدوا الأصنام والأحجار والأشجار والملائكة والأنبياء والصالحين، جعلوهم شركاء لله في العبادة.

◦ **قوله**: (ولفظ الشريك يُشعر بالإقرار بالله تعالى) فالمشركون يقرون بالله ﷻ، ولكن يشركون معه في العبادة غيره، يقرون بتوحيد الربوبية ويشركون في توحيد الألوهية. أما الملاحدة ـ وهم قلة ـ فهم يجحدون الرب ﷻ، ويقولون: الحوادث نتيجة للطبيعة، فليس هناك ربٌّ يخلق ويدبر؛ وهذا الكلام لا يقوله عاقل أبدًا، وإنما يتظاهر به بعض المكابرين والمستكبرين مثل فرعون والنمرود.

• **قوله**: (فالرسل ﷺ بُعثوا لتقرير الأول) الذي هو توحيد الربوبية الموجود عند كل الناس، والغرض من تقريره الاستدلال به على توحيد الألوهية، فتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية؛ فإذا كان لا يخلق ولا يدبر ولا يرزق إلا الله؛ فإنه يجب أن لا يُعبد إلا الله ﷻ، فكيف يعبد مَنْ لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر شيئًا؟! ولذلك قالوا: توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ لأن الدلالات ثلاث: دلالة مطابقة، ودلالة تَضَمُّن، ودلالة التزام.

مثل قولهم في خطاب المشركين: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [فاطر: ٣]، وتنهاهم عن شرك العبادة؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]؛ أي: قائلين لأممهم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، فأفاد بقوله: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٖ﴾ أنَّ جميع الأمم لم يرسل إليهم الرسل ولم تُبعث إليهم إلَّا لطلب توحيد العبادة، لا للتَعرُّف بأنَّ الله هو الخالق للعالَم، وأنَّه ربُّ السموات والأرض، فإنَّهم مقرُّون بهذا.

• **قوله:** (مثل قولهم في خطاب المشركين: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ...﴾)، قالت الرسل في خطابهم للمشركين: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ...﴾ وهذا من باب النفي؛ فلا أحد يشكُّ في الله ﷻ؛ ولكن الرسل يريدون أن يلزموهم بتوحيد الألوهية.

• **قوله تعالى:** ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ هذا استفهام إنكار؛ فليس هناك مَنْ يقول: إن هناك خالقًا غير الله، وهذا إلزام لهم.

• **قوله:** (وتنهاهم عن شرك العبادة)، هذا الذي جاءت الرسل بالأمر به والنهي عن ضده، وهو توحيد العبادة.

• **قوله:** (فأفاد بقوله: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٖ﴾ أنَّ جميع الأمم لم يرسل إليهم الرسل ولم تُبعث إليهم إلَّا لطلب توحيد العبادة)، هذا شيءٌ مُسَلَّم ومعروف، ولا يكابر فيه إلا معاند.

• **قوله:** (لا للتعرُّف بأنَّ الله هو الخالق للعالَم)؛ أي: ما جاءت لتعريف هذا؛ لأنهم يعرفون هذا، هل تُعرِّفهم شيئًا يقرون به؟.

• **قوله:** (فإنَّهم مقرُّون بهذا) بكلامهم ونطقهم وشهادة القرآن عليهم.

ولهذا لم ترد الآيات - في الغالب - إلَّا بصيغة استفهام التقرير، نحو: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؟ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]؟ ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]؟ ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]؟ ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]؟ ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠]؟ استفهام تقرير لهم؛ لأنهم به مقرُّون.

وبهذا تعرف أنَّ المشركين لم يتخذوا الأوثان والأصنام ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمَّه، ولم يتخذوا الملائكة شركاءَ لله تعالى، لأجل أنَّهم أشركوهم في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم؛

❁ الشرح:

• **قوله: (إلَّا بصيغة استفهام التقرير)**؛ يعني: ليس استفهامَ استخبارٍ وإنما هو تقرير وإثبات لما يقولون وإلزام لهم به.

ولما ذكر أن الله خلق السمٰوات والأرض، قال: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرُونِي﴾ هذا تحدٍّ لهم، ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾؛ أي: الذين تعبدونهم أروني شيئًا خلقوه.

• **قوله: (استفهام تقرير لهم؛ لأنهم به مقرُّون)** فهو إلزام لهم؛ لأنهم مقرون به: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، فاستدل عليهم بالعقل والنقل.

• **قوله: (وبهذا تعرف أنَّ المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمَّه، ولم يتخذوا الملائكة شركاءَ لله تعالى، لأجل أنَّهم أشركوهم في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم)**؛ أي: لم

بل اتخذوهم لأنَّهم يقرِّبونهم إلى الله زلفى، كما قالوه، فهم مقرُّون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم، وأنَّهم شفعاء عند الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، ....

يتخذوهم شركاء لله في توحيد الربوبية، وإنما اتخذوهم شركاء لله في توحيد الألوهية.

• **قوله**: (**بل اتخذوهم لأنَّهم يقرِّبونهم إلى الله زلفى، كما قالوه**)؛ قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، اعترفوا أنهم يعبدونهم لكن لأي شيء؟ ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وليس لأنهم يخلقون ويرزقون ويدبرون الكون، وكذلك حال عبَّاد القبور اليوم إذا سألت أي واحد منهم يقول: أنا أعلم أنهم لا يخلقون ولا يرزقون ولكن هؤلاء صالحون وأريد أن يشفعوا لي عند الله!.

• **قوله**: (**فهم مقرُّون بالله في نفس كلمات كفرهم**)؛ مقرون بالله في توحيد الربوبية.

• **قوله**: (**وأنَّهم شفعاء عند الله**)؛ إنما اتخذوهم لأنهم يعتقدون فيهم الشفاعة فقط، يعتقدون فيهم الوساطة بينهم وبين الله لقضاء حوائجهم، وكأن الله لا يقضي حوائج عباده إلا بواسطة تعالى الله عن ذلك.

• **قوله** (**قال الله تعالى**: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾)؛ أي: لا يعلم أن له شركاءَ ووسطاءَ وشفعاءَ، كما يتخذ ذلك الملوك الذين لا يدرون عن أحوال الرعية، فيأتيهم من يبلغهم أن الرعية فيهم كذا، وأن فلانًا محتاج، وولي الأمر لا يدري، أما الله ـ جلَّ وعلا ـ فإنه يعلم كل شيء، وليس بحاجة لمن يبلغه عن حوائج عباده، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٨] هذا إنكار عليهم، فالذين يتخذون الشفعاء والوسائط كأنهم يقولون: إن الله لا يعلم إلا بواسطة

فجعل الله تعالى اتِّخاذهم للشفعاء شركًا، ونزَّه نفسَه عنه؛ لأنَّه لا يشفع عنده أحدٌ إلَّا بإذنه، ....

هؤلاء الذين يخبرونه بحوائج الناس، وهذا تنقُّصٌ لله قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فنزَّه نفسه عن هذا وسماه شركًا، مع أنهم يقولون: هؤلاء شفعاء، ولم يقولوا: هؤلاء شركاء، ومع ذلك الله سمَّاه شركًا.

• **قوله: (فجعل الله تعالى اتِّخاذهم للشفعاء شركًا، ونزَّه نفسَه عنه)،** مجرد اتخاذهم للشفعاء شركًا بالله ﷻ، وقد نزه نفسه عنه، وهم يقولون: هذا ليس بشرك، بل هذا توسل، ويحتجون بالآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، يقولون: الوسيلة أنك تجعل واسطة بينك وبين الله. الحق أن الوسيلة: هي العبادة التي تقرب من الله، هذه هي الوسيلة، أما الواسطة فلا دخل لها فيما بينك وبين الله، فهم فسروا الوسيلة بغير تفسيرها.

• **قوله: (لأنَّه لا يشفع عنده أحدٌ إلَّا بإذنه)،** وليس كملوك الدنيا يشفع عندهم الشفعاء ولو لم يأذنوا، وقد لا يرضون أيضًا بالشفعاء عندهم ولكن الله - جلَّ وعلا - ليس بحاجة إلى الشفعاء؛ فهو سبحانه يعلم عباده ويريد أن يرحمهم دون الحاجة إلى أحد من الشفعاء، وإنما بإخلاص العبادة والدعاء لله ﷻ، والله قريب مجيب، فأخلصوا الدعاء لله؛ فالله - جلَّ وعلا - قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ولم يقل: ادعوني بواسطة فلان وفلان، بل: ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ مباشرة، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ وهو ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «**هل من مُسْتَغْفِرٍ، هل من تَائِبٍ، هل من سَائِلٍ، هل من دَاعٍ**»[1] فيستجاب له، فلا حاجة إلى الوسطاء والشفعاء.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٥٨).

فكيف يُثبتون شفعاءَ لهم لَم يأذن الله لهم في شفاعة، ولا هم أهل لها، ولا يغنون عنهم من الله شيئًا؟!.

• **قوله:** (**فكيف يُثبتون شفعاءَ لهم لَم يأذن الله لهم في الشفاعة**)، الله ما أمر أن يتخذ وسائط بينه وبين خلقه، والوسائط لا تأثير لها فيما يريده الله ﷻ؛ فالله فعَّال لما يريد، فلا حاجة إلى اتخاذ الشفعاء والوسطاء التي يزينها شياطين الجن والإنس؛ لأن الشيطان يحاول أن يصرفك عن عبادة الله أصلًا، فإذا رأى منك رغبة في عبادة الله أدخل عليك ما يفسد عبادتك، ويقول لك: اتخذ وسائط، فأنت مذنب ولا تصل إلى الله، وتستحي من الله فاتخذ وسائط وشفعاء؛ يريد أن يفسد عليك عبادتك؛ هذا الذي يريده شياطين الجن، وشياطين الإنس.

• **قوله:** (**ولا هم أهل لها**)، فالشفاعة لا بدَّ لها من شرطين:

الشرط الأول: أن يرضى الله عن المشفوع فيه، فإن كان الله لا يرضى عن المشفوع فيه فلا تنفع فيه شفاعة أبدًا، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]، فلا تنفع الكفار ولا المشركين شفاعة الشافعين؛ لأن الله لم يرضَ عنهم، فالذي لا يرضى الله عنه فلا يقبل الله فيه شفاعة أحد.

الشرط الثاني: أن يرضى الله لمن يشفع؛ ولذلك الرسول ﷺ في يوم القيامة إذا أراد أن يشفع للخلق في أن يفصل الله بينهم ويريحهم من الموقف، يخر ساجدًا بين يدي الله ﷻ، ويدعو الله حتى يُقال له: «**يا محمد، ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُلْ يُسْمَعْ لك، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[1]، فهذا سيد الشفعاء ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، نعم تسأل الله وتقول: اللَّهُمَّ شفِّع فيَّ نبيك، شفع فيَّ عبادك الصالحين، تطلب الشفاعة من الله.

• **قوله:** (**ولا هم أهل لها**)؛ يعني: أصحاب الحاجات ليسوا أهلًا للشفاعة؛ لأنهم كفار أو مشركون فليسوا أهلًا للشفاعة، فإن الله لا يرضى عنهم، والشافع لم يأذن الله له بذلك، فكيف يتعلقون بهم؟.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٣).

الأصل الرابع:

أنَّ المشركين الذين بعث الله الرسلَ إليهم مقرُّون بأنَّ الله تعالى خالقُهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وأنه الذي خلق السموات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩]، وبأنَّه الرزَّاق الذي يُخرج الحيَّ من الميِّت ويُخرج الميِّتَ من الحيِّ، وأنه الذي يُدبِّرُ الأمرَ من السماء

۞ الشرح:

• **قوله: (أنَّ المشركين الذين بعث الله الرسلَ إليهم مقرُّون بأنَّ الله تعالى خالقُهم)** هذا سبق، ولكنه تأكيد.

• **وقوله تعالى**: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾؛ أي: المشركين، ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿الْعَزِيزُ﴾؛ يعني: القوي الذي لا يعجزه شيء، ﴿الْعَلِيمُ﴾: العليم كيف يخلق، فهو بكل خلق عليم ﷻ.

• **قوله: (وبأنَّه الرزَّاق)** فلا أحد يرزق غير الله؛ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١]، فلا أحد يرزق من السماء ولا الأرض إلا الله؛ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [الملك: ٢١] لو أمسك الله رزقه فلا أحد يرزق أبدًا، الله هو الذي يرزق.

• **قوله: (الذي يُخرج الحيَّ من الميِّت)** يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الزرع من الحبة اليابسة الميتة؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فالنواة يابسة إذا غرستها طلع نخل حيٌّ، فهو الذي يخرج الحي من الميت، وكذا المسلم يخرجه من الكافر، وكذا يخرج الدجاجة من البيضة.

• **قوله: (ويُخرج الميِّتَ من الحي)**؛ يخرج البيضة الميتة من الدجاجة الحية، كذلك يخرج الكافر من المسلم، المسلم حيٌّ معنويًا والكافر ميت معنويًا فالله ـ جلَّ وعلا ـ هو الذي يخرج الحي من الميت، وكذا يخرج الميت

والأرض، وأنَّه الذي يَملك السمعَ والأبصارَ والأفئدة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾ [يونس: ٣١]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩].

من الحي، وكذا النطفة الميتة يخرج الله منها الإنسان، فهذه قدرة الله ﷻ.

• **قوله: (وأنَّه الذي يَملك السمعَ والأبصار والأفئدة)**، هذه كلها لا يملكها إلا الله ﷻ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)﴾ [الأنعام: ٤٦]، لو ذهب سمعك لا أحد يستطيع أن يرده عليك إلا الله سبحانه، وكذا لو ذهب بصرك لا أحد يستطيع أن يرده عليك إلا الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾؛ أي: تتقون وتعبدون الله الذي تُقِرُّون بأنه يفعل هذه الأشياء، وأن غيره لا يفعلها.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤)﴾؛ أي: مَنِ الذي يملك السمٰوات والأرض ومن فيهما إلا الله ﷻ، فلماذا تعبدون غيره ممن لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، ﴿وَمَن فِيهَا﴾ من المخلوقات، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ فما دامت لله فإنه لا يستحق العبادة إلا الله، ولو سألتهم: ﴿مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ العرش الذي هو أعظم المخلوقات وهو فوق المخلوقات ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾،

وهذا فرعون مع غلُوِّه في كفره، ودعواه أقبح دعوى، ونطقه بالكلمة السنعاء، يقول الله في حقِّه حاكيًا عن موسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ....

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾؛ أي: عبده إذا استعاذ به ولجأ إليه واستجار به، قال تعالى: ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ مَنْ طلبه الله فلا أحد يمنعه منه، يوصل إليك عذابه وأنت في أي مكان، ولو كنت في حصون مغلقة فالله قادر عليك، لا تفوت على الله؛ قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ [العنكبوت: ٤]، فإذا طلبهم الله فلا يمنع اللهَ عنهم لا جنودٌ، ولا أسلحةٌ، يأتيك الموت وأنت على فراشك، ولا أحد يستطيع أن يمنعك منه، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧]، ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾؛ أي: ترجعون الروح إلى مكانها؛ تحديات من الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ فلا يعبدُ غيرَ الله إلا إنسانٌ مسحور عن عقله، وهم يقولون: الذي يأمر بعبادة الله هذا هو المسحور، وذلك لما طلب الأنبياء منهم أن يعبدوا الله، قالوا عنهم: مسحورون!، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

• **قوله:** (وهذا فرعونُ مع غلُوِّه...) ففرعون ادَّعى الربوبية، وأنكر الآيات التي جاء بها موسى والمعجزات، فأقسم موسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وفرعون يقول لموسى: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١] وقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾؛ أي: علمت في نفسك وقرارة قلبك، وإن أنكرت بلسانك، ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾؛ يعني: لا تقبل الحق بعد ما تبين لك، وقال في

وقال إبليس: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]، وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ [الحجر: ٣٦].

وكلُّ مشرك مُقِرٌّ بأنَّ الله خالقُه وخالق السموات والأرض وربُّهن وربُّ ما فيهنَّ ورازقُهم؛ ولذا تحتج عليهم الرسل بقولهم: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، وبقولهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]، والمشركون مقرُّون بذلك لا ينكرونه.

غير هذا الموضع: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ ما السبب؟ ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] هذا الذي حملهم على الإنكار، وإلا فقلوبهم مستيقنة بهذه الأدلة.

• **قوله: (وقال إبليس: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)** قاله عندما قاد الإنسان إلى الكفر فكفر فقال له: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]؛ يعني: قاده إلى الكفر ثم تبرأ منه في النهاية، وقال لمشركي بدر: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

• **قوله: (وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾)** فأقر بربوبية الله وبِقَدر الله وأنه أغواه بقضائه وقدره لتكبره؛ عقوبةً له، ولتكبره على أمر الله احتج بالقدر على طريقة الجبرية.

• **قوله: (وقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾)** قال له: ﴿رَبِّ﴾، وطلب منه أن يُنْظره ويؤخر موته لأجل أن يتشفى من بني آدم.

الأصل الخامس:

أنَّ العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تُستعمل إلَّا في الخضوع لله تعالى؛ لأنَّه مُولي أعظم النِّعم، وكان لذلك حقيقًا بأقصى غاية الخضوع، كما في «الكشاف»[1].

ثمَّ إنَّ رأسَ العبادة وأساسَها التوحيدُ للهُ الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل، وهي قول: (لا إلٰه إلا الله)، والمراد: اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، لا مجرَّد قولها باللسان.

ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإلهية، والنفي والبراءة من كلِّ معبود دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى؛ لأنَّهم أهلُ اللسان العربي، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

❁ الشرح:

لا يستحق العبادة إلا الله لأنه مُولي النعم، ودافع النقم، والقادر على كل شيء، قال الزمخشري في «الكشاف»: العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل؛ لأنه مُولي أعظم النِّعم، وكان لذلك حقيقًا بأقصى غاية الخضوع.

---

(١) «الكشاف» (١/ ١٣).



فصل

إذا عرفتَ هذه الأصول فاعلم أنَّ الله تعالى جعل العبادة له أنواعًا:

اعتقادية: وهي أساسُها، وذلك أن يعتقد أنَّه الربُّ الواحد الأحدُ الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، وأنَّه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلَّا بإذنه، وأنَّه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك من لوازم الإلَهية.

ومنها لفظية: وهي النطقي بكلمة التوحيد، فمَن اعتقد ما ذُكِر ولَم ينطق بها لم يحقن دمه، ولا ماله، وكان كإبليس، فإنَّه يعتقد التوحيدَ، بل ويُقرُّ به كما أسلفناه عنه، إلَّا أنَّه لم يَمْتَثِل أمرَ الله بالسجود فكفر، ومَن نطق بها ولَم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه على الله، ....

❁ الشرح:

• **قوله**: (وحسابه على الله)؛ أي: من كان يقولها بلسانه ولا يُقِرُّ بها في قلبه كالمنافقين، فنحن ليس لنا إلا الظاهر، ونُجْرِي الأحكام على الظاهر؛ ولهذا قال: (وحسابه على الله)؛ يعني: في الباطن حسابه على الله، ولكننا نكفُّ عنه في الظاهر، هذا هو الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، نحن لا نفتش عن عقائد القلوب والنيات؛ لأنه لا يعلمها إلا الله ﷻ، فليس لنا إلا ما ظهر، فمن أظهر خيرًا قبلناه منه، ومن أظهر شرًّا حكمنا عليه به. وأما الذين يقولون: لا بدَّ أن نبحث في النيات والمقاصد، فهل نحن نعلم عن النيات والمقاصد؟ هذه من اختصاص الله ﷻ، لا يعلمها إلا الله.

• **قوله**: **(ومَن نطق بها ولَم يعتقد حُقِن ماله ودمه، وحسابه على الله)** حسابه على الله فيما بينه وبين الله في الباطن، هل هو صادق أو كاذب؛ ولهذا لما أدرك أسامة بن زيد ورجل من الأنصار رجلًا من المشركين ورفع عليه

وحكمُه حكم المنافقين.

وبدنية: كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف.

ومالية: ....

السيف فقال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وقتله أسامة رضي الله عنه ظانًّا أنه إنما قالها ليدفع بها القتل عن نفسه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب على أسامة، وقال: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال: لَا إِلٰهَ إلا الله؟!**»[1]، قال: «يا رَسُولَ الله، إنما قَالَهَا خَوْفًا من السِّلَاحِ»، قال: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟!**»[2]، وفي رواية: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا الله إذا جَاءَتْ يوم الْقِيَامَةِ**»[3]، فتأسّف أسامة وندم وحزن على ما حصل منه وعرف أنه أخطأ. فنحن ليس لنا إلا الظاهر ولا نكشف عما في القلوب حتى يظهر منه ما يناقض لا إله إلا الله، فإذا ظهر منه ما يناقض؛ حكمنا بِرِدَّته وأجرينا عليه حكم المرتد.

● **قوله:** (وحكمُه حكم المنافقين) فهو منافق.

● **قوله:** (وبدنية) هذا النوع الثالث؛ أعمال بدنية بالجوارح: كالصلاة، والصيام، والجهاد في سبيل الله، وأفعال الحج الطواف من الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة، ورمي للجمار والمبيت بمنى والطواف والسعي.

● **قوله:** (ومالية) هذا النوع الرابع: عبادات مالية، وفي طليعتها الزكاة التي فرضها الله حقًّا في أموال الأغنياء للفقراء؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، وكذلك صدقات التطوع، وكذلك القيام بالمشاريع الخيرية كبناء المساجد، والمدارس، والمراكز الإسلامية، والدعوة إلى الله، كل هذه عبادات مالية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩). (٢) أخرجه مسلم (٩٦).
(٣) أخرجه مسلم (٩٧).

كإخراج جزء من المال؛ إمتثالًا لِمَا أمر الله تعالى به.

وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة، لكن هذه أمهاتها.

• **قوله:** (كإخراج جزء من المال امتثالًا لِمَا أمر الله تعالى به)، هذا رأس العبادات المالية: الزكاة.

• **قوله:** (وأنواع الواجبات والمندوبات) بعد هذه الأنواع الأربعة والتي يدخل فيها كل أنواع العبادات الواجبة والمستحبة.

• **قوله:** (في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة)؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: العبادة: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ: مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ[1]، هذا تعريف جامع.

• **قوله:** (لكن هذه أمهاتها)؛ أي: هذه الأربع أمهاتها، ترجع إليها.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

وإذا تقرَّرت هذه الأمور[1]، فاعلم: أنَّ الله تعالى بعث الأنبياءَ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مِن أولهم إلى آخرهم يَدْعُون العبادَ إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لَا إلى إثبات أنَّه خَلَقَهم ونحوه؛ إذ هم مقرُّون بذلك، كما قرَّرناه وكرَّرناه، ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ ....

❁ الشرح :

• **قوله**: (**وإذا تقرَّرت هذه الأمور...**)؛ أي: إذا عرفت هذا فاعلم أن الأنبياء من أولهم إلى آخرهم بعثوا بالدعوة إلى توحيد العبادة، أما توحيد الربوبية فهذا موجود في الفِطَر ويُقِرُّون به، ولا يكفي لدخولهم في الإسلام، ولا لعصمة دمائهم وأموالهم، وهذا شيء معروف ومتقرِّر.

• **قوله**: (**لَا إلى إثبات أنَّه خَلَقَهم ونحوه**)؛ أي: لم يبعثهم بتوحيد الربوبية؛ لأمرين:

الأمر الأول: أن هذا موجود في الناس، فكيف يُدْعون إلى شيء موجود.

الأمر الثاني: أن هذا لا يكفي، ولا يُدخلهم في الإسلام، ولا يُنقذهم من النار؛ أي: الإقرار بتوحيد الربوبية.

• **قوله**: (**إذ هم مقرُّون بذلك**)، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، يقرون أن الله هو من خلقهم.

• **قوله**: (**ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾**)؛ لكون الرسل بُعِثُوا لتوحيد الألوهية؛ فقوم هود عليه السلام قالوا له: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] دليل على أن هودًا عليه السلام دعاهم ليعبدوا الله وحده، ولم يَدْعهم لتوحيد الربوبية.

---

(١) في بعض النسخ: الأصول.

أي: لنفردَه بالعبادة ونخصَّه بها من دون آلهتنا، فلم ينكروا إلَّا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله، ولم ينكروا الله تعالى، ولا قالوا إنَّه لا يُعبد، بل أقرُّوا بأنَّه يُعبد، وأنكروا كونه يُفردُ بالعبادة، فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أندادًا، ....

• **قوله:** (أي: لنفردَه بالعبادة ونخصَّه بها من دون آلهتنا)؛ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] وهذا معنى لا إله إلا الله: نفي وإثبات.

• **قوله:** (فلم ينكروا إلَّا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله)؛ هم يعبدون الله، ولكن يعبدون معه غيرَه، لذلك لم يقولوا أجئتنا لنعبد الله، بل قالوا: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾، فدل على أنهم يعبدون الله، ولكنهم لا يعبدونه وحده، وإنما يشركون معه غيره، والعبادة إذا دخلها الشرك بطلت وحبطت.

• **قوله:** (ولم ينكروا الله تعالى)؛ المشركون لم ينكروا الله بل يعبدونه أيضًا ويتقربون إليه بأنواع من العبادة، ولكنهم يعبدون معه غيره، ويشركون به ﷻ.

• **قوله:** (ولا قالوا: إنَّه لا يُعبد)؛ أي: لم يقولوا: إن الله لا يعبد، ولكنهم قالوا: إنه لا يُفرد بالعبادة، هذا ما عليه المشركون؛ فالذي يصلي ويصوم ويحج ويعتمر ويعمل الطاعات ولكنه يشرك بالله فهذا عمله هباء منثور، وحابط لا قيمة له، وإن كان يعبد الله، ولكنه لم يفرد اللهَ بالعبادة، فعمله حابط وباطل، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

• **قوله:** (وأنكروا كونه يُفردُ بالعبادة)؛ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]، هذا الذي أنكروه، ولم ينكروا أنه يُعبد، فهم يعبدونه بأنواع من العبادات، ويُقِرُّون له بتوحيد الربوبية.

• **قوله:** (فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أندادًا)،

كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]؛ أي: وأنتم تعلمون أنَّه لا ندَّ له، وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لك، إلا شَرِيكًا هو لك، تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ»، وكان يَسمعهم

هذا هو الذي نهت عنه الرسل وأنكرته: الإشراك مع الله في العبادة، ودعوة غيره معه.

• **وقوله تعالى**: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: شركاء، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا ختام الآية وتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]؛ أي: وأنتم تعلمون أنه لا شريك له في هذه الأمور، فهو المنفرد بها ﷻ.

• **قوله**: (**أي: وأنتم تعلمون أنَّه لا نِدَّ له**)؛ أي: أنتم تعلمون أنه لا نِدَّ له، ولا شريك له في هذه الأمور، لا معبوداتكم خلقت السمٰوات، ولا خلقت الأرض، ولا خلقت شيئًا منهما، ولا أنزلت المطر... إلى آخره، فهم يعلمون هذا، وأن هذا لا يقدر عليه إلا الله ﷻ.

• **قوله**: (**وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج**) كان المشركون الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ يحجون، وهذا من بقايا دين إبراهيم، كانوا يحجوا ويعتمرون ويلبون أيضًا، فيقولون: «**لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لك، إلا شَرِيكًا هو لك، تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ**»، لو وقفوا على قولهم: (**لَا شَرِيكَ لك**) لصدقوا، ولكنهم يقولون: (**إلا شَرِيكًا هو لك، تَمْلِكُهُ وما مَلَكَ**) وهذا الذي أبطل التلبية؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «**لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لك**» مطلقًا، ولم يقل: (**إلا شَرِيكًا هو لك**)، وقولهم: (**إلا شَرِيكًا هو لك**)؛ أي: معبوداتهم، يقولون: هي من عبادك ونحن نعبدها لتقربنا إليك زلفى، ولتشفع لنا عندك، هذه حجتهم.

النبيُّ ﷺ عند قولهم: «لَا شَرِيكَ لك» فيقول: «قدٍ قدٍ»[١] أي: أفردوه ـ جلَّ جلاله ـ لو تركوا قولهم: «إلا شَرِيكًا هو لك»، فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به.

• قوله: (وكان يَسمعهم النبيُّ ﷺ عند قولهم: «لَا شَرِيكَ لك» فيقول: «قدٍ قدٍ»)، يعني: يكفي، لا تزيدوا على هذا.

• قوله: (فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به تعالى)؛ لأنهم يعتقدون أن الله يُعبد، ولكن لا يُقتصر على عبادته بل يُعبد معه غيره؛ لأنهم قالوا: (لَا شَرِيكَ لك، إلا شَرِيكًا هو لك)، وتناقضوا، فقالوا في الأول: (لَا شَرِيكَ لك)، ثم قالوا: (إلا شَرِيكًا هو لك)، وهذا تناقض بَيِّن.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥).

قال تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، فنفسُ اتخاذ الشركاء إقرارٌ بالله تعالى، ولم يعبدوا الأندادَ بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنَّحر لهم؛ إلَّا لاعتقادهم أنَّها تقرِّبهم إلى الله زلفى وتشفع لهم لديه.

❁ الشرح:

• **قوله تعالى:** (﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾)؛ يعني: يوم القيامة يقول الله لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمونهم في الدنيا؟ أين ذهبوا؟ هل يخلصونكم الآن؟ لا يخلصونكم الآن من العذاب، فالله ﷻ يقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] والزعم هو الكذب؛ أي: كذبتم باتخاذهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥] هذا يوم القيامة، وهو من باب التحدي لهم، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ لينجدوهم ويغيثوهم، ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤] ولكن فات وقت الهداية، قال هود عليه السلام لما هددوه بآلهتهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] انظر: شخص واحد يتحدى أمة عاتية، كبار الأجسام، فأكبر الخلق أجسام قوم عاد، قال تعالى عنهم: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]، يتحداهم شخص واحد فماذا كانت النتيجة؟ أهلكهم الله جميعًا ونجَّى هودًا ومن معه.

• **قوله:** (**ولم يعبدوا الأندادَ بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنَّحر لهم؛ إلا لاعتقادهم أنَّها تقرِّبهم إلى الله زلفى وتشفع لهم لديه**)؛ هذا مقصدهم، فلم يعبدوهم لأنهم يخلقون ويرزقون ويدبِّرون ملكوت السمٰوات والأرض؛ فهم يقرون أن هذا لله وحده، ولكن عبدوهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله؛ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ

فأرسل الله الرسلَ تأمرهم بترك عبادة كلِّ ما سواه، وتبيِّنُ أنَّ هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه الأنداد باطلٌ، وأنَّ التقرب إليهم باطل، وأنَّ ذلك لا يكون إلَّا لله وحده، وهذا هو توحيد العبادة.

شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، هذه حجتهم فهل الله ﷻ بخيل لا بدَّ له من أحد يؤثِّر عليه حتى يعطي؟! هل الله ـ جلَّ وعلا ـ لا يعلم حتى يحتاج إلى أحد يبلغه عن حوائج الناس؟! هل الله ـ جلَّ وعلا ـ لا يجيب الدعاء إلا بواسطة تتوسط عنده؟! وهو الذي يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

• **قوله:** (وتبيِّنُ أنَّ هذا الاعتقاد الذي يعتقدونهه في الأنداد باطلٌ)؛ أي: اعتقادهم أنهم شفعاء وأنهم وسطاء وأنهم وسائل إلى الله، تبين لهم أن هذا باطل وأنه لا ينفعهم شيئًا عند الله ﷻ.

• **قوله:** (وأنَّ التقرب إليهم باطل، وأنَّ ذلك لا يكون إلَّا لله وحده)، فهذا حق لله وحده، لا يُشرك معه غيره فيه.

• **قوله:** (وهذا هو توحيد العبادة)، هذا معنى توحيد الألوهية، فمعناه: أن العبادة لله وحده، وأنه لا يُشرك معه فيها غيره ﷻ.

وقد كانوا مقرِّين ـ كما عرفتَ في الأصل الرابع ـ بتوحيد الربوبية، وهو: أنَّ الله هو الخالق وحده والرازق وحده.

ومِن هذا تعرف أنَّ التوحيد الذي دعتهم إليه الرسلُ مِن أولهم وهو نوح ﷺ إلى آخرهم، وهو محمد بن عبد الله ﷺ هو توحيد العبادة؛

۞ الشرح:

● **قوله:** (وقد كانوا مقرِّين ـ كما عرفتَ في الأصل الرابع ـ بتوحيد الربوبية)؛ أي: المشركون والأصل الرابع هو من الأصول التي ذكرها المؤلف رحمه الله في أول الرسالة، فهم مقرون بتوحيد الربوبية، ولكنهم يشركون في توحيد الألوهية؛ ولذلك سمَّاهم الله مشركين مع أنهم مقرون بتوحيد الربوبية؛ لأنه لا يكفي، ولا يُدخل في الإسلام، ولا يُنقذ من النار حتى يضيفوا إليه توحيد الألوهية؛ بأن يعبدوا الله وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادة، فهذا معنى (لا إله إلا الله)، وليس معناها إثبات توحيد الربوبية، وإنما معناها إثبات توحيد الألوهية والعبادة، (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، فهذا أصل يجب معرفته؛ لئلا يلتبس الأمر ـ خصوصًا في هذا الزمان ـ في أمر التوحيد، ويحصل الغلط في العقيدة؛ لأنه إذا حصل الغلط في العقيدة لن يصح بعدها دين ولا عبادة، وهذا خطر عظيم، ولهذا اهتمت الرسل من أولهم إلى آخرهم بالدعوة إلى توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، ولم يطالبوا أممهم بالإقرار بتوحيد الربوبية؛ لأن هذا شيء موجود فيهم؛ ولأنه لا يكفي في النجاة من النار، ولا يحصل به الدخول في الإسلام.

● **قوله:** (ومِن هذا تعرف أنَّ التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل... هو توحيد العبادة)؛ بلا شك، فهذا هو الذي دعت الرسل إليه، كما قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

ولذا تقول لهم الرسل: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وقد كان المشركون منهم مَن يعبدُ الملائكةَ ويناديهم عند الشدائد، ....

أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ يعني: الشرك؛ فمن عُبد من دون الله فهذه عبادة الطاغوت؛ أي: الشيطان؛ لأنه هو الذي يأمر بالشرك، فإن كان المعبود راضيًا بهذا فهو طاغوت أيضًا، وإن كان لم يرضَ بذلك وإنما عبدوه بعد موته وهو لم يرضَ بذلك كالمسيح والأولياء الصالحين الذين ماتوا على عقيدة التوحيد فإن الطاغوت هو الشيطان الذي دعاهم إلى عبادة هذا النبي، أو هذا الولي ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ يعني: فاعبدوا الله واجتنبوا عبادة الطاغوت، وهو كل ما عُبد من دون الله ﷻ.

• **قوله: (ولذا تقول لهم الرسل: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾** [فصلت: ١٤])، وهذا في آيات كثيرة، أن الرسل تقول لأممهم: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تنهاهم عن عبادة غير الله، وتأمرهم بعبادة الله وحده.

وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، هذه جاءت في دعوة الرسل: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وغيرهم من الرسل، وكانوا أول ما يقولون لأممهم: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾؛ أي: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا.

• **قوله: (وقد كان المشركون منهم مَنْ يعبدُ الملائكةَ ويناديهم عند الشدائد...)**. المشركون لما تركوا عبادة الله خُلقوا من أجلها وأُمروا بها، اختلفوا في معبوداتهم، كلٌّ يعبد إلهًا يختاره، فتفرقت بهم الأهواء والرغبات؛ فمنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الكواكب، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الجن والإنس، ومنهم من يعبد الشيطان، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين والأولياء، ومنهم من يعبد

ومنهم مَن يعبد أحجارًا ويهتف بها ويناديها عند الشدائد، وهي في الأصل صوَرُ رجال صالحين كانوا يُحبُّونهم ويعتقدون فيهم، فلمَّا هلكوا صوَّروا صوَرَهم تَسَلِّيًا بها، فلمَّا طال عليهم الأمَدُ عبدوهم، ثم زاد الأمد طولًا فعبدوا الأحجار، ....

الأنبياء... فهم متفرقون في عباداتهم، لا فرق بينهم؛ فكلهم مشركون، وكلهم جاهدهم رسول الله ﷺ، وقاتلهم ولم يفرق بينهم؛ فلم يفرق بين من عبد صنمًا أو عبد نبيًّا أو وليًّا، كلهم مشركون وقد قاتلهم جميعًا.

والله ـ جلَّ وعلا ـ حينما ذكر يوسف عليه السلام حينما دعا أصحاب السجن إلى عبادة الله قال لهم: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾؛ أي: أنتم اخترعتموها وليس لها أصل، ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]؛ أي: من غير حجة ولا دليل.

● **قوله: (ومنهم مَن يعبد أحجارًا ويهتف بها ويناديها عند الشدائد)**، كاللات والعزى ومناة.

● **قوله: (وهي في الأصل صوَرُ رجال صالحين كانوا يُحبُّونهم ويعتقدون فيهم، فلمَّا هلكوا صوَّروا صوَرَهم تَسَلِّيًا بها، فلمَّا طال عليهم الأمَد عبدوهم، ثم زاد الأمد طولًا فعبدوا الأحجار)**؛ هذا حصل في قوم نوح؛ كانوا على عقيدة التوحيد بعد آدم، حيث كانوا على عقيدة أبيهم آدم: عقيدة التوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كانوا عشرة قرون على الإسلام»[1]؛ أي: على عقيدة آدم عليه السلام، يعبدون الله وحده، وكان قوم نوح على التوحيد، على عبادة الله كأسلافهم، ثم قُدّر أن كان فيهم علماء صالحون يحبونهم ويتعلمون على أيديهم، فماتوا في عام واحد، ففقدوهم وحزنوا عليهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٩٤) و«المستدرك على الصحيحين»، للحاكم (٢/ ٥٤٦، ٥٤٧) وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

. . . .

فلما رآهم الشيطان قد حزنوا عليهم اخترع لهم مكيدة خدعهم بها، فقال: صوروا صورهم وإذا رأيتم صورهم تتسلون بها، فيخف عنكم الحزن وتنشطون على العبادة، جاءهم من طريق النصيحة لهم، فقبلوا هذه الفكرة، فصوروا صورهم من باب الذكريات؛ ليتذكروا أحوالهم وأشخاصهم، فيخفف هذا عنهم الحزن، وعليه فالذين يصورون الصور الآن للذكريات هم من هذا الباب، ولو لم يعبدوها في أول الأمر، ولو كانت للذكريات والاحتفاظ بها فقط، لا سيما صور المعظمين كالملوك والرؤوساء والعلماء؛ فإن خطرها عظيم؛ فقد عاش قوم نوح على هذا ولم يتمكن الشيطان من دعوتهم إلى عبادة هذه الصور؛ لأنه كان فيهم علماء ينهون عن الشرك، وليس أشد على الشيطان من العلماء ـ العلماء الربانيين ـ فهو لا يجرؤ أن يأمرهم بعبادتهم، وكانوا يتخذون هذه الصور للذكريات ولتخفيف الحزن عليهم ولتُنشّطهم على العبادة كما يقولون، فلما مات العلماء، ومات هذا الجيل وما فيه من العلماء، وأتى جيل آخر وفشا الجهل فيهم، جاءهم الشيطان وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليعبدوها، وبها كانوا يسقون المطر، فزين لهم عبادتها، فعبدوها من دون الله بسبب الجهل بالعقيدة، والجهل بالتوحيد وفقد العلماء، والشيطان إنما يأتي مع الجهل، ومع فقد العلماء، فقبلوا منه وعبدوها من دون الله، وحدث الشرك في الأرض من ذلك الوقت.

فأول ما حدث الشرك في قوم نوح وكان سببه الغلو في الصالحين، فالغلو بالمخلوق مهما كان فيه من الصلاح لا يجوز حتى النبي لا يجوز أن يُغلا فيه؛ قال ﷺ: **«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»**[1]. فلا يجوز الغلو في الصالحين، ولكن الصالحين يُحبون ويُثنى عليهم ويُقتدى بهم، أما إنهم يعبدون من دون الله، أو إنه يُتبرك بهم وبقبورهم أو غير ذلك فهذا شرك أكبر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

....

فلما بعث الله نوحًا عليه السلام يدعو هؤلاء إلى الرجوع إلى التوحيد وترك عبادة هذه الصور أنكروا عليه أشد الإنكار، وامتنعوا من قبول دعوته عليه السلام: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [نوح: ٢٣]، وبقي يدعوهم ويعالجهم ويصبر عليهم، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلما نزل عليه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، عند ذلك دعا عليهم قال: ﴿...رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، لم يدعُ عليهم إلا لما قيل له: ﴿...أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ [هود: ٣٦، ٣٧]؛ أي: استعد لما سيحصل للنجاة، ففعل ما أمره به ربه ﷻ ودعا عليهم.

فهذه سيرة نوح في قومه، ودعوتهم إلى الله، قال: ﴿...رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٥ ـ ٧]، لا يحبون أن يسمعوا دعوة التوحيد، والآن فينا مَنْ لا يحب دعوة التوحيد وينهى عنه، وهو يزعم أنه من الدعاة إلى الله، ويقول: لا تفرقون الناس، اتركوا الناس على عقائدهم! فينهون عن التوحيد، ويبغضون من يدعو إلى التوحيد، ويُحَذِّرون منه! فهذه مصيبة كبيرة، فالشيطان لم يمت، وإنما يأتي كل جيل.

قال تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾؛ كراهية للتوحيد والعياذ بالله، ومعنى: ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾؛ أي: تلفعوا بها فلا يريدون أن يروا نبي الله نوحًا عليه السلام: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ٨ ـ ١١]؛ لأنهم كانوا مُجدبين، منحبسًا عنهم المطر، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٢ ـ ١٤]، إلى أن قال ـ سبحانه ـ:

....

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح: ٢٢، ٢٣]؛ أي: لا تطيعوا نوحًا، ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] هذه أسماء الرجال الصالحين في قوم نوح؛ أي: لا تدعوا عبادتهم لأجل دعوة نوح، فتواصوا بهذا.

قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، ولم ينجُ إلا نوحٌ ومَنْ آمن به، حتى ابنه لم ينجُ حيث صار مع الكفار، رغم أن نوحًا ﷺ حاول معه قال: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ولكن الله - جلَّ وعلا - إنما يعامل العبد بحسب عقيدته ودينه، ولو كان من أولاد الأنبياء فلا ينفعه هذا، فغرق معهم والعياذ بالله، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] رغم أن أباه حرص عليه فشفقة الأبوة، وشفقة الدعوة.

هذه قصة نوح مع قومه كررها الله في القرآن؛ لنأخذ منها العبرة والعظة، وهذه الأصنام أو هذه الصور - صور الصالحين - لما جاء الطوفان طمرها في الأرض ودفنها ونُسيت، إلى أن جاء التنقيب عن الآثار فحفروها على عهد ملك من ملوك مكة يُقال له (عمرو بن لُحَيٍّ الخُزاعي)، كان رجلًا عابدًا صالحًا ناسكًا، ثم ذهب إلى الشام ليتعالج، فوجدهم يعبدون الأصنام فاستحسن ذلك - والعياذ بالله - وهذه خطورة السفر إلى بلاد المشركين، وجاء بأصنام من الشام ووزعها على رعيته، وجاءه الشيطان وقال: اذهب إلى جدة فستجد فيها أصنامًا مُعدَّة، خذها ولا تهب، وادعُ إليها سائر العرب، وأرشده إلى أماكنها فحفرها، ووزعها على قبائل العرب في الجزيرة العربية، فكان عمرو بن لُحَي أول من غير دين إبراهيم في الحجاز؛ لأن أهل الحجاز كانوا على دين إبراهيم ﷺ فهو أول من غير دين إبراهيم وسيب السوائب - والعياذ بالله - ودعا إلى عبادة الأصنام.

فهذا هو الشرك، وهذا هو الشيطان، وهذه أسباب الشرك فيجب أن

. . . .

نعرفها، ويجب على الدعاة إلى الله أن يدعو إلى الله دعوة صحيحة، يجب عليهم أن يتنبهوا لهذا وأن يدرسوا هذه الأمور، ويدرِّسوا العقيدة لأبنائهم دراسة صحيحة من أجل أن يُبصِّروا الناس ويدعوهم إلى التوحيد، وينهوهم عن الشرك. هذه هي الدعوة الصحيحة.

• **قوله**: (**وهي في الأصل صورُ رجال صالحين**)، هي في الأصل صور لهؤلاء الرجال الصالحين استخرجها عمرو بن لُحَي، بإيحاء من الشيطان الذي يحث على التنقيب عن الآثار.

• **قوله**: (**كانوا يُحبُّونهم ويعتقدون فيهم، فلمَّا هلكوا صوَّروا صوَرَهم تَسَلِّيًا بها، فلمَّا طال عليهم الأمَد عبدوهم**)، هذا يدل على خطورة التصوير وخطورة التماثيل؛ ولهذا لعن النبي ﷺ المصورين[١]، وأخبر أنهم من أشد الناس عذابًا يوم القيامة[٢]، لأن هذا باب إلى الشرك، ووسيلة إليه، ولا سيما صور المُعَظَّمين، فإذا بقيت وحُوفظ عليها جاء مَنْ يعبدها بعد ذلك، وهناك من يقول: نحن نعرف التوحيد الآن وليس علينا خطر، وهذه آثار الأوائل، فيها تذكار للناس، ونحن لا يمكن أن نعبدها. نقول له: **أولًا**: الإنسان لا يزكي نفسه، ولا يقول: لا يمكن. **وثانيًا**: لو ما عبدتها أنت، فقد يأتي من يعبدها بعدك وتكون أنت السبب في وجودها، فيجب إتلاف الصور، ولا سيما التماثيل المنحوتة والمبنية، فيجب إتلافها وعدم إبقائها، ولا يجوز البحث عن الأصنام، بل يجب تكسير الأصنام وإتلافها، ولا يجوز البحث عنها والتنقيب عنها؛ لأن هذا هو أساس الشرك، وشياطين الإنس والجن يحاولون طمس العقيدة بهذه الطريقة.

• **قوله**: (**ثم زاد الأمد طولًا فعبدوا الأحجار**)؛ أي: عبدوا الأحجار التي على صور الصالحين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٠).

ومنهم مَن يعبد المسيحَ، ومنهم من يعبد الكواكبَ، ويهتف بها عند الشدائد.

• **قوله:** (ومنهم مَن يعبد المسيح...)، فمنهم من عبد الصالحين، ومنهم من عبد الملائكة، ومنهم من عبد الأولياء والصالحين، ومنهم من عبد المسيح، فالشرك ليس مقتصرًا على عبادة الأصنام، ومنهم من يعبد القبور والأضرحة، وكل عبادة لغير الله فهي شرك، وكل ما عُبد من دون الله فهو وثن؛ ولهذا قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[1]، فسمى القبر الذي يُعبد: وثنًا.

• **قوله:** (ومنهم مَنْ يعبد الكواكبَ، ويهتف بها عند الشدائد)، كقوم النمرود الذين بُعث إليم الخليل عليه السلام، وأرض النمرود في العراق، في أرض بابل، بُعث إليهم الخليل إبراهيم عليه السلام ودعاهم إلى الله، وأنكر عليهم، وحطم أصنامهم، وفي النهاية ألقوه في النار، وقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فنجاه الله من النار ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ثم هاجر إلى الشام، وهاجر ببعض ذريته إلى الحجاز وهم إسماعيل وأمه بأمر الله ﷻ، قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، هذه هجرة إبراهيم عليه السلام.

---

(١) الموطأ (٥٩٣).

فبعث الله محمدًا ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده، بأن يُفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية؛ أي: بربوبية السَّموات والأرض، وأن يفردوه بمعنى ومُؤدى كلمة (لا إله إلا الله) وحده، ....

الشرح:

• **قوله: (فبعث الله محمدًا ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده بأن يُفردوه بالعبادة)**، ونبينا محمد ﷺ بُعث في قوم يُصلُّون ويصومون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ببعض عبادات الحنيفية من دين إبراهيم عليه السلام، ولكن خلطوها بالشرك بالله عز وجل، فصاروا يعبدون الله ويعبدون معه الأصنام والأحجار والأشجار، فبعث الله محمدًا ﷺ يدعوهم إلى التوحيد، فكان ما كان منهم، وانتهى الأمر بنصرة الإسلام والمسلمين، ولكن لا يزال في المسلمين من شياطين الإنس والجن ومن الجهال مَنْ يحاول دفن هذه العقيدة، ولا يستسيغ ذكر التوحيد أبدًا؛ بل يكره التوحيد ويكره مَنْ يدعو إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه مكيدة من الشيطان.

• **قوله: (كما أفردوه بالربوبية)**؛ لأنهم يقرون بالربوبية، فهو دعاهم إلى أن يفردوا الرب بالعبادة كما أفردوه بالربوبية، وإلا فتوحيد الربوبية بدون توحيد العبادة لا فائدة فيه، أو توحيد الربوبية مع الشرك في الألوهية لا فائدة فيه.

• **قوله: (وأن يفردوه بمعنى ومُؤدى كلمة: لا إله إلَّا الله)**، قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله. وهل المعنى قولها فقط باللسان؟ لا، بل قولوها واعملوا بها، وهم عرب يفهمون معناها، لذلك لما سمعوها قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ يتواصون بالشرك! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٥، ٦]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]. فهموا أن (لا إله إلا الله) تطلب منهم ترك آلهتهم؛ لأنهم عرب فصحاء، عرفوا أنهم يتناقضون لو قالوها وعبدوا غير الله، وهم لا يريدون التناقض؛

معتقدين لمعناها، عاملين بمقتضاها، وأن لا يدعوا مع الله أحدًا، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]؛

ولذلك أصروا على الشرك، وعلى عقيدتهم، وأبوا أن يتناقضوا بأن يقولوها ويعبدوا غير الله، لكن في المسلمين الآن الكثير ممن يقولها ويعبد غير الله ولا يأنف من التناقض، فهم يقولون: لا إله إلا الله، ويقولون: يا عبد القادر، يا حسين، يا علي، يا بدوي... إلى آخره.

• **قوله: (معتقدين لمعناها، عاملين بمقتضاها)**، وليس مجرد التلفظ بها؛ بل لا بدَّ أن يفهموا معناها، وأن يعملوا بمقتضاها، فلا تنفع إلا بهذا.

• **وقوله تعالى:** ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾، ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ هي دعاء الله وحده؛ فالدعاء الصحيح والدعاء الحق هو دعوة الله وحده لا شريك له، ودعاء غيره باطل، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ يعني: معه ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾؛ أي: لا تنفعهم هذه الأصنام وهذه المعبودات وهذه القبور، ولا تنجيهم من النار يوم القيامة، ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ أيَّ شيء، وربما يحصل لهم شيء من النفع ولكن هذا من باب الاستدراج، فربما تُقضى حوائجهم، ولكن هذا ليس بخير لهم ولكن هذا من باب الاستدراج، والعياذ بالله، ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾، أنت إذا أتيت ونظرت إلى بئر فيها ماء عذب، وأنت عطشان، وليس معك دلو ولا حبل، وتمد يديك وهي مبسوطة تريد أن تصل بالماء لفمك، ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ لا يصل الماء إلى فمك؛ لأنك خالفت الأسباب، وهذا مَثَلٌ ضربه الله للمشرك، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

فاحذروا الشرك في العبادة، فلا يأت أحد ويُلبس عليك ويقول: اتركوا الناس على عقائدهم، وادعوا إلى الوحدة، وإلى التراحم والتعاطف، وإلى التسامح، واتركوا الناس على عقائدهم! ما هذه الدعوة؟ هذه مداهنة في

....

العقيدة، وهذه تضر ولا تنفع، ولو أن الرسول ﷺ عبد ربه بمكة، وأسلم معه من أسلم وعبدوا الله، ولميتعرض لآلهة المشركين لما تعرضوا لهم، وهم ما تعرضوا له ولا آذوه وضايقوه إلا لمَّا تعرض لإنكار آلهتهم، وإلا لو سكت عنهم، وقال: نحن كلنا مواطنون ولا أحد يقول لأحد شيئًا، ما تعرضوا له ولا ضروه ابدًا، ولكن ليست هذه هي الدعوة إلى الله ﷻ، بل لا بدَّ أن يبين الإنسان حقيقة التوحيد، وينهى عن الشرك ويصرِّح بهذا.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وكما قال موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]؛ أي: فوضوا أموركم إليه ولا تفوضوها إلى القبور والأصنام وإلى المعبودات والأشجار والأحجار، بل إلى الله وحده وعليه توكلوا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أما من يقول: أنا مؤمن، ولا يتوكل على الله، وإنما يتوكل على غيره؛ فهذا ليس بمؤمن.

لماذا قدم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ على قوله: ﴿فَتَوَكَّلُوا﴾ مع أن ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَتَوَكَّلُوا﴾ فهو معمول له قدم المعمول ـ وهو الجار والمجرور ـ على العامل لأجل إفادة الحصر، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا على غيره، ﴿فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قال موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢١، ٢٢]؛ يعني: من العمالقة، كبار الأجسام، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾؛ أي: إذا فرغت منهم فإنا داخلون، هل هذا يقوله أناس عقلاء؟ ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ من أهل الإيمان مع موسى عليه السلام، ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾؛ أي: اعزموا على ذلك، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فالشاهد من الآية: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: من شرط الصدق في الإيمان بالله أن لا يتوكلوا إلَّا عليه، وأن يُفردوه بالتوكُّلِ كما يَجب أن يُفردوه بالدعاء والاستغفار، وأمر الله عبادَه أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولا يَصْدُق قائلُ هذا إلَّا إذا أفرد العبادة لله وحده، وإلَّا كان كاذبًا مَنهيًّا عن أن يقولَ هذه الكلمة؛

• **قوله: (أي: من شرط الصدق في الإيمان بالله أن لا يتوكلوا إلَّا عليه، وأن يُفردوه بالتوكُّلِ)** فمن يتوكل عليه وعلى غيره من المقبورين والموتى فهذا ليس بمؤمن.

• **قوله: (كما يَجب أن يُفردوه بالدعاء والاستغفار)**، فيفردوه بكل أنواع العبادة، فيجب أن يُفرد الله بكل أنواع العبادة، لا بالتوكل فقط.

• **قوله: (وأمر الله عبادَه أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾)**، في سورة (الفاتحة) أمر الله عباده أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥]، هذه آية من سورة الفاتحة التي نقرؤها في كل ركعة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ أي: لا نعبد غيرك، وهذا حصر. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذا في حق الله جلَّ وعلا، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا في حق العبد أن لا يستعين إلا بالله ﷻ، فحق الله على عباده أن يعبدوه، وحق العباد على الله أن يعينهم إذا استعانوا به، وأن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا. لكن من الناس من يعبد الله ولا يتوكل عليه، ومنهم من يتوكل عليه ولا يعبده، ومنهم من لا يتوكل عليه ولا يعبده. فلا بد أن يجمع بين الأمرين، يعبد الله ويتوكل عليه.

• **قوله: (ولا يَصْدُق قائلُ هذا إلَّا إذا أفرد العبادة لله وحده)**، كما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا يصدق في ذلك إلا إذا أفرد الله بالعبادة، أما إذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ثم قال: يا علي، يا حسين، يا عبد القادر، يا بدوي... إلى آخره، فهذا كاذب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، كما قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإلَّا كان كاذبًا مَنهيًّا عن أن يقولَ هذه الكلمة)**؛ أي: كان كاذبًا في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ فهذا عهد بين العبد وربه، أن لا يعبد إلا إياه،

إذ معناها، نخصُّك بالعبادة ونفردُك بها دون كلِّ أحد، وهو معنى قوله: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]؛ لِمَا عُرف مِن علم البيان أنَّ تقديم ما حقُّه التأخير يفيد الحصر؛ أي: لا تعبدوا إلَّا الله ولا تعبدوا غيرَه، ولا تتَّقوا إلَّا الله ولا تتقوا غيرَه، كما في (الكشاف)[1].

وأن لا يستعين إلا به، فإن خالف هذا العهد، وعبد غير الله واستعان بغير الله؛ فهو ناقض للعهد وكاذب فيه.

• **قوله**: (إذ معناها: نخصُّك بالعبادة ونفردُك بها دون كلِّ أحد)؛ لأنها تفيد الحصر؛ حصر العبادة لله ﷻ.

• **قوله**: (وهو معنى قوله: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾) تفيد الحصر مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، فقوله: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾؛ أي: لا تعبدوا معي غيري، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

• **قوله**: (**لِمَا عُرف مِن علم البيان أنَّ تقديم ما حقُّه التأخير يفيد الحصر**)، هذه هي القاعدة البلاغية: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، فالأصل في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾: نعبدك، فقدم المعمول على العامل ليفيد الحصر.

• **قوله**: (كما في (الكشاف))؛ أي: كتاب (الكشاف) للزمخشري وهو كتاب في التفسير؛ لأن الزمخشري من علماء البلاغة والبيان واللغة، فهو حجة في هذا التفسير.

---

(١) انظر: «الكشاف» (١/ ١٣١).

فإفرادُ الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتِمُّ إلَّا بأن يكونَ الدعاءُ كلُّه له، والنداءُ في الشدائد والرخاء لا يكون إلَّا لله وحده، والاستغاثة والاستعانةُ بالله وحده، واللُّجأ إلى الله، والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذلُّلًا لله تعالى، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كلُّه لا يكون إلَّا لله ﷻ.

الشرح:

• **قوله: (فإفرادُ الله بتوحيد العبادة لا يتِمُّ إلَّا بأن يكونَ الدعاءُ كلُّه له)**، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

• **قوله: (والنداءُ في الشدائد والرخاء لا يكون إلَّا لله وحده والاستغاثة والاستعانةُ بالله وحده)**؛ الفرق بين الاستعانة والاستغاثة: أن الاستغاثة تكون في الشدة، وأما الاستعانة فتكون في الرخاء، ويجب أن تُفرد الاستغاثة والاستعانة بالله ﷻ.

• **قوله: (واللُّجأ إلى الله والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات)** هذه أمثلة، وإلا فجميع أنواع العبادات يجب إفراد الله بها، ولا تُصرف لغيره كائنًا من كان؛ لا إلى الملائكة، ولا إلى الرسل والأولياء والأنبياء، ولا إلى الأولياء والصالحين.

• **قوله: (من الخضوع والقيام تذلُّلًا لله تعالى، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كلُّه لا يكون إلَّا لله ﷻ)**؛ العبادات قد تكون باللسان مثل: التسبيح والتهليل وتعليم العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء والاستغاثة وغير ذلك. وقد تكون العبادة بالقلب مثل الخوف، والرجاء والرغبة والرهبة والاستعانة والاستغاثة والتوكل وغير ذلك، وقد تكون العبادة بالجوارح مثل الصيام، والصلاة، والجهاد، وغير ذلك، وقد تكون أيضًا بالمال مثل الزكاة والصدقات والنذور لله ﷻ.

....

- **قوله**: (**من الخضوع**) هذا عمل قلبي، وإن أريد به الخضوع بمعنى الركوع والسجود فهذا عمل بدني.
- **قوله**: (**والقيام تذلُّلًا لله تعالى**)، هذا من عمل الجوارح.
- **قوله**: (**والركوع والسجود والطواف**)؛ كذلك لا يجوز الركوع لغير الله، ولا السجود لغير الله؛ لأن هذه عبادات، والطواف لا يجوز إلا بالبيت العتيق عبادة لله ﷻ، فلا يُطاف بالقبور ولا بالمقامات، ولا بالأضرحة.
- **قوله**: (**والتجرد عن الثياب**)؛ في الإحرام، فأنت تتجرد من ثيابك المخيطة كلها، وتلبس إزارًا ورداءً غير مخيطين، وهذا لله ﷻ، فلا تُحرم لغير الله، فلا تُحرم لقبر أو لضريح، تعظيمًا لمخلوق.
- **قوله**: (**والحلق والتقصير كلُّه لا يكون إلَّا لله ﷻ**)؛ أي: حلق الرأس والتقصير هذا في الحج والعمرة عبادة لله ﷻ، ونسك من مناسك الحج والعمرة، أما حلق الرأس للأصنام أو للقبور تعظيمًا لها؛ فهذا شرك أكبر كما مر بنا، فلا تُحلق الرؤوس عبادة إلا لله ﷻ، أما حلقها من باب العادة والحاجة فلا بأس؛ هذا مباح.

ومَن فعل شيئًا من ذلك لمخلوق حيٍّ أو ميت أو جماد أو غيره، فقد أشرك في العبادة، وصار مَن تُفعل له هذه الأمور إلَهًا لِعَابِدِيه، سواءٌ كان مَلَكًا أو نبيًا أو وليًا أو شجرًا أو قبرًا أو جنيًا أو حيًا أو ميتًا، وصار العابدُ بهذه العبادة أو بأيِّ نوع منها عابدًا لذلك المخلوق مشركًا بالله، وإن أقرَّ بالله وعَبَدَه، فإنَّ إقرارَ المشركين بالله وتقرُّبَهم إليه لَم يُخرجهم

❁ **الشرح:**

- **قوله:** (ومَن فعل شيئًا مِن ذلك لمخلوق) أيًا كان هذا المخلوق.

- **قوله:** (حيٍّ أو ميت أو جماد أو غيره)؛ كشجر أو حجر، فهذا عبادة للمخلوق؛ ولهذا قال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وكلمة ﴿شَيْئًا﴾ نكرة جاءت في سياق النهي، فتعم كل شيء؛ فلا يجوز الشرك بالله ﷻ بأي شيء.

- **قوله:** (وصار مَن تُفعل له هذه الأمور إلٰهًا لِعَابِدِيه)؛ من تُفعل له هذه الأمور كمن يُركع له، ويُسجد له، ويُطاف بقبره، ويُذبح له؛ يصير إلٰهًا لمن فعل ذلك له، فقد جعله إلٰهًا بهذه الأفعال.

- **قوله:** (سواءٌ كان مَلَكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرًا أو قبرًا أو جنيًّا أو حيًّا أو ميتًا)؛ فلا يقل أحد: أنا لا أعبد إلا الصالحين؛ أعبد الملائكة والرسل والأولياء؛ فالله نهاك عن عبادة غيره؛ أيًا كان، لا الصالحين ولا غير الصالحين.

- **قوله:** (وصار العابدُ بهذه العبادة أو بأيِّ نوع منها عابدًا لذلك المخلوق مشركًا بالله، وإن أقرَّ بالله وعَبَدَه)؛ وإن أقر بالله ربًّا ومدبرًا وخالقًا؛ أي: أقر بتوحيد الربوبية، وحتى ولو عبد الله ببعض أنواع العبادة، فإذا أشرك في شيء منها؛ فعبادته باطلة.

- **قوله:** (فإنَّ إقرارَ المشركين بالله وتقرُّبَهم إليه لَم يُخرجهم

عن الشركِ، وعن وجوب سَفك دمائِهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم غنيمة، قال الله تعالى: «أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ»[١]، لا يقبل الله عملًا شورك فيه غيرُه، ولا يؤمن به مَن عَبَدَ معه غيرَه.

عن الشركِ)؛ المشركون في كل جيل - وفي الذين قاتلهم رسول الله ﷺ - مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، ولم ينفعهم ولم يُدخلهم في الإسلام، لن ينقذهم يوم القيامة من النار، ولو تقربوا إلى الله ببعض أنواع العبادات؛ فإذا أشركوا بالله ولو في نوع واحد من أنواع العبادة، فعبادتهم لله كلها باطلة.

• **قوله**: (**وعن وجوب سَفك دمائِهم، وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم غنيمة**)؛ هذا لأنهم كفار، والكافر حلال الدم والمال في الجهاد، وليس حلال الدم والمال مطلقًا.

• **قوله**: (**وسبي ذراريهم**) ويكونون أرِقاءَ، هذا في الجهاد في سبيل الله.

قال الله - جلَّ وعلا - في الحديث القدسي: «**أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٢]، وفي رواية: «**فأنا منه بري وهو للذي أشرك**»[٣]. فالله لا يقبل العمل الذي فيه شرك، ولا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه ﷻ، وصوابًا على سُنَّة نبيه ﷺ، هذا هو العمل الذي يقبله الله.

• **قوله**: (**ولا يؤمن به مَن عَبَدَ معه غيرَه**)؛ لا يؤمن بالله من عبد معه غيره، فلا يؤمن بالله الإيمان الصحيح، وأما الإيمان بتوحيد الربوبية فهذا ممكن، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، فهم يؤمنون بالله في توحيد الربوبية، ويشركون في توحيد الألوهية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).
(٢) الحديث السابق.
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢).



فصل

إذا تقرَّر عندك أنَّ المشركين لَم ينفعهم الإقرارُ بالله مع إشراكهم الأندادَ من المخلوقين معه في العبادة، ولا أغنى عنهم مِن الله شيئًا، وأنَّ عبادتَهم هي اعتقادُهم فيهم أنَّهم يَضرُّون وينفعون، وأنَّهم يقرِّبُونهم إلى الله زلفى، وأنَّهم يَشفعون لهم عند الله تعالى، فنَحَروا لهم النَّحائرِ، وطافُوا بهم، ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذلِّلين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم، ومع هذا كلِّه فهم مقرُّون لله بالربوبية وأنَّه الخالقُ، ولكنَّهم لَمَّا أشركوا في عبادته جعلهم مشركين ولَم يَعْتَدَّ بإقرارهم هذا؛ لأنَّه نافاه فعلُهم، فلم ينفعهم الإقرارُ بتوحيد الربوبية.

❁ الشرح:

• **قوله: (إذا تقرَّر عندك أنَّ المشركين لَم ينفعهم الإقرارُ بالله مع إشراكهم الأندادَ من المخلوقين معه في العبادة،... فلم ينفعهم الإقرارُ بتوحيد الربوبية).**

هذا الذي ذكره المؤلف هو ما جاءت به الرسل، ودعت إليه الأئمة بعد الرسل، من أن الإقرار بتوحيد الربوبية مع الإشراك في توحيد الألوهية لا ينفع، ولا ينجي من النار.

وهذا أصل عظيم أجمع عليه الرسل، وأجمع عليه المسلمون، ودعا إليه الأئمة، ومِنْ آخر مَنْ دعا إليه هذان الإمامان المتعاصران: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وشيخ الإسلام الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ، ونادى به ودعا إليه أيضًا الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ، وتواتر هذا عند الأئمة في الأمصار، ولكن مع هذا فالقبوريون أبوا إلا أن يصروا على الشرك، ولا يستمعوا لدعوة المصلحين، وقالوا: إنا وجدنا آباءنا على هذا، وهذه هي المصيبة والبلية، اتخذوا القبور أوثانًا تُعبد من دون الله، وبنوا عليها

....

الأضرحة، وأوقفوا عليها الأوقاف والنذور، وجعلوا لها الحجب والستائر والسَّدَنَة، وجعلوها موارد للكسب من الناس، وموارد يرتزقون من ورائها من السُّذج ومن الدهماء الذين غرُّوهم بهذه المظاهر الشركية، وجعلوا على هذه القبور بناياتٍ مزخرفةً، وأسرجوها بأنواع السُّرُج والمصابيح، وجعلوها أوثانًا تُعبد من دون الله، ويقولون: هذا هو الإسلام، وهذه محبة للصالحين، والذي لا يفعل هذا معناه أنه لا يحب الصالحين ويبغضهم، تعالى الله عن ذلك.

وهل محبة الصالحين معناها أن نشركهم مع الله ﷻ في العبادة؟ ما قال هذا إلا شياطين الجن والإنس، وهذه مصيبة عظيمة يعيشها الآن كثير من العالم الإسلامي، والمسجد الذي ليس فيه قبر لا قيمة له عندهم، ولا يذهبون إليه، وإنما يسألون عن المساجد المبنية على القبور فقط! هذه مصيبة وبلية كبيرة؛ ففتنة القبور من أشد الفتن التي دخلت على الإسلام بعد القرون المفضلة؛ حينما استولى الشيعة الفاطميون على بلاد المغرب، وعلى مصر، جاؤوا بهذه البلية، وبنوا على القبور، وأغروا العامة، حتى أصبحت هذه عقيدة عاشوا عليها وتوارثوها، ومَنْ أنكرها فهو خارج عن الدين، فيسمونهم (خوارج)، ويسمونهم (وهابية)، إلى غير ذلك، ويقولون: أنت تبغض الصالحين!...

فيجب التنبه لهذا البلاء الذي دخل على المسلمين، واجتاح كثيرًا من بلادهم ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأصبحت دعوى الرسل غريبة الآن؛ فالذي يدعو بدعوة الرسل يُعادى ويُقاطع ويحارب، ويُقال: هذا متشدد وهذا! وهذا! إلى آخره، مع أن هذه هي دعوة الرسل، وهذا هو الذي أمر الله به ﷻ قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، فما هو الشرك غير هذا!؛ الشرك هو صرف العبادة لغير الله من ذبح، ونذر وركوع وسجود ودعاء واستغاثة، هذا هو الشرك، وهم يقولون: لا، الشرك عبادة الأصنام، والأشجار، والأحجار، أما الأولياء والصالحون فهذا ليس بشرك.

....

نقول لهم: الأولياء والصالحون عبدهم قوم نوح، وهم أول الأمم عبدوا الأولياء والصالحين: ودًّا وسواعًا، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، ومع هذا بعث الله إليهم أول الرسل نوحًا عليه السلام ودعاهم إلى التوحيد، وعاش فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولم يستجب له إلا القليل، والكثير ناصبوه العداوة، مع طول بقائه فيهم يدعوهم إلى الله، وإبدائه وإعادته عليه الصلاة والسلام، فلما تمردوا في آخر الأمر، قال الله لعبده ورسوله نوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، عند ذلك دعا عليهم نوح عليه السلام قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، فعند ذلك أخذهم الطوفان وغرق الذين كفروا جميعًا عن آخرهم، ولم ينجُ إلا من ركب مع نوح عليه السلام في السفينة التي أمره الله بإعدادها وصناعتها، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين؛ لأجل بقاء النسل في الأرض.

هذا هو الشرك، والعياذ بالله، وهذا هو الذي يُمارس الآن في بلاد المسلمين، فيجب التنبه لهذا، ويجب استدراك الأمة وذلك بالدعوة إلى الله، وبيان هذا الشرك والتحذير منه. وأكثر هذه البلاد يمارس فيها هذا الشرك ليس فيها مَنْ يدعو لله ولا مَنْ يبين لهم هذا، وظنوا أن هذا الذي أدركوا عليه المتقدمين وعاشوا عليه هو الحق، ولم يكن عندهم مَنْ يدعوهم إلى الله، ولا من يبين لهم هذا الأمر، إلا نوادر محاصرة ومضايقة ولا يُسمع لها، ولكن مع هذا لا نسكت عن الدعوة إلى الله والبيان والتوضيح للناس؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

هذا واجبنا، أما الهداية فهي بيد الله ﷻ أما إننا نسكت ونطأطئ رؤوسنا ونترك هذا، فإنه يخشى على الأمة من الهلاك؛ لأنه إذا نزل العذاب عَمَّ الطالح والصالح الذي لم ينكر، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥]، فهي

....

تعم الصالح والطالح، لماذا تعم الصالح؟؛ لأنه لم يُنْكر، أما مَنْ أنكر فإنه ينجو بإذن الله، عندما ينزل العذاب.

هذا هو الذي ذكره الإمام الصنعاني في هذه المسألة، وهي التي يُعاني منها العالم الإسلامي اليوم، وقبل اليوم، وهو أنهم يعبدون الأولياء والصالحين في قبورهم، ويقولون: نحن لا نعبدهم وإنما نتوسل بهم إلى الله، ونطلب شفاعتهم، وهذا هو الذي قاله المشركون من قبل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، أقرُّوا أنهم يعبدونهم، ولكنهم يقولون: إنهم يعبدونهم من أجل أن يقربوهم إلى الله، من أجل أن يشفعوا لهم عند الله، وهذا هو الذي يقوله القبوريون اليوم، يقولون: نحن لا نعتقد أنهم يخلقون ويرزقون ويدبرون الكون.

• **قوله**: (**لَم ينفعهم الإقرارُ بالله مع إشراكهم الأندادَ من المخلوقين معه في العبادة**)؛ فالتوحيد هو: إفراد الله في العبادة، وليس هو إفرادَ الله في الربوبية.

• **قوله**: (**وأنَّ عبادتَهم هي اعتقادُهم فيهم أنَّهم يَضرُّون وينفعون**)؛ فعبادتهم لأصحاب القبور هي اعتقادهم فيهم أنهم ينفعون ويضرُّون، ويشفعون عند الله؛ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، هذا مرادهم.

• **قوله**: (**فنَحَروا لهم النَّحائِر**)؛ يعني: نحروا لهم الإبل، فالنحر للإبل، والذبح للبقر والغنم.

• **قوله**: (**وطافُوا بهم**)؛ يعني: بقبورهم، يطوفون على القبور الآن، يطوفون على قبر الحسين، مثل ما يطاف حول الكعبة المشرفة وغيرها من الأوثان!.

• **قوله**: (**ونذروا النذور عليهم**)؛ أي: على القبور، فإذا مرض أو أراد

....

أن يُشفى مريضه، أو أراد أن تُقضى حوائجه نذر للقبر الفلاني، يُقال: انذر للقبر الفلاني لتُقضى حاجتك!.

• **قوله: (وقاموا متذلِّلين متواضعين في خدمتهم)**؛ يعني: في عبادتهم، وإذا حضروا عند قبورهم أطرقوا رؤوسهم وبكوا وتضرعوا أكثر مما يتضرعون إلى الله في المساجد وفي أثناء العبادة، يتضرعون عند القبور، ويتذللون ويتمرغون على الأعتاب ويُقَبلونها، ويتمسحون بالشبابيك، وبالأبواب وبالجدران التي على الأضرحة، ويعطرونها بأنواع العطورات، ويعكفون عندها ويبقون أيامًا عند القبر، ويذبحون لها إلى آخر ما يفعلون. كما يحصل عند البدوي في طنطا بمصر.

• **قوله: (وسجدوا لهم)**؛ أي: يسجدون للقبر، ويقولون: إن صاحب هذا القبر يقربنا إلى الله ويشفع لنا عند الله.

• **قوله: (ومع هذا كلِّه فهم مقرُّون لله بالربوبية وأنَّه الخالقُ)**؛ أي: مع هذه الأفعال الشنيعة فهم مقرون لله بالربوبية، ولكنهم لا يخلصون له بالألوهية والعبادة، وحتى العقائد التي تُدَرَّس الآن في بعض البلدان غالبها إنما يقرر توحيد الربوبية، والرد على الملحدين، ولا يردون على المشركين.

• **قوله: (ولكنَّهم لَمَّا أشركوا في عبادته)**؛ يعني: في توحيد الألوهية.

• **قوله: (جعلهم مشركين)**؛ مع أنهم يقرون بالربوبية، فدل على أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا ينجي من الشرك، حتى يضاف إليه الإقرار بتوحيد الألوهية.

• **قوله: (ولَم يَعْتَدَّ بإقرارهم هذا)**؛ أي: لم يَعْتدَّ بإقرارهم بالربوبية، وأمر بقتالهم حتى يعبدوا الله وحده، قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا**

. . . .

بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[١]. فقول: (لا إله إلا الله) لا يكفي بالتلفظ فقط، بل يقولونها ويقرون بها ويعملون بها، هذا هو المطلوب.

• **قوله**: (**لأنَّه نافاه فعلُهم**)؛ فتناقضوا، يقرون بأنه هو الرب ويشركون معه غيره، وهذا تناقض؛ إقرار من وجه وإنكار من وجه.

• **قوله**: (**فلم ينفعهم الإقرارُ بتوحيد الربوبية**)؛ لأن توحيد الربوبية أكثر العالم مقرون به، حتى إبليس قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢]، حلف بعزة الله، فهو مقر بالرب ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦).

فمن شأن مَن أقرَّ لله تعالى بتوحيد الربوبية أنْ يُفردَه بتوحيد العبادة، فإذا لَم يفعل ذلك فالإقرارُ الأول باطل.

وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار، فقالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، ....

۞ الشرح:

• **قوله:** (فمن شأن مَن أقرَّ لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يُفردَه بتوحيد العبادة)؛ الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية، والإقرار بتوحيد الألوهية يتضمن الإقرار بتوحيد الربوبية، وهذه العلاقة لازمة بين نوعي التوحيد، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.

• **قوله:** (فإذا لَم يفعل ذلك فالإقرارُ الأول باطل)؛ لأنه لم يأت باللازم، بل أقر بالملزوم ولم يأت بلازمه، فالإقرار إذن باطل.

• **قوله:** (وقد عرفوا ذلك)؛ يعني: سيعرفونه في المستقبل إذا دخلوا في النار، يقولون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧﴾؛ يعني: في الدنيا، ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٨﴾؛ يقولون لمعبوداتهم التي تُلقى معهم في النار، وكذا يقولون لدعاة الضلال الذين دعوهم إلى الشرك ودخلوا معهم النار: ﴿تَٱللَّهِ﴾؛ هذا قسم، ﴿إِن كُنَّا﴾؛ يعني: في الدنيا، ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ بيِّن واضح، ولكنه لم يتبين لهم إلا وهم في النار، وهذا لا ينفعهم، ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾؛ يعني: نعادلكم، ﴿بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، في أي شيء يسوونهم؟ يسوونهم في العبادة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: يسوون غيره به ﷻ وقد اعترفوا وقالوا: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا﴾ هل الرسل أضلوهم؟ لا، ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩﴾ [الشعراء: ٩٩] المجرمون: دعاة الضلال من شياطين الجن والإنس، أضلوهم عن الحق وعن دعوة الرسل، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشعراء: ١٠٠]، فلا أحد يشفع لهم في إخراجهم من النار؛ لأن المشرك لا

مع أنَّهم لم يُسَوُّوهم به من كلِّ وجه، ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين، لكنَّهم علموا وهم في قَعْرِ جهنَّم أنَّ خلطَهم الإقرار بذرَّة من ذرَّات الإشراك في توحيد العبادة صيَّرهم كمَن سَوَّى بين الأصنام وبين رب الأنام.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]؛ أي: ما يُقرُّ أكثرُهم في إقراره بالله وبأنَّه خَلَقَهم وخلَق

تُقبل فيه الشفاعة أبدًا، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾؛ يعني: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠٢]، يتمنون المستحيل، فالترجي يكون للممكن، أما التمني فهو للمستحيل.

• **قوله: (مع أنَّهم لم يُسَوُّوهم به من كلِّ وجه)**؛ أي: هم لم يسووهم به في الربوبية، وإنما سووهم به في الألوهية.

• **قوله: (أنَّ خلطَهم الإقرار بذرَّة من ذرَّات الإشراك في توحيد العبادة صيَّرهم كمن سَوَّى بين الأصنام وبين رب الأنام)**؛ فلا فرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الأولياء والصالحين؛ لأن هذا كلُّه صرفٌ للعبادة لغير الله ﷻ، فمن صرفها لصنم كمن صرفها لشجرة أو صرفها لولي من الأولياء.

قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٣ ـ ١٠٦]؛ أي: لا يؤمن أكثرهم بتوحيد الربوبية إلا وهم مشركون في توحيد الألوهية.

• **قوله: (أي: ما يُقرُّ أكثرُهم في إقراره بالله وبأنَّه خلَقَهم وخلَق**

السموات والأرض إلَّا وهو مشركٌ بعبادة الأوثان.

بل سمَّى الله تعالى الرياء في الطاعات شركًا، ....

السمٰوات والأرض إلَّا وهو مشركٌ بعبادة الأوثان)؛ أي: جمعوا بين الإقرار بالربوبية والشرك بالألوهية، وهذا تناقض. إذًا فمَنْ صرف جهده كله ودعوته ومؤلفاته في تقرير توحيد الربوبية، ففعله تحصيل حاصل، ولم يفعل شيئًا أبدًا.

● **قوله: (بل سمَّى الله الرياء في الطاعات شركًا)**؛ الرياء في الطاعة هو أن الإنسان يعبد الله ويصلي ويتصدق لله، وليس للأصنام ولا للقبور ولكن يدخل في قلبه محبة المدح والثناء على هذه العبادة من الناس، فيخالط عبادته الرياء فيبطلها، فالرياء يبطل العمل الذي دخل فيه، ويجعله لمن راءاه يقول الله ـ جلَّ وعلا ـ للمرائين يوم القيامة: «**اذْهَبُوا إِلى الَّذِين كُنْتُمْ تُرَاءُون فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[1]؛ فالرياء يبطل العمل الذي خالطه، مع أن أصله خالص لله تعالى، فإذا كان هذا في الرياء، فكيف بالشرك والعياذ بالله؟.

والرياء خافه الرسول ﷺ على الصحابة وحذَّرهم منه؛ لأن الشرك الأكبر لا يقع ولا يصدر من مؤمن، أما الرياء فقد يصدر من المؤمن فيبطل العمل الذي عمله؛ ولهذا كان الصحابة يخافون من الرياء، والنبي ﷺ قال لهم: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»[2]، «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى من نَظَرِ رَجُلٍ**»[3]. هذا يدخل على الإنسان إلا من وفقه الله للإخلاص، وقد يدخل على الصالحين إلا من سلَّمه الله ﷻ. وإذا كان هذا في الرياء، فكيف في الشرك الأكبر وعبادة القبور؟.

والفرق بينهما أن الشرك الأكبر يبطل جميع الأعمال، بينما الرياء يحبط

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٣٦٣٠).
(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣٦٣٠).
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤).

مع أنَّ فاعلَ الطاعة ما قصد بها إلَّا الله تعالى، وإنَّما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عَبَدَ الله لا غيرَه، لكنَّه خَلَطَ عبادتَه بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة وسمَّاها شركًا.

العمل الذي دخل فيه فقط، ولا يبطل بقية الأعمال، فصاحبه مؤمن، ولكن خسر أجر هذا العمل الذي تعب فيه وخالطه الرياء.

● **قوله: (مع أنَّ فاعلَ الطاعة ما قصد بها إلَّا الله تعالى)**؛ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، لا شركًا أكبر ولا شركًا أصغر.

كما أخرج مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ، من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١). بل سمَّى الله التسمية بعبد الحارث شركًا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف: ١٩٠]؛ ....

۞ الشرح:

الرياء شرك في المقاصد والنِّيَّات، وهو يحبط العمل الذي خالطه؛ لأنه شرك وخطره عظيم، الله ـ جلَّ وعلا ـ يقول في الحديث القدسي: «**أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٢)، وفي رواية: «**فأنا منه بريء وهو لِلَّذِي أَشْرَكَ**»، فلا يقبل الله إلا ما كان خالصًا له، ليس في رياء ولا سمعة. والرياء لما يُرى من الأعمال، والسمعة لما يُسمع من الأقوال، وبعض الناس يهلل ويسبح ويقرأ القرآن ويحسن صوته ويرتل من أجل أن يمدحه الناس، فهذا يسمى بالسمعة، ولا ثواب له في ذلك.

• **قوله**: (بل سمَّى الله التسميةَ بعبد الحارث شركًا) هذا في قصة آدم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾؛ يعني: وطئها، ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ﴾ كان الحمل في الأول خفيفًا تمر به وتمشي، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ وصلت للولادة، ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ الأب والأم، ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾؛ يعني: سوي الخلقة، ﴿...لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] يبيِّن هذا ما جاء في الحديث من أنه كان لا يعيش لآدم ولدٌ، فلما حملت في الأخير، أتى الشيطان إلى حواء وقال لها: إذا كنت تريدين له أن يبقى فسميه عبد الحارث، فأبت، ثم جاء مرة ثانية، ثم جاء مرة ثالثة،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢).

فإنَّه أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سَمرة أنَّ النبي ﷺ قال: «لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ ـ وكان لَا يَعِيشُ لها وَلَدٌ ـ طَافَ بها إِبْلِيسُ، وقال: لَا يَعِيشُ لك وَلَدٌ حتى تسَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَسَمَّتْهُ فَعَاشَ، وكان ذلك من وَحْيِ الشَّيْطَانِ وأَمْرِهِ»[1]، فأنزل الله الآيات، وسمَّى هذه التسمية شركًا،

فأدركهما حبُّ الولد فسمَّياه (عبد الحارث) وأطاعا الشيطان، فأنزل الله فيهما هذه الآيات: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾؛ يعني: سويًّا في خلقته ولم يمت، ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ حيث سمياه (عبد الحارث)، ولا يجوز التسمية بالتعبيد لغير الله، وهو حرام؛ فلا يُقال: عبد العزى، عبد الحسين، عبد شمس، عبد الكعبة، فسمياه (عبد الحارث) فعبَّداه لغير الله؛ لأجل أن يعيش ولم يكونا يقصدان الشرك، فأنكر الله عليهما ذلك وقال: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾؛ يعني: في الطاعة وليس في العبادة؛ لأنهما أطاعا الشيطان، وهذا من الشرك الأصغر وليس من الشرك الأكبر.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ ختام الآية في عبدة الأصنام، والأشجار والأحجار، أما أول الآية ففي آدم وحواء؛ فدل على أن الله لا يرضى بالشرك من أحد، لا أكبر ولا أصغر. وقد أشكل هذا على بعض العلماء، وقالوا: ما يتصور أن هذا يحصل من آدم، وردوا الحديث الوارد في ذلك، ولكن الفريق الآخر من العلماء والأئمة كابن جرير والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما من الأئمة وسليمان بن عبد الله في (تيسير العزيز الحميد)، وكذا عبد الرحمٰن بن حسن في (فتح المجيد) يقولون: هذا وارد في آدم وحواء في أول الآية، والتثنية تدل على هذا؛ ﴿ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾.

• **قوله: (فإنَّه أخرج الإمام أحمد والترمذي...)** هذا الحديث تفسير للآيات، والحارث اسم لإبليس.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٠١١٧)، والترمذي (٣٠٧٧).

وكان إبليس تسمى بـ (الحارث)، والقصة في الدر المنثور[1] وغيره.

• **قوله**: (والقصة في الدر المنثور)؛ أي: القصة مذكورة في كتاب (الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور) للسيوطي، وقد طُبع في عشرة مجلدات.

• **قوله**: (وغيره)؛ أي: في كتب التفسير، فلا أحد ينكر هذا. والشيخ محمد بن عبد الوهاب قد عقد بابًا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾) وذكر هذا الحديث في نفس الباب.

---

(١) عند الآية (١٩٠) من سورة الأعراف.



فصل

قد عرفتَ مِن هذا كلِّه أنَّ مَن اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو مَلَكٍ أو جنيٍّ أو حيٍّ أو ميت أنَّه ينفع أو يضر، أو أنَّه يقرِّب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى، إلَّا ما ورد في حديث فيه مقال في حقِّ نبيِّنا محمد ﷺ بخصوصه أو نحو ذلك، ....

❁ الشرح :

• **قوله: (إلَّا ما ورد في حديث فيه مقال في حقِّ نبيِّنا محمد ﷺ)**؛ هذا حديث الأعمى الذي رواه الترمذي وغيره[1]، وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «التوسل والوسيلة»[2]، وقد تكلم فيها وأطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أتى النبي ﷺ، فقال: ادْعُ الله أنْ يُعَافِيَنِي، قال: «**إن شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لك**»، قال: فَادْعُهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بهذا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إني تَوَجَّهْتُ بِكَ إلى رَبِّي في حَاجَتِي هذه لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»»، ومعناه أنه يتشفع ويتوسل بدعاء الرسول ﷺ؛ لأنه قال للرسول ﷺ: «ادْعُ الله أنْ يُعَافِيَنِي». وطلبُ الدعاء من الحي الحاضر ـ من النبي أو من غيره ـ لا بأس به، كما طلب عمر رضي الله عنه من العباس رضي الله عنه أن يستسقي ويدعو الله للمسلمين[3]، فهذا توسل جائز أن تطلب من العبد الصالح أن يدعو الله لك لقضاء حاجتك.

وهذا الذي فعله الأعمى مع الرسول ﷺ، فطلب منه الدعاء،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨)، والإمام أحمد في المسند (١٧٢٤٠ ـ ١٧٢٤١).

(٢) ص(٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري (١٠١٠).

فإنَّه قد أشرك معه غيره، واعتقد ما لا يَحلُّ اعتقادُه، كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلًا عمَّن ينذر بماله وولده لميِّت أو حيٍّ، أو يطلبُ من ذلك الميت ما لا يُطلب إلَّا من الله تعالى من الحاجات،

والرسول ﷺ أرشده إلى الصبر، ولكن الرجل اختار أن يدعو الله له، فدعا الرسول ﷺ له، فرد الله عليه بصره، وأخذ من هذا الخرافيون أنه يجوز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته، فيطلبون منه الدعاء بعد موته، وهذا غلط، وهذا الحديث رُدَّ عليه بجوابين:

الأول: أن الحديث ضعيف، ففي سنده مقال.

الثاني: أنه لو صح فليس فيه حجة لهم؛ لأنه في طلب الدعاء من الحي الحاضر، وهذا أمر مشروع، فهو من التوسل الجائز، فزالت بهذا هذه الشبهة.

• **قوله**: (**إلَّا ما ورد في حديث فيه مقال**)؛ أي: في سنده مقال، هذا جوابه.

• **قوله**: (**فإنَّه قد أشرك معه غيره**)؛ هذا يرجع إلى قوله: فإن مَن اعتقد في شجر أو حجر أو نبيٍّ أو وليٍّ أنه يضر أو ينفع فإنه قد أشرك بالله الشرك الأكبر.

• **قوله**: (**كما اعتقد المشركون في الأوثان**)؛ فلا فرق بين مَن اعتقد في الأوثان والأصنام ومَنْ يعتقد في الأولياء والصالحين، لا فرق؛ لأن المشركين في الجاهلية كانوا يعبدون الملائكة، ويعبدون عيسى، ويعبدون عزيرًا، ويعبدون الأنبياء والصالحين، فلم ينفعهم ذلك، فلا فرق بين من يدعو نبيًّا أو وليًّا أو رجلًا صالحًا، وبين من يدعو الأصنام والأشجار والأحجار، فكلها دعوة لغير الله ﷻ، فلو قرأتم كتاب (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لتبين لكم الرد على هذه الشبهات.

• **قوله**: (**أو يطلبُ من ذلك الميت ما لا يُطلب إلَّا من الله تعالى من الحاجات**)؛ كشفاء المرض، وإنزال المطر، فهذا لا يقدر عليه إلا الله، حتى

من عافية مريضِه أو قدوم غائبِه أو نيله لأيِّ مطلب من المطالب، فإنَّ هذا هو الشركُ بعينه الذي كان ويكون عليه عُبَّادُ الأصنام، والنَّذرُ بالمال على الميت ونحوه، والنَّحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه، وهو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، ....

من الحيِّ؛ فلا يُطلب من الحي أن يشفي المريض، أو أن يُنزل المطر للناس، فهذا لا يقدر عليه إلا الله ﷻ.

• **قوله**: (أو نيله لأيِّ مطلب من المطالب)؛ فالميت لا يُطلب منه شيءٌ؛ لأنه قد انقطع عمله، أما الحي فيُطلب منه ما يقدر عليه من الإعانة والإغاثة، فلا بأس أن تقول: يا فلان هات لي من السوق كذا، يا فلان ساعدني في بناء كذا، احمل معي هذا المتاع، فالشيء الذي قدر عليه الحي المخلوق الحاضر لا بأس به، أما الشيء الذي لا يقدر عليه فلا يجوز أن يُطلب من المخلوق؛ ولو كان حيًّا وحاضرًا.

• **قوله**: (من عافية مريضِه)؛ فهذا لا يقدر عليه إلا الله.

• **قوله**: (أو قدوم غائبه)؛ مِنَ الذي يرد الغائب إلا الله؟! فلا يقدر أحد أن يرد الغائب إلا الله، وكذلك رد الضالة الضائعة، فهذا لا يقدر عليه إلا الله.

• **قوله**: (فإنَّ هذا هو الشرك بعينه)؛ الشرك الأكبر بعينه، وهم يسمونه التوسل والتشفع... إلى آخره، فالأسماء لا تغير الحقائق، فلو سميت الخمر عسلًا أو سميت السم عسلًا ما تغير، فهو سمٌّ وخمر، والاسم لا يغير الحقيقة، إذا سموا الشيء بغير اسمه لا يقلبه إلى غيره أبدًا. وسيأتي في كلام المؤلف.

• **قوله**: (الذي كان ويكون عليه عُبَّادُ الأصنام)؛ عباد الأصنام والأشجار والأحجار، فلا فرق بين هؤلاء وبين مَنْ يعبد الأصنام.

• **قوله**: (والنَّذْرُ بالمال للميت ونحوه، والنَّحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية)؛ بلا شك هذا هو

وإنَّما كانوا يفعلونه لِمَا يسمُّونه وثنًا وصنمًا، وفعله القبوريون لِمَا يسمُّونه وليًّا وقبرًا ومَشهدًا، والأسماء لا أثر لها ولا تغيِّر المعاني ضرورة لغوية وعقلية وشرعية، فإنَّ مَن شرب الخمرَ وسمَّاها ماء ما شربَ إلَّا خمرًا، وعقابُه عقابُ شارب الخمر، ولعلَّه يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية.

فعل الجاهلية الذين بُعث النبي ﷺ لدعوتهم لتوحيد الألوهية، وقتالهم على ذلك.

• **قوله: (وإنَّما كانوا يفعلونه لِمَا يسمُّونه وثنًا وصنمًا)**؛ الفرق أن الجاهلية كانوا يعبدون أوثانًا وأحجارًا وأشجارًا، وهؤلاء يعبدون القبور والأضرحة والأموات، ولا فرق بينهم.

• **قوله: (وفعله القبوريون لِمَا يسمُّونه وليًّا وقبرًا ومَشهدًا)**؛ فلا فرق بين هذا وهذا.

• **قوله: (والأسماء لا أثر لها)**؛ فتغيير الأسماء لا يغير الحقائق، فلو سميت السمَّ عسلًا لم يتغير عن السم، ولو سميت الخمر شرابًا طيبًا ما تغير؛ تسميه نبيذًا، شرابًا روحيًا، إلى غير ذلك، لن يتغير عن كونه خمرًا.

• **قوله: (ولا تُغيِّر المعانيَ ضرورةٌ لغوية وعقلية وشرعية)**؛ فتغير الأسماء لا يغير الحقائق، لا من جهة اللغة، ولا من جهة الشرع، الله سماها شركًا وأنت تسميها توسلًا. ولا من جهة العقل؛ فالعاقل لا يدخل في فكره هذا، وأنك إذا غيرت اسم الشيء تتغير حقيقته؟ أبدًا؛ فهذا لا يدخل في فكر العاقل، وإنما يدخل في عقول المخرفين.

• **قوله: (فإنَّ مَن شرب الخمرَ وسمَّاها ماء)**؛ هذا مثل **(ما شربَ إلَّا خمرًا)**، وما شرب ماءً.

• **قوله: (وعقابُه عقابُ شارب الخمر)**؛ يُقام عليه الحد، ولو قال: أنا ما شربت إلا ماء؛ لأنه شرب خمرًا وليس ماءً.

• **قوله: (ولعلَّه يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية)**؛ أي: لعله يزيد عقابه عن الحدِّ؛ لأنه كذب على الله ﷻ.

وقد ثبت في الأحاديث أنَّه يأتي قومٌ يشربون الخمرَ يسمُّونها بغير اسمها[١]، وصدق الرسول ﷺ؛ فإنَّه قد أتى طوائفُ من الفَسَقَة يشربون الخمر ويسمونها نبيذًا.

● **قوله: (وقد ثبت في الأحاديث أنَّه يأتي قومٌ يشربون الخمرَ يسمُّونها بغير اسمها)**؛ هذا في آخر الزمان، فهو من علامات الساعة، قال ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ**»؛ يعني: الزنا، «**والحَرِيرَ**» للرجال، «**والخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ**»[٢]، فيأتي قوم في آخر الزمان ويستحلون هذه الأمور، ولا تصير بذلك حلالًا، بل هي حرام.

● **قوله: (وصدق الرسول ﷺ، فإنَّه قد أتى طوائفُ من الفَسَقَة يشربون الخمر ويسمونها نبيذًا)**؛ النبيذ مباح إذا كان لم يشتدَّ ولم يُسكر، أما إذا اشتد وأسكر فإنه يتحول من كونه نبيذًا إلى كونه خمرًا، ولا يبقى الاسم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٩٠).

وأوَّلُ مَن سمَّى ما فيه غضب الله وعِصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين: إبليس لعنه الله؛ فإنَّه قال لأبي البَشَر آدم ﷺ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، فسَمَّى الشجرةَ التي نهى الله تعالى آدمَ عن قُربانها شجرةَ الخُلد؛ جذبًا لطبعه إليها، وهَزًّا لنشاطه إلى قُرْبانها، وتدليسًا عليه بالاسم الذي اخترعه لها، كما يُسَمِّي إخوانُه المقلِّدون له الحشيشةَ بلُقْمَة الراحة، وكما يُسَمِّي الظَّلَمَةُ ما يَقبضونه من أموال عباد الله ظلمًا وعدوانًا أَدَبًا، ....

❁ الشرح:

• **قوله:** (وأوَّلُ مَن سمَّى ما فيه غضب الله وعِصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين: إبليس لعنه الله)؛ أي: أول مَنْ غيَّر الاسم إبليس مع آدم، فالله نهى آدم أن يأكل من الشجرة، فجاءه إبليس وقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ فسماها شجرة الخلد، فأغرى آدم ﷺ فأكل منها، لولا أن الله تاب على آدم ﷺ، وهداه بعد أن اعترف آدم ﷺ بذنبه.

• **قوله:** (فسَمَّى الشجرةَ التي نهى الله تعالى آدمَ عن قُربانها شجرةَ الخُلد؛ جذبًا لطبعه إليها، وهَزًّا لنشاطه إلى قُرْبانها، وتدليسًا عليه بالاسم الذي اخترعه لها)؛ حيث قال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] يريد أن يزين لهما هذه المعصية والعياذ بالله، يقول: إن الله يريد أن يحرمكم من هذه المنفعة والفائدة!.

• **قوله:** (كما يُسَمِّي إخوانُه المقلِّدون له الحشيشةَ بلُقْمَة الراحة)؛ الحشيشة: مخدر يسمونها (لقمة الراحة)؛ أي: تأخذها وتستريح من الهموم ومن الوساوس والأوجاع.

• **قوله:** (وكما يُسَمِّي الظَّلَمَةُ ما يَقبضونه من أموال عباد الله)؛ أي: يأخذونه بغير حق، (ظلمًا وعدوانًا أَدَبًا)، وهذا غضب وليس بأدب.

فيقولون: أدب القتل، أدب السرقة، أدب التهمة، بتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب.

كما يحرِّفونه في بعض المقبوضات إلى اسم النفاعة، وفي بعضها إلى اسم السياقة، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين، وكلُّ ذلك اسمه عند الله ظلمٌ وعدوان، كما يعرِفه مَن شمَّ رائحةَ الكتاب والسُّنَّة، وكلُّ ذلك مأخوذٌ عن إبليس حيث سَمَّى الشجرةَ المنهيّ عنها شجرة الخلد.

• **قوله**: (فيقولون: أدب القتل)؛ يعني: بدل القصاص، يأخذون منه ماله ويقولون: هذا أدب القتل.

• **قوله**: (أدب السرقة)؛ يغيرون قطع اليد ويقولون: ادفع مالًا بدلها، وهذه العقوبة بالمال تكفي عن القطع.

• **قوله**: (أدب التهمة)؛ إذا كان الإنسان عليه تهمة ويستحق التعذيب، يقولون: العقوبة أخذ المال بدَلًا من الجلد مثلًا.

• **قوله**: **(كما يحرِّفونه في بعض المقبوضات إلى اسم النفاعة، وفي بعضها إلى اسم السياقة، وفي بعضها أدب المكاييل والموازين)**، هذا عندهم في اليمن.

• **قوله**: **(وكلُّ ذلك اسمه عند الله ظلمٌ وعدوان)**؛ فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

• **قوله**: **(كما يعرِفه مَن شمَّ رائحةَ الكتاب والسُّنَّة)**؛ يعرف أن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق، فالظلم والعدوان هو ظلم وعدوان ولا يُسمى أدبًا، ولو سمي نفاعة ولو سمي غير ذلك؛ فلا يغير الحقيقة.

• **قوله**: **(وكلُّ ذلك مأخوذٌ عن إبليس حيث سَمَّى الشجرة المنهيَّ عنها شجرةَ الخلد)**؛ سمَّاها شجرة الخلد من أجل أن يغري بها آدم، وهذا لم يغير حقيقتها.

وكذلك تسمِيةُ القبرِ مَشهدًا، ومَن يعتقدون فيه وليًّا، لا يخرجه عن اسم الصَّنم والوثن؛ إذ هم مُعامِلون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويَستلمونهم استلامَهم لأركان البيت، ويُخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، مِن قولهم: على الله وعليك، ويَهتفون بأسمائِهم عند الشدائد ونحوها.

وكلٌّ قوم لهم رَجل ينادونه.

❁ الشرح:

• **قوله: (وكذلك تسمِيةُ القبرِ مَشهدًا)**؛ يسمونها المشاهد الآن، ويسمونها الأضرحة؛ أو مراقد الصالحين، ومراقد الأولياء وهي قبور.

• **قوله: (لا تخرجه عن اسم الصَّنم والوثن)**؛ فلا فرق بين مَنْ عبد الصنم وعبد الولي.

• **قوله: (ويَستلمونهم استلامَهم لأركان البيت)**؛ يستلمون الأضرحة ويمسحونها ويتمسحون بها مثل ما يستلم الحجر الأسود، والركن اليماني.

• **قوله: (ويُخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، مِن قولهم: على الله وعليك)**؛ أي: أتوكل على الله وعليك، يتوكل على الميت والعياذ بالله!.

• **قوله: (ويَهتفون بأسمائِهم عند الشدائد ونحوها)**؛ إذا اشتد بهم الكرب ينادون الأولياء والصالحين، لأجل أن ينجوهم، فصاروا أجهل من أهل الجاهلية؛ فأهل الجاهلية كانوا إذا وقعوا في الكربات أخلصوا الدعاء لله ﷻ، ونسوا ما كانوا يعبدونه، ولكن هؤلاء إذا وقعوا في الكربات اشتد شركهم؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: شرك هؤلاء أشد من شرك الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم دائم في الرخاء والشدة.

فأهلُ العراق والهند يَدعون عبد القادر الجيلاني.

وأهل التهائم لهم في كلِّ بلد ميتٌ يهتفون باسمه، يقولون: يا زيلعي! يا بن العجيل!

وأهلُ مكة وأهل الطائف: يا بن العباس!

وأهل مصر: يا رفاعي! يا بدوي! والسادة البكرية!

وأهلُ الجبال: يا أبا طير!

وأهل اليمن: يا بن علوان!

وفي كلِّ قرية أمواتٌ يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر، وهذا هو بعينه فعلُ المشركين في الأصنام، ....

• **قوله**: (**فأهلُ العراق والهند يَدعون عبد القادر الجيلاني**)؛ عبد القادر الجيلاني من العلماء الصالحين، من أصحاب الإمام أحمد وله كتاب في المذهب، فهو صالح، ولكنهم اعتقدوا فيه أنه ينفع ويضر، وأن له كرامات؛ ولذلك صيروا له ضريحًا ومشهدًا.

• **قوله**: (**وأهل التهائم**)؛ يعني: أهل الساحل مما يلي اليمن (**لهم في كلِّ بلد ميتٌ يهتفون باسمه، يقولون: يا زيلعي! يا بن العجيل**).

• **قوله**: (**وأهلُ مكة وأهل الطائف: يا بن العباس**)؛ عبد الله بن العباس؛ ولهذا يقول بعضهم: أهل الطائف يكفيهم ابن عباس!.

• **قوله**: (**وأهلُ الجبال: يا أبا طير**)؛ أبو طير من الأولياء عندهم.

• **قوله**: (**وفي كلِّ قرية أمواتٌ يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر**)؛ وقد ذكر العلامة حسين بن غنام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تاريخه) كل قرية وإقليم وكل ما فيها من الأولياء.

• **قوله**: (**وهذا هو بعينه فعلُ المشركين في الأصنام**)؛ فلا فرق بين الفعلين.

كما قلنا في الأبيات النجدية:

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوثُ وودٌّ، بئس ذلك من وُدِّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصَّمد الفردِ
وكم نحروا في سُوحها من نحيرة أهلَّت لغير اللَّه جهرًا على عمدِ
وكم طائف حول القبور مقبِّلًا ويستلم الأركان منهنَّ باليدِ

• **قوله:** (كما قلنا في الأبيات النجدية)، الأبيات النجدية قالها المصنف في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله:

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث ودد بئس ذلك من وُدِّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصَّمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة أهلَّت لغير اللَّه جهرًا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبِّلًا ويستلم الأركان منهنَّ بالأيدي

وهي قصيدة عظيمة في التوحيد قالها يمدح بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ولذلك سماها الأبيات النجدية، ومنها هذه الأبيات.

فإن قال: إنَّما نحرتُ لله وذكرتُ اسمَ الله عليه؛ فقل: ....

❁ **الشرح:**

هذه مناظرة من المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن يذبحون عند القبور والمشاهد، يسألهم لماذا فعلتم هذا؟! فإن قالوا: نحن ذبحنا لله، وذكرنا اسم الله عليه، نقول لهم: إذًا لماذا جئت بالذبيحة ونحرتها في هذا المكان عند عتبة المشهد، أو عتبة المزار؟ لماذا لم تذبحها في مكان آخر؟ فلا بد أن يقول: إنه جاء من أجل تعظيم الميت، ورجاء ما عنده، والتقرب إليه، فإذا قال فإنه مشرك؛ لأن هذا ذبح لغير الله ﷻ، فالذي يتقرب إلى الله لا يأتي عند القبور ولا إلى المشاهد، فأرض الله واسعة، فلا يأتي ويصلي عند القبر، ولا يأتي ويتصدق عند القبر، ولا يدعو عند القبر؛ فالذي يأتي عند القبر ويدعو أو يذبح أو يصلي إن كان يقصد هذا لله، ويظن أن فعله عند القبر يُرجى له الاستجابة من الله، فهذا بدعة؛ لأن الله لم يشرع لنا أن نتقرب إليه عند القبور وأن نذبح له وأن نصلي عند القبور.

وإن أراد بذلك التقرب إلى القبر، وطلب النفع منه ـ وهذا هو قصده بلا شك ـ فهذا شرك بالله ﷻ؛ لأنه ذبح لغير الله، ودعا غير الله، هو دعا الله ولكن عند القبر، وتقرب للقبر، فهذا يعتبر مشركًا، فتخصيص القبر وتخصيص هذا المكان بنية التقرب إلى القبر، وطلب النفع منه، والشفاعة منه شرك أكبر، وهذا هو قصدهم.

فإن قال: لا، أنا لا أقصد القبر، أنا قصدي لله ﷻ، ونفع الفقراء، والمساكين، فإكمالًا للجواب الأول يُقال له: إذًا مجيئك هذا تريد به أن توسخ عتبة القبر بالذبح عليها بالدم والفرث، وهذه إهانة للميت، وليست إكرامًا للميت، لماذا لم تذبح في مكان واسع، وتتخلص من الدماء، ومن المخلفات؟ فلا بد أن يقرَّ أنه إنما جاء عند القبر معتقدًا فيه، وإذا اعتقد فيه فهذا شرك، وهذا هو الواقع منهم، بل يأتون من مكان بعيد إلى القبور،

إن كان النَّحرُ لله فلأيِّ شيء قَرَّبت ما تنحرُه من باب مَشهد مَن تفضِّله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟ إن قال: نعم فقل له: هذا النَّحر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره، وإن لَم تُرِدْ تعظيمه، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه؟ أنتَ تعلمُ يقينًا أنَّك ما أردت ذلك أصلًا، ولا أردت إلَّا الأول، وخرجتَ مِنْ بيتك إلَّا قصدًا له، ثم كذلك دعاؤهم له. فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب.

ويسوقون معهم المواشي من مسافة بعيدة ليذبحوها عند القبور، ويأتون بصدقاتهم وبنذورهم ليضعوها في صناديق القبور تقربًا إليها، ويوقفون الأوقاف على القبور لتعميرها وتبخيرها وتطييبها وإسراجها، وكل هذا من تعظيم القبور، وهو مما نهى عنه الرسول ﷺ، وهذا من اتخاذ القبور أوثانًا، نسأل الله العافية، بل إنهم يعكفون عند القبور أيامًا، والعكوف عبادة، فيعكفون عند القبور تقربًا لها، ليس معه ذبائح ولا معه صدقات ولا نذور، وإنما جاء هو ببدنه وأقام عند القبر يرجو بركته، ويدعو عنده، فهذه عبادة لغير الله ﷻ.

- **قوله: (إن كان النَّحرُ لله فلأيِّ شيء قَرَّبت)**؛ يعني: أدنيت.
- **قوله: (ولا أردت إلَّا الأول)**؛ أي: أردت تعظيم القبر، وهذا شرك بالله ﷻ.
- **قوله: (ولا خرجتَ من بيتك إلَّا قصدًا له)**؛ ولم تأت من بعيد؛ فقد يسافرون لهذا.
- **قوله: (ثم كذلك دعاؤهم له)**؛ أي: دعاء الميت.
- **قوله: (فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب)**؛ الذبح والدعاء عند القبور تقربًا إليها شرك بلا ريب، وإن كانوا يتقربون بها إلى الله، ولكن يظنون أن فعل هذا عند القبور فضيلة، وأنه مظنة الإجابة، أو رأوا الناس يأتون فأتوا معهم، فهذا بدعة ووسيلة إلى الشرك؛ لأن الله لم يشرع لنا أن نعبده عند القبور، ولا أن نصلي عندها، ولا أن ندعو ونذبح عندها، ولا أن نتصدق

....

عندها؛ لأن هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك. فتخصيص هذا المكان بالقربات لله ﷻ بدعة، ثم هو وسيلة إلى الشرك، ولا بد أنه يجر صاحبه إلى الشرك والاعتقاد في الميت.

وقد يعتقدون في بعض فَسقة الأحياء، وينادونه في الشِّدَّة والرَّخاء، وهو عاكفٌ على القبائح والفضائح، لا يحضر حيث أمرَ الله عبادَه المؤمنين بالحضور هناك، ولا يَحضر جمعة، ولا جماعة،

❁ **الشرح:**

• **قوله: (وقد يعتقدون في بعض فَسقة الأحياء)**؛ فقد يعتقدون فيمن يسمونهم بالأولياء من الأحياء، ويعظمونهم، ويتقربون إليهم، ويقولون: هؤلاء أولياء الله، وهم يرونهم لا يعبدون الله، ويرون هؤلاء الأحياء من أفجر الناس، لا يتورعون عن الفواحش، ولا يؤدون الفرائض؛ لأنهم يقولون: نحن وصلنا إلى الله ولسنا بحاجة إلى العبادة، إنما العبادة للعوام، وللذين لم يصلوا إلى الله، أما نحن فقد وصلنا إلى الله ونحن من الخواص والأولياء! فيعتقدون فيهم أشد مما يعتقدون في الأموات، وهذا أعظم شركًا وأعظم خطرًا، وهذا عند الصوفية، حتى أنهم يصلون الفجر، وهذا الشيطان الطاغوت نائم عندهم لا يصلي ولا يوقظونه! ويقول: أنا لا أحتاج إلى الصلاة فأنا ولي! أو يقولون: إنه يذهب إلى مكة، ويُصلي مع الإمام في الحرم ويأتي! لأنه ولي، والولي تُطوى له الأرض، ولا يحتاج إلى طائرة، ولا إلى سيارة، ولا إلى دابة، هكذا يقولون، وهذا من الخرافات.

• **قوله: (وينادونه في الشِّدَّة والرَّخاء، وهو عاكفٌ على القبائح والفضائح)**؛ لأنه لا يُؤَاخَذُ عندهم، ولا يحرم عليه شيء، ولا يجب عليه شيء؛ لأنه وصل إلى الله، وهذا موجود في غلاة الصوفية مع أشياخهم، وهم يرون أنه يزني أو يشرب الخمر، ولكنهم يقولون: إنه لا يُؤَاخَذُ مع الإعلان بهذا، فهذه تكاليف مرفوعة عنه! ونقول: مرفوعة عنه التكاليف؛ لأنه ليس عنده عقل، ولكنهم يقولون: هو مرفوعة عنه التكاليف؛ لأنه وصل إلى الله.

• **قوله: (لا يحضر حيث أمرَ الله عبادَه المؤمنين بالحضور هناك، ولا يَحضر جمعة، ولا جماعة)**؛ هم يقولون: هو ليس بحاجة إلى هذا، فهذا للعوام.

ولا يعود مريضًا ولا يشيِّع جنازة، ولا يكتسب حلالًا، ويضُمُّ إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عَشَّشَ في قلوبهم وباض فيها وفرَّخ، يصدِّقون بهتانه، ويعظِّمون شأنه، ويَجعلون هذا ندًّا لربِّ العالمين ومِثلًا.

• **قوله**: (ولا يعود مريضًا ولا يشيِّع جنازة، ولا يكتسب حلالًا)؛ فهو ليس بحاجة إلى هذا كله، هو ليس بحاجة إلى الطاعات؛ لأنه وصل إلى الله بزعمهم.

• **قوله**: (ويضُمُّ إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب)؛ أي: يضم إلى فعله هذا تعطيل الأوامر والنواهي وفعل المحرمات، وأنه يدَّعي علم الغيب، ويقول لأتباعه: إنه يعلم الغيب، وأنه يحضر لهم ما يريدون، وأنه ينقذ المراكب في البحر... وأنه وأنه، وهو جالس في مكانه، يدَّعي هذا ويصدقونه ويعظمونه.

• **قوله**: (ويجلب إليه إبليس جماعة قد عَشَّشَ في قلوبهم وباض فيها وفرَّخ، يصدِّقون بهتانه، ويعظِّمون شأنه)؛ إبليس يقود لهذا الفاسق أتباعًا يصدقونه فيما يقول، ويتقربون إليه في العبادة؛ لأنهم يقولون: إنه من أولياء الله، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] فهذا ليس عليه خوف ولا حزن، فهو من أولياء الله! ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣]، هل الذي لا يصلي ويشرب الخمر ويزني، هل هذا من أولياء الله؟! هل هذا مؤمن؟! هذا كافر، فهم يأخذون من الآيات ما يريدون ويتركون ما ليس في صالحهم، فالآية ليست مطلقة، فالآية بعدها آية تقيدها: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

• **قوله**: (ويَجعلون هذا ندًّا لربِّ العالمين ومِثلًا)؛ أي: يجعلونه مساويًا ومِثْلًا لرب العالمين؛ أي: مثيلًا لله وشبيهًا له ـ تعالى الله ـ فيعلم الغيب

فيا للعقول أين ذهبت؟ ويا للشرائع كيف جُهلت؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ويُعطي ما يُطْلب منه، ويقدر على كل شيء، فيعطونه من أوصاف الله وقدرة الله ومشيئة الله ما يساويه بالله - تعالى الله عن ذلك - ولهذا قال - جلَّ وعلا -: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: يساوون به غيره، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

- **قوله**: (فيا للعقول أين ذهبت؟!) ينعي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقولهم؛ أين عقولكم أيها الناس، أين ذهبت، أين الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ؟

- **قوله**: (ويا للشرائع كيف جهلت؟!)؛ هذا ندبة للشرائع التي ضاعت، شرائع الإسلام: الأوامر والنواهي والوعد والوعيد.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، كيف لا يقرؤون هذه الآية؟ ﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ فهم بشر، ﴿...فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥] بل هم أصنام جماد، ﴿أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٩٥] هذا تحدٍّ ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥]؛ لأني تبرأتُ منهم وعاديتُهم، فاستعدوهم عليَّ، أتظنون أنهم قادرون وأنهم ينفعون ويضرون؟ فهاتوا ما لديكم، ﴿...فَلَا تُنظِرُونِ ۝١٩٥ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٥، ١٩٦].

فإن قلتَ: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام؟.

قلتُ: نعم، قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك، بل زادوا عليهم في الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم.

فإن قلتَ: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له ندًّا، والالتجاءُ إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركًا!.

۞ الشرح:

• **قوله:** (**فإن قلتَ: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام؟**) الجواب: (**نعم**)؛ فلا فرق بين هؤلاء وبين مَنْ يعبدون الأصنام؛ لأن فعلهم مثل فعل عبدة الأصنام سواء.

• **قوله:** (**قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك**)؛ أي: قد حصل منهم مع الموتى ومع الأولياء مثل ما حصل من المشركين مع الأصنام سواء، ما الفرق بينهما؟.

• **قوله:** (**بل زادوا عليهم في الاعتقاد والانقياد والاستعباد**)؛ لأن المشركين الأولين إنما يدعون غير الله في حالة الرخاء، أما في حالة الشدة فإنهم يخلصون لله، كما ذكر الله ذلك عنهم، أما هؤلاء القبوريون فإنه يزيد شركهم في الشدة أكثر منه في الرخاء، ويتصايحون ويدعون أولياءهم أن ينقذوهم من البحر ومن الغرق ومن كذا وكذا، فصار شركهم أغلظَ مِنْ شرك عُبَّاد الأصنام.

• **قوله:** (**فإن قلتَ: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله تعالى، ولا نجعل له ندًّا، والالتجاءُ إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركًا!**)؛ هذه شبهة ثانية، وهذا الكلام يشبه كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عن هذه الشبهة في كتابه (كشف الشبهات).

قلتُ: نعم. ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإنَّ تعظيمَهم الأولياء ونحرَهم النحائر لهم شركٌ، والله تعالى يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]؛ أي: لا لغيره، كما يفيدُه تقديم الظرف، ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨] ....

فهم يقولون: إن الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، نحن نعبد أولياء صالحين من عباد الله.

نقول لهم:

أولًا: الشرك ليس مقصورًا على عبادة الأصنام، الشرك يشمل كلَّ من دعا غير الله: من صنم، أو قبر، أو ولي، أو جنٍّ، أو إنس، هذا هو الشرك، دون النظر إلى المتعلِّق به هل هو صنم أو بشر، فليس هناك فرق بين هذا وهذا.

ثانيًا: أن المشركين الأولين في الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين؛ فقوم نوح مَنْ عبدوا؟ عبدوا: ودًّا وسواعًا ويعوق ونسرًا ويغوث، وهؤلاء رجال صالحون وأولياء من أولياء الله، لما ماتوا عكفوا على قبورهم؛ فأول شرك وقع في الأرض هو عبادة الصالحين، والغلو فيهم. وقريش وكفار العرب الذين بُعث إليهم الرسول ﷺ كان منهم مَنْ يعبد الملائكة، ومنهم مَنْ يعبد الصالحين مثل هؤلاء ومثل الذين كانوا يعبدون المسيح عليه السلام؛ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١]، فليس شركهم مقصورًا على عبادة الأصنام. وقولهم: **(والالتجاءُ إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركًا!)** هذه مغالطة واضحة.

• **قوله**: **(لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك)**؛ فالشرك: عبادة غير الله؛ سواء كان حجرًا أو شجرًا أو صنمًا أو بشرًا أو نبيًّا أو وليًّا أو ملكًا، أو جنًّا أو إنسًا، فالشرك هو عبادة غير الله، والله ـ جلَّ وعلا ـ قال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا

وقد عرفتَ بما قدَّمناه قريبًا أنَّه ﷺ قد سمَّى الرياءَ شركًا، فكيف بما ذكرناه؟!.

تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وكلمة ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾ نكرة لتعمَّ وتشمل كلَّ ما عُبد من دون الله ﷻ، فلم يستثنِ شيئًا، والنكرة في سياق النهي تفيد العموم، فلم يقل: اعبدوا الله ولا تعبدوا الأصنام، بل قال: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ فشمل كلَّ شيء. فهم صاروا لا يعرفون الشرك، ويظنون أن الشرك مقصور على عبادة الأصنام فقط.

• قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر: ٢]؛ يعني: اذبح له، فجعل النحر قرينًا للصلاة، فكما أنه لا يُصلى لغير الله، فكذلك لا يُنحر لغير الله، وهؤلاء ينحرون لغير الله، ينحرون للموتى والقبور، وفي الآية الأخرى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والنسك هو: الذبيحة، قرنها مع الصلاة، فدل على أن الذبح عبادة لا تجوز لغير الله، فقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾؛ أي: لا لغيره، وهذا لإفادة الحصر؛ أي: لا تصلِّ لغيره، ولا تنحرْ لغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ المساجد قيل: هي البقاع التي يُصلى فيها، وقيل: هي أعضاء السجود السبع، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]؛ ﴿أَحَدٗا﴾ كلمة نكرة في سياق النهي، تعمُّ كلَّ أحد من الأولياء والصالحين والموتى والجن والإنس والملائكة، فلا يُشْرَك مع الله أحدٌ كائنًا من كان.

• **قوله**: (**وقد عرفتَ بما قدَّمناه قريبًا أنَّه ﷺ قد سمَّى الرياءَ شركًا، فكيف بما ذكرناه؟!**) النبي ﷺ سمَّى الرياء شركًا، قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»[1]، فسماه شركًا، فدل على أن الشرك ليس مقصورًا على عبادة الأصنام، وأنه يُطلق حتى على الشيء الذي لا يُخرِج من الملة.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٣٦٣٠).

فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعَلَه المشركون وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشركُ بالله شيئًا؛ لأنَّ فعلَهم أَكْذَبَ قولَهم.

فإن قلتَ: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه.

الشرح:

• **قوله: (فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعَلَه المشركون وصاروا به مشركين)**؛ هو عين ما فعله المشركون الأولون مِنْ أنهم عبدوا غير الله، وصاروا بذلك مشركين، سمَّاهم الله مشركين مع أنهم كانوا يعبدون الأنبياء، ويعبدون الأولياء والصالحين، والذي قاله أهل الغلبة في أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف: ٢١] أصحاب الكهف صالحون، قال أهل الغلبة وأهل القوة: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾؛ أي: يبنون مسجدًا على قبورهم، فدل على أن هذا أمر قديم في الناس، وقوله: ﴿غَلَبُواْ﴾ معناه أن هذا ليس برضى أهل الحق؛ لأنهم ينهون عن اتخاذ المساجد على القبور.

• **قوله: (ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشركُ بالله شيئًا)**؛ لا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله؛ لأن العبرة بالحقيقة وليس بالادعاء، حتى ولو قالوا: نحن لا نشرك بالله شيئًا، ففعلهم هذا شرك؛ **(لأنَّ فعلَهم أَكْذَبَ قولَهم)**؛ فهم يقولون: نحن لا نشرك بالله شيئًا ثم يذبحون لغير الله، ويستغيثون بغير الله!، ففعلهم كذَّب قولَهم.

• **قوله: (فإن قلتَ: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه)**؛ هذه مسألة العذر بالجهل، والتي يدندن بها الناس اليوم، نقول: إلى متى العذر بالجهل، وقد بعث الله رسوله وأنزل كتابه، وأقام الحجة على العباد، فهل يبقى الناس في جهل إلى يوم القيامة؟ وقد زالت الجاهلية ـ ولله الحمد ـ ببعثة الرسول ﷺ، فمَنْ بلغه القرآن وهو يفهم العربية وبقي على ما كان عليه مِن

....

الشرك، ولم يرتدع فهم مشرك؛ لأنه بلغته الحجة، وليس جاهلًا، قال الله - جلَّ وعلا -: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فمن بلغه القرآن وهو عربي ويفهم العربية قامت عليه الحجة.

أما الغامض في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وهو عربي يفهم الشرك؟ وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. ما الغامض في معنى (لا إله إلا الله)؟ أي: لا معبود بحق إلا الله ﷺ، فقامت عليهم الحجة.

أما المنقطع في أرض لا يصل إليه قرآن، ولا علم ببعثة الرسول ولم يبلغه شيء، فهذا يكون من أهل الفترة، وأمره إلى الله، أما مَنْ بلغه القرآن وهو عربي فلا عذر له في الأمور الظاهرة؛ مثل: الشرك، مثل الكفر، أما الأمور الخفية والأمور التي فيها خلاف بين أهل العلم فهذه لا بدَّ فيها من البيان، فالأمور الخفية التي تخفى على مَنْ لم يتعلم فهذا لا بدَّ أن تُقام عليه الحجة وتبيَّن له، أما أن يُعذر بالجهل مطلقًا فلا، وهل مَنْ يفعلون هذه الأعمال لا يحفظون القرآن، ربما تجدهم يحفظون القرآن بالقراءات السبع أو العشر، إذًا ما فائدة القرآن الذي بلغهم وحفظوه وتعلموه وعلموه، وسمعوه وقرؤوه؟!

إذًا فلا بدَّ من هذا التفصيل:

أولًا: نقول: مَنْ لم يبلغه القرآن؛ لأنه يعيش منقطعًا عن العالم، ولم يعلم ببعثة الرسول ﷺ، فهذا يكون من أصحاب الفترة، وأمره إلى الله.

ثانيًا: نقول: مَنْ بلغه القرآن فلا يُعذر في الأمور الظاهرة، مثل: الشرك والكفر والنفاق، والزنى، ونحوه من الكبائر.

قلتُ: قد خرَّج الفقهاء في كتب الفقه في باب الرِّدة أنَّ مَن تكلَّم بكلمة الكفر يَكفر وإن لَم يقصد معناها، وهذا دالٌّ على أنَّهم لا يعرفون حقيقةَ الإسلام، ولا ماهية التوحيد، ....

ثالثًا: نقول: الأمور الخفية التي تحتاج إلى توضيح لا بدَّ فيها من البيان وإقامة الحجة على المخطئ فيها.

• **قوله: (قلتُ: قد خرَّج الفقهاء في كتب الفقه في باب الرِّدة أنَّ مَن تكلَّم بكلمة الكفر يَكفر وإن لَم يقصد معناها)**؛ لأن هذا من أنواع الردة، وإن لم يقصد معناها، ما لم يكن مُكْرَهًا، فإذا كان مُكْرَهًا عليها فإنه لا يؤاخذ، أما إذا كان غيرَ مُكْرَه، وتكلم بها مازحًا أو لاعبًا فهذا لا يُعذر؛ لأن الذين تكلموا في الرسول ﷺ وأصحابه وقالوا: «مَا رأينا مثل قرائنا هَؤُلاءِ أرْغَبُنا بُطُونًا وأجْبَنُنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ»، ثم لما بلغهم الأمر وأن الرسول قد علم بمقالتهم ذهبوا يعتذرون إليه، ويقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، فكان الرسول ﷺ يقول لهم ولا يزيد: ﴿...قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[1] [التوبة: ٦٥، ٦٦]، وهم لم يقصدوا، بل كانوا يقصدون المزح واللعب وحديث الركب ليقطعوا به الطريق، فلا يُعذر إلا المُكْره؛ ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، بشرطين:

الأول: أن يكون مُكْرَهًا ولا يمكنه التخلص.

الثاني: أن يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان، فلا يقصد معناها، وإنما يقصد التخلص فقط. فهذا يُعذر.

• **قوله: (مَن تكلَّم بكلمة الكفر يَكفر وإن لَم يقصد معناها)**؛ سواء كان جادًّا أو هازلًا أو مازحًا.

• **قوله: (وهذا دالٌّ على أنَّهم لا يعرفون حقيقةَ الإسلام، ولا ماهية التوحيد)**؛

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٨٥) (١٧٣). وانظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧١).

فصاروا حينئذٍ كفارًا كفرًا أصليًا، فالله ﷻ فَرَضَ على عباده إفرادَه بالعبادة؛ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢]، وإخلاصها؛ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ....

لأنهم لم يتعلموه ولم يهتموا به، يظنون أن الإسلام ما وجدوا الناس عليه، ولم يتعلموا الإسلام مِن الكتاب والسُّنَّة وكلام أهل العلم، فهم ليسوا معذورين في هذا؛ لأنهم يقدرون على أن يتعلموا وأن يسألوا ويبحثوا.

• **قوله**: (**فصاروا حينئذٍ كفارًا كفرًا أصليًّا**)، أصليًّا يعني ليس كفرَ ردة؛ لأنهم ما دخلوا في الإسلام أصلًا.

• **قوله**: (**فإنَّ الله تعالى فَرَضَ على عباده إفرادَه بالعبادة**) وهذا لا يجهله أحد، فكلٌّ يقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. وما معنى العبادة؟ ما معنى الشرك؟ لا بدَّ أن تبحث عن هذه الأمور لتتخلص من خطرها، هل تقرأ القرآن أم تتبع الناس على ما هم عليه، ولا تتبع القرآن؟ فمنهم من يقرؤون القرآن للبركة، وتحصيل الأجر على الحروف، ويقرأ للرقية والتعاويذ، ويُقرأ في المآتم ويؤخذ عليه أجرة ويتكسب به، ويُقرأ على القبور وعلى الأموات، ويتخذونه حرفة فقط يتأكلون به.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢]؛ ففرض على عباده إفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾؛ أي: أمر ووصى، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ وحْده فلا تعبدوا معه غيره، وقال في سورة (الفاتحة): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، نرددها في الصلوات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ أي: لا نعبد غيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ أي: لا نستعين بغيرك، فهم يقرؤون هذا، فمنهم من يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ثم يقول: يا علي، يا بدوي، يا عبد القادر؛ فهذا يُكذِّب فعلُه قولَه، يقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ثم يستعين بالأموات، ويستغيث بالموتى!

ومَن نادى الله ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا وخوفًا وطمعًا، ثمَّ نادى معه غيرَه فقد أشرك في العبادة، فإنَّ الدعاءَ من العبادة، وقد سمَّاه الله تعالى عبادةً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ بعد قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فإن قلتَ: فإذا كانوا مشركين وجَب جهادُهم، والسلوك فيهم ما سلَكَ رسولُ الله ﷺ في المشركين.

قلتُ: إلى هذا ذهب طائفةٌ من أئمَّة العلم، فقالوا: يَجب أوَّلًا دعاؤهم إلى التوحيد، وإبانةُ أنَّ ما يعتقدونه ينفعُ ويَضرُّ لا يغني عنهم مِن الله شيئًا وأنَّهم أمثالهم، وأنَّ هذا الاعتقاد منهم فيهم شركٌ، لا يتم

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فليس فقط يعبدون الله، وإنما لا بدَّ أن يكون مع العبادة الإخلاص؛ لأن من الناس من يعبد الله ويعبد معه غيره، والله - جلَّ وعلا - لم يقل: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فقط، بل قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ لأنه قد يُعبد الله ولكن يُعبد معه غيره.

• **قوله: (ومن نادى الله ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا وخوفًا وطمعًا، ثمَّ نادى معه غيرَه فقد أشرك في العبادة)**؛ أي: مَنْ نادى الله ودعا الله، وتضرع إلى الله ليلًا ونهارًا، ثم دعا معه غيره فقد أشرك في العبادة؛ حيث أشرك في الدعاء؛ لأن الدعاء أعظم أنواع العبادة.

قال الله - جلَّ وعلا -: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: عن دعائي، فسمى الدعاء عبادة، فمن دعا غير الله فقد عبد غير الله.

• **قوله: (فإن قلت: فإذا كانوا مشركين وجَب جهادُهم، والسلوك فيهم ما سلَكَ رسولُ الله ﷺ في المشركين: قلتُ: إلى هذا ذهب طائفةٌ من أئمَّة العلم)**، ليست طائفة فقط، بل إلى هذا ذهب جميع أهل العلم: أن مَنْ أصرَّ

الإيمانُ بما جاءت به الرسلُ إلَّا بتركه والتوبة منه، وإفراد التوحيد اعتقادًا وعملًا لله وحده.

على الشرك ولم يقبل الدعوة فإنه يُقاتل، وهذه سُنَّة الرسول ﷺ، أنه كان يدعو ويوصي القادة أن يبدؤوا الناس بالدعوة، فإن أبوا أن يقبلوها قاتلوهم، وليس هذا قولَ طائفة من أهل العلم، بل هذا قول جميع أهل العلم.

وهذا واجبٌ على العلماء ـ أي: بيان أنَّ ذلك الاعتقاد الذي تفرَّعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شركٌ محرَّم وأنَّه عينُ ما كان يفعله المشركون لأصنامهم ـ فإذا أبان العلماءُ ذلك للأئمَّة والملوك، وَجَبَ على الأئمة والملوك بعثُ دعاة إلى الناس يَدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله، فمَن رجع وأقرَّ حقن عليه دمه وماله وذراريه، ومَن أصَرَّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين.

❁ **الشرح:**

• **قوله:** (وهذا واجبٌ على العلماء)؛ أي: وهذا الذي فعله الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث لم يقاتل الناس على الفور، بل دعاهم إلى التوحيد، وكتب الرسائل إليهم وبلَّغهم، فلما أبوا قاتلهم، وأيضًا هم اعتدوا على الشيخ وعلى أتباعه، وبدؤوا الشيخ وتلاميذه بالقتال.

فهذا واجب عليكم معشر العلماء أن تقوموا به، ولا تبرأ ذمتكم إلا أن تقوموا بهذا، لكن تقوموا به بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

فواجبكم الدعوة إلى الله، وأما القتال فهو من حق ولاة الأمور، ومن حق الأئمة، أما أنتم فواجبكم الدعوة إلى الله والبيان.

• **قوله:** (**فإذا أبان العلماءُ ذلك للأئمَّة والملوك، وَجَبَ على الأئمة والملوك بعثُ دعاةٍ إلى الناس يَدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله، فمَن رجع وأقرَّ حقن عليه دمه وماله وذراريه، ومَن أصَرَّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين**)؛ فالقتال من حق الأئمة، وليس من حق الأفراد، فلا يأخذ من شاء سلاحه ويقاتل! بل هذا من حق الأئمة، أما الدعوة فهي من حق العلماء.

فإن قلتَ: الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث، فإنَّه قد صَحَّ أنَّ العباد يوم القيامة يستغيثون بآدمَ أبي البشر، ثمَّ بنوحٍ، ثمَّ بإبراهيمَ، ثم بموسى، ثم بعيسى، وينتهون إلى محمد ﷺ بعد اعتذار كلٍّ واحد من الأنبياء، فهذا دليلٌ على أنَّ الاستعانة بغير الله ليست بمنكر.

❁ **الشرح:**

هذه شبهة أخرى، وهي أنهم يقولون: إن أهل المحشر يستغيثون بآدم، وأولي العزم من الرسل؛ من أجل أن يطلبوا من الله أن يخلصهم من الموقف، فهذا يدل على أن الاستغاثة بالميت جائزة. فنقول: هذه مغالطة؛ فالاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه جائزة، والأنبياء في ذلك الموقف أحياء يقدرون على دعاء الله، وعلى الشفاعة لأهل الموقف، أما الاستغاثة التي نعنيها، فهي الاستغاثة بالأموات الذين لا يقدرون على شيء.

• **قوله**: (فهذا دليلٌ على أنَّ الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر)، هذا من التلبيس على الناس، وانظر الإجابة فيما يأتي.

قلتُ: هذا تلبيس؛ فإنَّ الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا يُنكرُها أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام مع الإسرائيلي والقبطي: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وإنَّما الكلام في استغاثة القبوريِّين وغيرهم بأوليائهم، وطلبهم منهم أمورًا لا يقدر عليها إلَّا الله تعالى، مِن عافية المريض وغيرها، بل أعجَبُ من هذا أنَّ القبوريِّين وغيرَهم مِن الأحياء مِن أتباع مَن يعتقدون فيه قد يَجعلون له حصَّة مِن الولد إن عاش، ويشترون منه الحمل في بطن أمِّه ليعيش لهم! ويأتون بمنكرات ما بَلَغ إليها المشركون الأولون.

الشرح:

• **قوله: (قلتُ: هذا تلبيس؛ فإنَّ الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا يُنكرُها أحد...).**

هذه إجابة على بعض شبهات القبوريين الذين يستغيثون بالأموات ويندبونهم، فكما ذكرنا سابقًا أن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله له رسالة في هذا الموضوع؛ في رد شبهات القبوريين اسمها (كشف الشبهات)؛ يعني: الشبهات التي يتعلق بها القبوريون والخرافيون، أتى عليها واحدة واحدة، وأجاب عنها، والإمام الصنعاني حذا حذوه في هذه الرسالة المباركة، واستعرض أهم شبهات القبوريين ورد عليها، ومن ذلك هذه الشبهة.

يقولون: أنتم تقولون: إن الاستغاثة بالأموات شرك، والناس يوم القيامة يستغيثون بأولي العزم مِن الرسل إذا طال عليهم الموقف في المحشر، فيبدؤون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمد ﷺ، فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق شركًا لما فعلها الناس يوم القيامة.

والجواب عن هذا: إن هذا تلبيس؛ فإننا نقول: إن الاستغاثة بالحي فيما

....

يقدر عليه ليست بشرك، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ في قصة موسى مع القبطي: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ١٥]، فالاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه ليست بشرك؛ بل هذا أخذ بالأسباب وفيها تعاون بين الناس وإنقاذ للعبد من الخطر، وهذه محمودة، أنك تُغيث إنسانًا وقع في مهلكة، أو في خطر، وأنت تقدر على إنقاذه من الغرق، أو من الحريق، أو من العدو، أو من السبع، فهذا جائز، وهذا مأمور به شرعًا.

أما ما نحن فيه فإن الذي نردُّه: الاستغاثة بالأموات، أو بالأحياء الذين لا يقدرون على إغاثة مَن استغاث بهم، فهذا الذي نعنيه، أما إنكم تلبسون في قصة الموقف يوم القيامة فهذا شيء وما أنتم عليه شيء آخر، بينهما فرق، وهكذا أهل الضلال لا يعتمدون إلا على التلبيس والكذب والتدجيل؛ لأنهم ليس عندهم حجج شرعية، ففرق بين الاستغاثة بالميت الذي لا يقدر، والاستغاثة بالحي الذي لا يقدر، وبين الاستغاثة بالحي القادر فيما يقدر عليه، لا يلتبس هذا بهذا.

والناس يوم القيامة يستغيثون بأحياء يقدرون على إغاثتهم بدعاء الله، وهم لا يطلبون منهم أن يخلصوهم من الموقف، أو من الكرب الذي هم واقعون فيه، ولكنهم يستغيثون بهم ليدعوا الله أن يخلصهم منه، وكلهم يعتذر من هول الموقف إلا نبينا محمد ﷺ، وهذا هو المقام المحمود، الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فيقول: **«أنا لها»**، **«ثُمَّ أَخِرُّ له سَاجِدًا»**؛ أي: يخرُّ ساجدًا بين يدي الله، ويحمده ويدعوه، ويستمر على ذلك حتى يُقال له: **«يا محمد، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لك، وسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»**[1]، فيدعو الله أن يخلص الناس من المحشر، وأن يحاسبهم، فيستجيب الله له ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٣).

....

والدعاء مطلوب، إما من المكروب نفسه، أو أن يدعو له أخوه أن يخلصه الله مما وقع فيه، فليس هذا من الاستغاثة بالقبور في شيء، ولكنهم يلبسون على الناس، ولهذا قال الشيخ: **(قلتُ: هذا تلبيس، فإنَّ الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا يُنكرُها أحد)**، بينما أنتم تستغيثون بالأموات.

فالاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه تجوز بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون حيًّا حاضرًا.

الشرط الثاني: أن يكون قادرًا على ما يُطلب منه.

وهذا متعذر في الموتى، فهم ليسوا حاضرين ولا يسمعون مَنْ دعاهم، ولو سمعوا ما استجابوا.

• **قوله: (فإنَّ الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا يُنكرُها أحد)**، وهذا معروف بين الناس، منذ عهد موسى ﷺ أو قبله إلى وقتنا هذا؛ كلٌّ يستغيث بمن ينجده ويساعده؛ إذا وقع في كربة يستغيث بمن يقدر على إغاثته؛ لكونه حيًّا حاضرًا، ولكونه مستطيعًا لإغاثته، فهذا من فعل الأسباب المباحة، ويُثاب مَنْ يغيث ملهوفًا.

• **قوله: (وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الإسرائيلي والقبطي: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾)**؛ موسى ﷺ دخل المدينة ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾؛ يعني: يتصارعان، ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾؛ يعني: من بني إسرائيل قوم موسى، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ يعني: من الأقباط قوم فرعون، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾؛ ضرب القبطي بكفه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾؛ لقوته عليه الصلاة والسلام، ثم ندم على هذا وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]؛ استغفر ربه فغفر له، فالشاهد من هذا: أن هذه استغاثة جائزة.

....

• **قوله**: (**وإنَّما الكلام في استغاثة القبوريِّين وغيرهم بأوليائهم، وطلبهم منهم أمورًا لا يقدر عليها إلَّا الله تعالى مِن عافية المريض وغيرها**)؛ حتى ولو كانوا أحياء فهم لا يقدرون على شفاء المريض، ولا على إزالة المرض، فكيف إذا كانوا أمواتًا؟! قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦].

• **قوله**: (**بل أعجَبُ من هذا أنَّ القبوريِّين وغيرَهم من الأحياء من أتباع مَن يعتقدون فيه، قد يَجعلون له حصَّة مِن الولد إن عاش**)؛ أي: الأعجب مما سبق أنهم لا يقتصرون على مجرد الاستغاثة بالأموات، بل يجلعون لهم نصيبًا من رزقهم ومن أولادهم، فيجعلون للميت نصيبًا من رزقٍ ونذورٍ وتبرعاتٍ للأضرحة، ويقولون: هذا للميت، هذا للولي فلان؛ من أجل أن يساعدني! أو ربما يجعل بعض أولاده للولي ويسميهم باسمه مثلًا: عبد الحسين، عبد كذا وعبد كذا، مثلما المشركون يفعلون هذا، كما قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، يقسمون مواشيهم وزروعهم إلى قسمين: قسم لله، وقسم للأضرحة وللأصنام والأوثان، ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ معناه أنهم إذا جاء السيل واجتاح قسمًا من الزرع، فإن كان اجتاح الذي هو من نصيب الله، قالوا: الله غني عنه، وأما إذا اجتاح السيل نصيب الوثن، قالوا: الوثن فقير يحتاجه، فيأخذون ما جعلوه لله، ويجعلونه للوثن.

وقيل: إن معنى الآية كما في الحديث الصحيح: «**قال الله تبارَكَ وتَعَالَى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1]، وفي رواية: «**فأنا منه بريء وهو للذي أشرك**»[2]، فالآية لها

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢).

....

معنيان، وعلى كل حال فهذا هو فعل أهل الجاهلية، وهو الذي يفعله القبوريون اليوم، يجعلون لمبعوداتهم من الأولياء والصالحين نصيبًا من أموالهم، ومن أولادهم؛ تقربًا إليهم.

• **قوله: (ويشترون منه الحمل في بطن أمِّه ليعيش لهم)**؛ فإذا حملت زوجته، يذهب ويتبرع للقبر من أجل أنه يَسْلم الولد؛ أي: يشترون من الميت الولد ويدفعون له مالًا، والذي يأخذ المال هم السَّدَنة، والميت لا يدري عن هذا، وربما تجد أن بعض الدول تجعل الأضرحة من موارد الدولة، فتأخذ من المال الذي يُهدى لها، نسأل الله العافية.

• **قوله: (ويأتون بمنكرات ما بَلَغ إليها المشركون الأولون)**؛ يأتي هؤلاء المتأخرون الذين يدَّعون الإسلام بمنكرات لم يفعلها المشركون الأولون، بل يزيدون عليهم.

ولقد أخبرني بعضُ مَن يتولى قَبض ما ينذر القبوريُّون لبعض أهل القبور أنَّه جاءه إنسانٌ بدراهم وحِلية نسائية، وقال هذه لسيِّده فلان ـ يريد صاحب القبر ـ نصف مهر ابنتي؛ لأنِّي زوجتها وكنتُ مَلَّكت نصفَ مهرها فلانًا يريد صاحب القبر.

وهذه النذور بالأموال وجَعْلُ قِسط منها للقبر كما يجعلون شيئًا مِن الزرع يسمُّونه (تلما) في بعض الجهات اليمنية، وهذا شيءٌ ما بلغ إليه عُبَّادُ الأصنام، وهو داخلٌ تحت قول الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [النحل: ٥٦] بلا شكٍّ ولا ريب.

نعم، استغاثةُ العِباد يوم القيامة وطَلبهم من الأنبياء إنَّما يدعون الله تعالى ....

❁ الشرح:

• **قوله:** (وقال هذه لسيِّده فلان ـ يريد صاحب القبر ـ نصف مهر ابنتي؛ لأنِّي زوجتها وكنتُ مَلَّكت نصف مهرها فلانًا ـ يريد صاحب القبر)؛ حتى مهر ابنته يجعل للقبر منه نصيبًا!.

• **قوله:** (وهذا شيءٌ ما بلغ إليه عُبَّادُ الأصنام، وهو داخلٌ تحت قول الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾) وفي سورة (النحل): ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾، وهذا النصيب هو الذي ذكره الله في سورة الأنعام: ١٣٦.

ثم أجاب المؤلف عن استغاثة أهل الموقف يوم القيامة بالأنبياء ليشفعوا له عند الله ليريحهم من الموقف بقوله: **(نعم استغاثةُ العِباد يوم القيامة وطَلبهم من الأنبياء إنَّما يدعون الله تعالى)**؛ فهم إنما يطلبون منهم أن يدعوا الله لهم، لم يطلبوا منهم أن يخلصوهم من الموقف، وإنما يطلبون منهم أن يدعوا الله أن يخلصهم من الموقف، فطلب الدعاء من الحي القادر الحاضر لا بأس به؛

ليفصِلَ بين العباد بالحساب حتَّى يُريحَهم مِن هَوْل الموقف، وهذا لا شكَّ في جوازه، أعنِي طلبَ دعاء الله تعالى مِن بعضِ عباده لبعض، بل قد قال ﷺ لعمر ﷺ لَمَّا خَرَج معتمرًا: «لَا تَنْسَنَا يا أُخَيَّ من دُعَائِكَ»[١].

وأمَرَنا الله ـ سبحانه ـ أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ﴾ [الحشر: ١٠]، وقد قالت أم سُليم ﷺ: «يا رسولَ الله، خادمُك أنس، ادعُ الله له»[٢].

فقد فعله النبي ﷺ مع عمر ﷺ فقال له: (لَا تَنْسَنَا يا أُخَيَّ من دُعَائِكَ).

• **قوله**: (ليفصِلَ بين العباد بالحساب حتَّى يُريحَهم مِن هَوْل الموقف، وهذا لا شكَّ في جوازه)؛ أي: لا أحد يقول: إنه لا يجوز.

• **قوله**: (بل قد قال ﷺ لعمر ﷺ لمَّا خَرَج معتمرًا: «لَا تَنْسَنَا يا أُخَيَّ من دُعَائِكَ»)؛ فالرسول طلب من عمر ﷺ أن يدعو له في عمرته، وكان عمر ﷺ يتشرف بأن الرسول ﷺ طلب منه أن يدعو الله له.

وكذلك هذا صريح في القرآن، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، فالله أمرنا أن نستغفر لغيرنا من الأحياء والأموات، فدعاء المسلمين بعضهم لبعض مشروع، وهذا هو الذي جاء في حديث الشفاعة في المحشر فلا حجة فيه للخرافيين.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]؛ أي: كل من سبقك من الأولين؛ القريبين والبعيدين تستغفر لهم، لا سيما صحابة رسول الله ﷺ.

• **قوله**: (وقد قالت أم سُليم)؛ هي أم سليم بنت مِلْحان زوج أبي سليم، أم أنس بن مالك ﷺ، جاءت إلى النبي ﷺ بابنها أنس ﷺ وهو

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٤).

....

صغير قد بلغ سنَّ التمييز قالت: «هذا أنس يخدمك يا رسول الله» فصار أنس خادمًا لرسول ﷺ حتى مات الرسول ﷺ وهو يخدمه، وطلبت من الرسول أن يدعو الله له، فدعا له الرسول ﷺ بأن يطيل الله عمره، وأن يكثر ذريته، فطال عمره وكان أطول الصحابة عمرًا، وكثرت ذريته، رضي الله تعالى عنه.

وقد كان الصحابة ﵃ يطلبون الدعاءَ منه ﷺ وهو حي، وهذا أمرٌ متفق على جوازه، والكلام في طلب القبوريِّين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يَملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا أن يشفوا مرضاهم، ....

❁ **الشرح:**

• **قوله: (وقد كان الصحابة ﵃ يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي)**؛ ولا يطلبون منه وهو ميت، وإنما كانوا يطلبون منه وهو حي؛ ولذلك عمر ﵁ لما أجدبوا كانت العادة أن الرسول ﷺ يدعو لهم بالغيث، ويستسقون بدعاء النبي، فلما مات الرسول ﷺ، عدل عمر عن الرسول ﷺ إلى عمه العباس، لماذا مع أن الرسول أفضل من العباس؟ لأن الرسول ميت، ولا يُطلب من الميت شيء، والعباس حي ويقدر على الدعاء.

• **قوله: (والكلام في طب القبوريِّين من الأموات)**؛ أي: الذي نرد عليه هو الطلب مِن الأموات، أما الطلب من الأحياء فيما يقدرون عليه من دعاء أو مساعدة أو إغاثة هذا كله جائز ولا ينكره أحد.

• **قوله: (ومن الأحياء الذين لا يَملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا)**؛ أو من حيٍّ لا يقدر على ما تطلبه منه، كأن تطلب من حي أن يشفي مريضك! هذا لا يجوز ولا يقدر عليه إلا الله، أو تطلب من حي أن يرزقك أولادًا؛ فهذا لا يملكه إلا الله ﷻ.

• **قوله: (ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا أن يشفوا مرضاهم)**؛ أي: يطلبون من الأحياء ما لا يقدرون عليه مثل أن يشفوا مرضاهم، والله - جلَّ وعلا - يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ويقول: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦]؛ أي: لا يملكون رفعه، ولا يملكون تحويله من مكان إلى مكان، أو من شخص إلى شخص، أو من عضو إلى عضو، فلا يملكون شفاء

ويردُّوا غائبَهم، وينفِّسوا عن حبلاهم، وأن يسقوا زرعَهم، ويُدِرُّوا ضروعَ مواشيهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلَّا الله تعالى.

المرضى. وكذلك الذرية والإنجاب لا يقدرون على هذا، هذا بيد الله جلَّ وعلا.

• **قوله: (ويردُّوا غائبَهم)**؛ إذا ضاع له شيء أو ذهبت له دابة أو خادم يطلب من فلان أن يرده عليه، يرده عليه والمطلوب منه جالس عنده! لا يمكن هذا، ولكن لو ذهب وبحث عن الضائع فلربما وجده، ولكن يجلس في المكان ويرد الضائع مثلما يفعل القبوريون مع من يسمونهم بالسادة، فيطلبون منهم هذه الأمور وهم جالسون معهم؛ لأنهم يعتقدون أنهم يقدرون على كل شيء.

• **قوله: (وينفِّسوا عن حبلاهم)**؛ يعني: الحامل.

• **قوله: (وأن يسقوا زرعَهم)**؛ أي: ينزلوا المطر عليها!

• **قوله: (ويُدِرُّوا ضروعَ مواشيهم)**؛ أي: إذا كانت مواشيهم ليس فيها حليب ولا لبن، فيطلبون من الأموات أو من الأحياء أن يُدِرُّوا الضرع الذي جف وهذا لا يقدر عليه إلا الله ﷻ.

• **قوله: (ويحفظوها من العين)**؛ استعذ بالله من شر الجان، ومن شر الإنسان، استعذ بالله، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥]، ولا تستعذ بالمخلوق أن يمنع العين عنك.

هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف: ١٩٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، فكيف يطلب الإنسانُ مِن الجماد ....

۞ الشرح:

• **قوله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾؛ أي: لا يستطيعون نصر أنفسهم ممن أرادهم بسوء، وإذا كانوا لا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف يستطيعون نصر غيرهم؟ قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]، فهم لا يملكون شيئًا، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾؛ أي: الملك كله، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]؛ القطمير: هو الغطاء الذي على نواة التمر وهو أضعف شيء وأقل شيء وليس له قيمة، وهم مع ذلك لا يملكونه، فكيف يملكون الأرزاق، وإنزال المطر... ويملكون كذا وكذا كما يدَّعي القبوريون؟! ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٤]؛ ﴿مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾؛ يعني: نفسه ﷻ.

• **وقوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤]؛ عباد أمثالكم وقد تكونون أنتم أقوى منهم وأقدر منهم، هذا إن كانوا أحياء، فكيف بالأموات الذين صاروا ترابًا ورميمًا؟.

• **قوله**: (فكيف يطلب الإنسانُ من الجماد)؛ وهي الأصنام والأشجار والأحجار؛ فالإنسان أقوى من الجماد؛ يتحرك ويروح ويأتي، والجماد متجمد

أو مِن حي الجماد خير منه؛ لأنَّه لا تكليفَ عليه، وهي يبيِّن ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا. . .﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦]، فهؤلاء القبوريُّون والمعتقدون في جُهَّال الأحياء وضُلَّالهم سلَكوا مَسالكَ المشركين

لا يتصرف. أو يطلب من الميت الذي الحي أقدر منه على ما يريد.

• **قوله**: (أو من حي ـ الجماد خير منه ـ لأنَّه لا تكليفَ عليه)؛ فالجماد لا تكليف عليه، وهذا عليه التكليف والأوامر والنواهي والحساب والجنة والنار.

• **قوله**: (وهذا يبيِّن ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [النحل: ٥٦]) فالذي رزقناهم إياه يجعلونه لغيرنا. وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ﴾ هذا قسم من الله تعالى يقسم ـ جلَّ وعلا ـ أنه سيسألهم يوم القيامة عما كانوا يعملون.

• **قوله**: (فهؤلاء القبوريُّون والمعتقدون في جُهَّال الأحياء وضُلَّالهم سَلَكوا مَسالكَ المشركين)؛ أي: فهؤلاء الذين يدَّعون الإسلام سلكوا مسلك المشركين الذين لم يسلموا، بل هم أشد من المشركين؛ لأنهم يَدْعون الأموات والأضرحة، ويتبركون بالأحجار والأشجار، ألا ترون يوم عرفة هؤلاء الذين يصعدون جبل عرفة ويلحسون الحصى، ويتعلقون به، ويركعون ويسجدون عليه، ويصلُّون إلى العمود الذي فوق الجبل ويتمسحون به؟ وتتعجب من هذا؛ كيف يصل الإنسان إلى هذه الدرجة، وفي هذا اليوم العظيم المبارك فيشرك بالله ﷻ؟! نسأل الله العافية.

حَذو القُذَّة بالقُذَّة، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يُعتقد إلَّا في الله، وجعلوا لهم جُزءًا من المال، وقَصدوا قبورَهم من ديارهم البعيدة للزيارة، وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد، ونحروا تقربًا إليهم.

• **قوله: (حَذو القُذَّة بالقُذَّة)**؛ أي: قذة السهم؛ لأن السهم له قذتان، فالذي يصنع السهم يجعل له ريشتين، تسميان القذتين، من أجل أن يتعادل في الهواء ولا يسقط، ولا بد أن تكون كل قذة مساوية للأخرى؛ لئلا يسقط السهم، مثل جناحي الطائر لا بدَّ أن يتساويا.

• **قوله: (فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يُعتقد إلَّا في الله)**؛ أي: اعتقدوا في المخلوقين ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله؛ من جلب الأرزاق وشفاء الأمراض، وإنجاب الأولاد . . . وغير ذلك، بل إنهم لا يَدْعون الله أبدًا، بل يَدْعون الأموات والأضرحة، ولا يذهبون إلى بيوت الله في المساجد، بل يذهبون إلى الأضرحة وإلى القبور؛ ولذلك تراهم وقت الحج لا يجلسون في المسجد الحرام، وإنما يذهبون إلى غار حراء، وإلى غار ثور، وإلى المقابر، ولا يتجهون إلى المسجد الحرام، الذي الصلاة فيه بمئة ألف صلاة فيما سواه، نسأل الله العافية.

• **قوله: (وقَصدوا قبورَهم من ديارهم البعيدة للزيارة)**؛ أي: سافروا إليهم من ديارهم، فيأتون من بعيد مسافرين للقبر، والنبي ﷺ يقول: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، ومَسْجِدِ الأَقْصَى**»[1]؛ لعبادة الله ﷻ في هذه المساجد، وهؤلاء لا يذهبون إلى هذه المساجد الثلاثة بل يذهبون للقبور، ويسمونها المشاهد، ويحجون الآن إلى كربلاء وغيرها، والذين يحجون إلى هذه الأماكن أكثر من الذين يتجهون إلى الكعبة للحج والعمرة، نسأل الله العافية. . . ويسمون أنفسهم الحجاج،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩).

....

ويسمون سفرهم الحج؛ مضاهاة للحج إلى بيت الله الحرام، وقد ألَّفوا لها مناسكَ تُسمى مناسك حجِّ المشاهد.

• **قوله**: (ونحروا تقربًا إليهم)؛ ينحرون النحائر ويذبحون الذبائح عند القبور، يتقربون إلى الأموات، والله - جلَّ وعلا - يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]، يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]؛ وهؤلاء يقرؤون القرآن ويحفظونه ويرتلونه لكن للبركة فقط، ولا يلتفتون إلى العمل به، وإنما يعملون بما يخالف القرآن.

وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك، ولا أدري هل فيهم مَنْ يَسجد لهم؟ لا أستبعدُ أنَّ فيهم مَن يفعلُ ذلك، بل أخبرني مَن أثِقُ به أنَّه رأى مَنْ يَسجُدُ على عَتَبَةِ باب مَشهد الوليِّ الذي يقصده؛ تعظيمًا له، وعبادة، ويُقسمون بأسمائهم، ....

❁ الشرح :

• **قوله:** (وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك)؛ أي: هذه الأفعال من أنواع العبادات، بل هي أعظم أنواع العبادات؛ فالدعاء هو العبادة، كما قال ﷺ[1]، والذبح عبادة ولا يجوز إلا لله، والنذر عبادة لا يجوز إلا لله ﷻ.

• **قوله:** (لا أستبعدُ أنَّ فيهم مَنْ يفعلُ ذلك)؛ نعم فيهم مَنْ يسجد للموتى، وهذا شيء واضح، فيسجدون على العتبة ويركعون عليها، وهذا شيء موجود ومُشاهد.

• **قوله:** (بل أخبرني مَن أثق به أنَّه رأى مَنْ يَسجُدُ على عَتَبَةِ باب مَشهد الوليِّ)؛ والسجود عبادة، فلا يجوز أن يَسجد لغير الله، بلا لا يجوز أن يركع، أو يحني رأسه تعظيمًا إلا لله جلَّ وعلا. فالركوع والسجود عبادة لله وحده لا شريك له، فلا يُركع لأحد، ولا يُسجد لأحد إلا لله ﷻ.

• **قوله:** (ويُقسمون بأسمائهم)؛ كذلك يحلفون بهم، كما كان يحلف الكفرة الأولون باللات والعزى، فيحلفون بالأموات والأضرحة، كما كان يحلف أبو جهل وأبو لهب باللات والعزى، ولو طُلب منه أن يحلف، ويحلف بالله كاذبًا ولا يحلف بالقبر كاذبًا؛ لأنه يخاف من الحلف بالقبر حصول العقوبة وأما حلفه بالله كاذبًا فهذا لا يهمه أن يحلف وهو كاذب، نسأل الله العافية، مع أن الحلف عبادة، قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ أَشْرَكَ**»[2]، وقال: «**مَنْ كان حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَو فَلْيَصْمُتْ**»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).
(٣) أخرجه البخاري (٢٦٧٩).

بل إذا حَلف مَن عليه حقٌّ باسم الله تعالى لَم يقبلوا منه، فإذا حلف باسم وليٍّ من أوليائهم قبلوه وصدَّقوه، وهكذا كان عُبَّاد الأصنام؛ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر: ٤٥].

وفي الحديث الصحيح: «مَنْ كان حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ فَلْيَصْمُتْ»[1]، وسمع رسول الله ﷺ رجلًا يحلف باللَّات، فأمره أن

• قوله: (بل إذا حَلف مَنْ عليه حقٌّ باسم الله تعالى لَم يقبلوا منه)؛ أي: إذا توجهت اليمين عند القاضي على الخصم المُنْكِر، لا يقبلون أن يحلف بالله، وإنما يقبلون أن يحلف بالمخلوق الذي يعبده.

• قوله: (فإذا حلف باسم وليٍّ من أوليائهم قبلوه وصدَّقون وهكذا كان عُبَّاد الأصنام)، فعباد الأصنام يحلفون باللات والعزى ومناة وغيرها.

• قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾؛ فإذا تكلمت عندهم بالتوحيد، وقررت التوحيد نفروا، وهذا شيء مشاهدٌ حتى الآن ممن يَتَسَمَّوْن بالدعاة، تجدهم لا يريدون ذكر التوحيد، وينفرون من ذكر التوحيد ولا حول ولا قوة إلا بالله. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ من أصنامهم وأوثانهم، والأشجار والأحجار، ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ يستبشرون بذلك، هذا في المشركين الأولين، وأيضًا في المعاصرين ومَنْ قبلهم تجد عندهم هذا الشعور، ينفرون من التوحيد وذكر التوحيد والدعوة إلى التوحيد، ويستبشرون إذا دعا الإنسان إلى مناهجهم، وإلى مصطلحاتهم، نسأل الله العافية، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ»[2].

• قوله: (وسمع رسول الله ﷺ رجلًا يحلف باللَّات)؛ هذا رجل من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٨).

يقول: «لا إلٰه إلَّا الله»[1]، وهذا يدلُّ على أنَّه ارتدَّ بالحلف بالصَّنَم، فأمره أن يُجدِّد إسلامه، فإنَّه قد كَفَر بذلك، ....

المسلمين جاء على لسانه ما كان عليه في الجاهلية، فحلف باللات، وهو الصنم في الطائف، فأمره النبي ﷺ أن يقول: (لا إلٰه إلا الله)، وهذا دليل على أنه أشرك ويعود إلى الإسلام بالتلفظ بالشهادة.

• **قوله: (وهذا يدلُّ على أنَّه ارتدَّ بالحلف بالصَّنَم، فأمره أن يُجدِّد إسلامه)**؛ هذا ظاهر الحديث، وأنه إذا حلف بالصنم ارتد عن دين الإسلام؛ لأن الرسول أمره بالنطق بالشهادة فدل على أنه ارتد ويحتاج إلى التوبة والدخول في الإسلام من جديد.

والعلماء يقولون: إن الحلف بغير الله فيه تفصيل:

إن كان لا يقصد تعظيم المحلوف به كما يعظم الله، فهذا شرك أصغر.

أما إن كان يعظم المحلوف به كما يعظم الله أو أشد، فإن هذا شرك أكبر.

وأمر النبي الحالف باللات أن يتلفظ بـ لا إلٰه إلا الله؛ لأن من مقتضى (لا إلٰه إلا الله) أن لا يحلف إلا بالله؛ لأن الحلف تعظيم للمحلوف به، وهذا قد يصل إلى حد الكفر والشرك إذا عظَّم المحلوف به كما يعظم الله، ولا شك أن هذا كفر وردة؛ ولذلك أمره النبي ﷺ أن يقول: (لا إلٰه إلا الله).

وإذا كان هذا في كلمة واحدة قالها رجل فكفر بها وأُمر بتجديد إسلامه بالنطق بالشهادة، فكيف بمَنْ يعبد الأشجار والأحجار والقبور والأضرحة؛ فيستغيث بها ويُنذر لها، ويدعو عندها، ويقصدها ويترك المساجد؟! فهذا شرك صريح، فالحلف بغير الله صار كفرًا، فكيف بالاستغاثة بغير الله والذبح لغير الله؟! والنذر لغير الله؟! فهذا شيء واضح.

---

(١) انظر البخاري (٦١٠٧) ومسلم (١٦٤٧).

كما قرَّرناه في (سبل السلام شرح بلوغ المرام)، وفي (منحة الغفار).

• **قوله**: (**كما قرَّرناه في (سبل السلام شرح بلوغ المرام)، وفي (منحة الغفار)**)؛ أي: كما ذكر ذلك المؤلف في شرحه على (بلوغ المرام) وهو (سبل السلام)، كتاب معروف، وفي كتاب له آخر اسمه (منحة الغفار شرح ضوء النهار) قرر هذا أيضًا على هذا الحديث، وقرره هنا، فقد قرره في ثلاثة كتب له أن هذا الرجل كفر بكلمة واحدة، وهي حلفه باللات، فكيف بما هو أعظم من ذلك كما سيأتي؟.

فإن قلتَ: لا سواء؛ لأنَّ هؤلاء قد قالوا: (لا إله إلا الله)، وقد قال النبيُّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إلا الله، فإذا قالوها عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّهَا»[١]، ....

الشرح:

هذه شبهة من شبههم، يقولون: المشركون الأولون كانوا لا يقولون: (لا إله إلا الله)، ويعبدون الأصنام ويأبون أن يقولوا: (لا إله إلا الله)، أما هؤلاء الذين تعنونهم هم أصحاب الأضرحة والقبور فهم يقولون: (لا إله إلا الله)، ويُكْثرون من ذلك، وقد قال النبي ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولوا: لَا إِلَهَ إلَّا الله، فإذا قالوها عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»**، فلا يجوز تكفيرهم ولا قتالهم؛ لأنهم عصموا دماءهم وأموالهم بهذه الكلمة. يقولون هذا يغفلون عن آخر الحديث؛ وهو قوله ﷺ: **«إلا بِحَقِّهَا»**؛ أي: حق (لا إله إلا الله)، وأعظم حق (لا إله إلا الله) إفراد الله ـ جلَّ وعلا ـ بالعبادة، ومن حقها: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

وقد قاتل الصحابة مانعي الزكاة وهي ركن من أركان الإسلام مع أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولما قالوا لأبي بكر ﷺ كيف تقاتلهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله؟ قال: إن الرسول ﷺ قال: **«إلا بِحَقِّهَا»**، وإن الزكاة من حقها، والله لو مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إلى رسول الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِهِ[٢]، فقاتلهم وقتلهم حتى أخضعهم لإيتاء الزكاة رضي الله تعالى عنه، مع أنهم يقولون: (لا إله إلا الله)، أفكان الصحابة بقيادة أبي بكر ﷺ مخطئين على قول هؤلاء؛ لأنهم قاتلوا مانعي الزكاة وهم يقولون: (لا إله إلا الله)؟.

فدل على أن (لا إله إلا الله) ليست مجردَ قول، بل لا بدَّ من العمل

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥ ـ ٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

وقال لأسامة بن زيد: «أَقَتَلْتَه بعدما قال: لا إِلٰه إِلَّا الله؟»[١].

بمقتضاها وهو إفراد الله بالعبادة، وترك ما يناقضها، وهو الشرك بالله ﷻ، فليست (لا إلٰه إلا الله) عاصمة للدم والمال إلا بأداء حقها.

وقد ذكرنا أن هذه الشبهات التي يذكرها المؤلف هنا هي نفس الشبهات التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورد عليها في كتاب (كشف الشبهات)، وهي رسالة عظيمة في رد شبهات هؤلاء، ومنها هذه الشبهة، فأوصيك بقراءة رسالة (كشف الشبهات) مع شروحها؛ فقد شُرِحت ـ ولله الحمد ـ بشروح كثيرة وضَّحَتْها وبيَّنت مقاصدها.

● **قوله:** (وقال لأسامة بن زيد: «أقتلته بعدما قال: لا إلٰه إلا الله؟»)؛ أي: ومن تمام احتجاجهم أن الرسول ﷺ قال لأسامة بن زيد بن حارثة حِبِّ الرسول ﷺ وابن حبه، وقد كان أسامة مع غزاة غزوا الحرقة، قبيلة من القبائل، غزوهم فصبحوهم، وانتصروا عليهم، فكان منهم رجل هرب، فلحق به أسامة ورجل من الأنصار، فلما غشوه ورفعوا عليه السيف، فقال: (لا إلٰه إلا الله) فأما الأنصاري فكف عنه، وأما أسامة بن زيد رضي الله عنه فقتله، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أنكر على أسامة، وقال: **«أقتلته بعدما قال: لا إلٰه إلا الله؟»**، **«ماذا تصنع بلا إلٰه إلا الله يوم القيامة؟»**، وما زال يكررها عليه حتى ندم رضي الله عنه ندامة شديدة.

قالوا: فهذا دليل على أن من قال: (لا إلٰه إلا الله) يُكفُّ عنه، ويُحقن دمه؛ لأن الرسول ﷺ أنكر على أسامة.

نقول: نعم إذا نطق بها يُكَفُّ عنه، ويُقبل إسلامه، إلا إذا ظهر منه ما يناقضها من عبادة غير الله فإنه لا يُكَفُّ عنه حينئذٍ؛ لأنه يعتبر مرتدًّا، فإن استمر عليها فإنه مسلم، وإذا أتى بما يناقضها فإنه يكون مرتدًّا، يُقام عليه حد المرتد.

وهذا شأن القبوريين، يقولون: لا إلٰه إلا الله، ولكن يأتون بما يناقضها،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩).

وهؤلاء يُصَلُّون ويصومون ويزكُّون ويَحجُّون بخلاف المشركين.

وهو الاستغاثة بالأموات والذبح، والنذر لهم، والالتجاء إليهم، فهم ناقضوا (لا إله إلا الله) فصار الحديث حجة عليهم لا لهم، ولكن أهل الضلال من عاداتهم أنهم لا يتفقهون في النصوص، وإذا استدلوا لا يُكْمِلون النص، ولا يأتون بما يوضحه من كلام الرسول ﷺ؛ لأن الأحاديث يفسر بعضُها بعضًا، مثل القرآن يُبين بعضُه بعضًا، ويُفسر بعضُه بعضًا، فيُردُّ المتشابه إلى المُحْكم. أما أهل الزيغ فيأخذون المتشابه ويتركون المحكم، وهذه طريقتهم دائمًا وأبدًا.

فليس المراد بـ (لا إله إلا الله) مجردَ النطق بها، ثم فعل أفعال المشركين الذين أبوا أن يقولوها. والمشركون أعقل منهم؛ لأنهم أبوا أن يقولوها لأنها تناقض ما هم عليه، وهؤلاء يقولونها ولا يتركون ما يناقضها، فالمشركون أعقل منهم؛ فلما قيل لهم: قولوا: (لا إله إلا الله)، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، وهو لم يقل لهم: اتركوا آلهتكم، بل قال: قولوا: لا إله إلا الله، ففهموا - لأنهم عرب فصحاء - أنهم إذا قالوها بطلت عبادة الأصنام، وهم لا يريدون ذلك، فأبوا أن يقولوها، وهؤلاء قالوها ولم يتحاشوا ما يناقضها لغباوتهم وجهلهم وقلة فقههم في دين الله، وأخذهم بالمتشابه دون الأخذ بما يوضِّحه ويبينه من كلام الله ورسوله ﷺ.

● **قوله**: (وهؤلاء يُصَلُّون ويصومون ويزكُّون ويَحجُّوم بخلاف المشركين)؛ هذا بقية كلامهم، فهؤلاء يقولون: لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون ويزكون، ولكننا نقول: هم مع ذلك يستغيثون بالأموات، صحيح أنهم يُصَلُّون ويحجُّون ويعتمرون ولكن لن تنفعهم هذه الأعمال وهم يشركون بالله، ويستغيثون بالأموات ويذبحون لهم وينذرون لهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥

قلتُ: قد قال ﷺ: «إلا بِحَقِّهَا»، وحقُّها: إفرادٌ بالإلهية والعبودية لله تعالى.

والقبوريُّون لَم يُفردوا هذه العبادة، فلم تنفعهم كلمةُ الشهادة، فإنَّها لا تنفع إلَّا مع التزام معناها، ....

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، وهم يقرؤون القرآن، ولكنهم لا يقرؤونه قراءة فهم وقراءة معرفة، وإنما يقرؤونه بالألسنة فقط.

• **قوله: (قلتُ)**؛ هذا جواب الشيخ لهم، فهم لم يُكْملوا الحديث، ولم يفهموا ما هو حقُّ (لا إلٰه إلا الله). ـ قيل لوهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ وهو من أئمة التابعين ـ أليس (لا إلٰه إلا الله) مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك؛ يريد بذلك أن (لا إلٰه إلا الله) لها مقتضيات مثل أسنان المفتاح، وهي: التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، وترك الشرك، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة . . . إلى آخره. فإن اقتصرت على مجرد قولها من غير أن تحققها لن تنفعك، ولو ردَّدْتها الليل والنهار وعدد الأنفاس، فلا تنفعك، مثل من معه مفتاح وليس له أسنان، وكلكم يعلم أن المفتاح الذي ليس له أسنان وجوده كعدمه.

• **قوله: (قد قال ﷺ: «إلا بِحَقِّهَا»، وحقُّها: إفرادٌ بالإلهية والعبودية لله تعالى)** فأعظم حقها إفراد الله بالعبادة، هذا من أعظم حقوق (لا إلٰه إلا الله)، يأتي بعده الصلاة، والزكاة، وأوامر الدين، بعد إفراد الله بالعبادة، أما أن تقول: (لا إلٰه إلا الله) وتعبد غير الله، فهذا تناقض.

• **قوله: (والقبوريُّون لَم يُفردوا هذه العبادة)**؛ أي: أن القبوريين ما جاؤوا بحقها الذي هو إفراد الله بالعبادة؛ فهم يعبدون غير الله، ويذبحون وينذرون، ويستغيثون ويطوفون ويعكفون على القبور.

• **قوله: (فلم تنفعهم كلمةُ الشهادة)**؛ لأنه ليس المراد التلفظَ بها.

• **قوله: (فإنَّها لا تنفع إلَّا مع التزام معناها)**؛ فإنها لا تنفع مَنْ نطق بها

ولَم ينفع اليهودَ قولُها؛ لإنكارهم بعضَ الأنبياء.

إلا مع التزام معناها والعمل بمقتضاها. ما هو معناها؟ معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ لأنها نفي وإثبات؛ نفي للشرك وإثبات للتوحيد، هذا معناها. ومقتضاها: أن لا يعبد إلا الله؛ أي: أن يفرد الله بالعبادة.

• **قوله**: (ولَم ينفع اليهودَ قولُها؛ لإنكارهم بعض الأنبياء)؛ فاليهود يقولون: (لا إله إلا الله)، ولكنهم كفار لماذا؟ لأنهم جحدوا بعض الأنبياء ولم يؤمنوا بهم، فلم يؤمنوا بعيسى ﵇، ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ومَنْ جحد نبوة واحد من الأنبياء فهو كافر، وإن كان يقول: لا إله إلا الله، مثل اليهود، فليس المقصود هو قولَ: (لا إله إلا الله) فقط، وتفعل ما تشاء، بل تتقيد بها.

وكذلك مَن جعل غير مَن أرسله الله نبيًّا، لم تنفعه كلمةُ الشهادة، ألَا تَرَى أن بني حَنِيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويُصَلُّون، ولكن قالوا: إنَّ مُسيلمة نبيٌّ، فقاتلهم الصحابةُ وسَبَوْهُم، ....

۞ الشرح:

• **قوله: (وكذلك مَنْ جعل غيرَ مَنْ أرسله الله نبيًّا لم تنفع كلمةُ الشهادة)**؛ مَنْ جحد نبيًّا فهو كافر وإن كان يقول: (لا إله إلا الله) كحالة اليهود والنصارى، ومن زاد نبيًّا لم يرسله الله فهو كافر أيضًا مثل أتباع مسيلمة الذين جعلوا مسيلمة نبيًّا، وشهدوا له وقاتلوا معه، وهم يقولون: (لا إله إلا الله)، بل هم يقولون: (محمد رسول الله)، ولكن أشركوا معه في الرسالة مسيلمة، وكذلك مِن أهل اليمن مَنْ قالوا بنبوة الأسود العنسي الذي ادَّعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ، وهم يقولون: (لا إله إلا الله)، ولكن لما زادوا نبيًّا من عندهم كفروا بذلك، وكذلك مَنْ يقولون الآن: أن أحمد القادياني نبي، فهم كفار بإجماع المسلمين، والقاديانية يصلون ويصومون ويبنون المساجد، ولكنهم كفار بإجماع المسلمين، لماذا؟ لأنهم أثبتوا نبوة القادياني فزادوا نبيًّا لم يكن من الأنبياء، فمن جحد نبيًّا أو زاد نبيًّا فهو كافر، وإن كان يقول: (لا إله إلا الله) فتنبه لذلك.

• **قوله: (ألَا تَرَى أن بني حَنِيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويُصَلُّون، ولكن قالوا: إنَّ مُسيلمة نبيٌّ، فقاتلهم الصحابةُ وسَبَوْهُم)**؛ وقد ظهر مُدَّعو النبوة في آخر حياة النبي ﷺ: مسيلمة في اليمامة، والأسود العنسي في اليمن، وتُوفي الرسول ﷺ وهم موجودون، فقام الصحابة مِنْ بعده بقتلهم؛ فالذين في اليمن من المسلمين قتلوا الأسود العنسي، والذين في المدينة وما حولها قاتلوا بني حنيفة في اليمامة في معركة اليمامة قتالًا شديدًا ضاريًا، واستشهد فيها كثير من صحابة رسول الله ﷺ، لا سيما القُرَّاء

فكيف بمن يَجعل للوليّ خاصيةَ الإلهية ويُناديه للملمات[١]؟!.

حفظة القرآن، وفي النهاية نصر الله المسلمين، وقُتل مسيلمة الكذاب ومن معه، وهم يقولون: (لا إله إلا الله) ويصلون ويصومون، ولكن لما أقرَّوا بنبوة مسيلمة ارتدُّوا وكفروا، فليس المرادُ النطقَ بـ (لا إله إلا الله) فقط.

● **قوله: (فكيف بمن يَجعل للوليّ خاصيةَ الإلهية ويُناديه للملمات؟!)؛** إذا كان مَنْ جعل لرجل الرسالة والنبوة فهو كافر، فكيف بمَنْ جعل لرجل خصائص الله جلَّ وعلا، فدعاه واستغاث به إلى آخر ما يفعلون؟! هذا أَوْلَى بالكفر من غيره.

---

(١) في نسخة: للمهمات.

وهذا أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حرَّق أصحابَ عبد الله بن سبأ، ....

الشرح:

كان رجل يُقال له: (ابن السوداء)، وهو عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، دسَّه اليهود ليفسدوا الإسلام، فأظهر الإسلام، مثلما دس اليهود (بولس) على دين المسيح ﷺ، فأفسدوا دين المسيح، وقالوا بالتثليث وأن الله ثالث ثلاثة، وبدل أن يكون المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله، قالوا: إنه ابن الله، وهذا دسَّه عليهم (بولس) اليهودي الذي ادَّعى أنه تنصَّر وترك اليهودية، ويحب المسيح ودين المسيح، فصدَّقه النصارى، وضل أكثرهم، وكفروا بسببه.

مثل هذا عَمِل اليهودُ مع الإسلام، فدسُّوا عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء؛ لأن أمه حبشية سوداء، فادَّعى الإسلام وجاء إلى المدينة، فأخذ يحرِّض الناس على عثمان ﷺ في خلافته، ويتنقَّصُه عند الناس، ويقول: إنه ابتز الأموال وفعل وفعل، فصدقه بعضهم، وأنتم تعلمون أن الدعايات يكون لها رواج، فصدقه بعض الدهماء والشباب، ثم إنه انتبه له المسلمون فطُرد من المدينة، فذهب إلى مصر فوجد أناسًا كثيرين روَّج لديهم هذه الفكرة، فصدقوه وأبغضوا عثمان ﷺ، ثم تألف منهم جماعة جاؤوا إلى المدينة ثائرين على عثمان، ولم يأت معهم هذا الخبيث، بل كان مختفيًا؛ لأنه لو أُمسك به لقتل، ولكن ظل مختفيًا ويعمل في الخفاء، جاؤوا إلى عثمان على أنهم يريدون أن يتفاوضوا معه، وطوَّقوا بيت أمير المؤمنين على أنهم يريدون التفاهم معه، فلما كان الليل تسوروا عليه ﷺ وهو يصلي ويتهجد ويقرأ القرآن، وقتلوه رضي الله تعالى عنه.

ولما قتلوا عثمان شبَّت الفتنة في المسلمين إلى الآن وإلى أن تقوم الساعة، فحصل ما حصل من الفتن والشرور، وقتلوا بعده علي بن أبي طالب ﷺ، وأسقطوا دولة الخلفاء الراشدين، ولولا أن الله تدارك المسلمين بأمير المؤمنين

وقد كانوا يقولون: (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله)، ....

معاوية بن أبي سفيان، وجمع الله المسلمين على يده، وسدَّ الطريق على الخوارج وعلى أتباع ابن سبأ بحسن سياسته ودهائه ﷺ، وسمي العام الذي اجتمع فيه المسلمون على معاوية بـ (عام الجماعة)، وهو مشهور في التاريخ.

فلطف الله بالمسلمين وسدَّ الطريق على الخوارج، ولكنهم يأتون في كل زمان، ما انقطع مددهم، ولكن ولله الحمد كلما ظهر منهم قرن قُطع، كما في الحديث[(١)]، وحث النبي ﷺ على قتالهم، وقال: «**لَئِنْ أنا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[(٢)]، فتحقق ذلك على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخليفة الرابع، فقاتلهم في (النهروان)، ونصره الله عليهم وبعدها قتلوه ﷺ، وصارت الدنيا فوضى إلى أن آل الأمر إلى أمير المؤمنين معاوية ﷺ.

وهؤلاء الخوارج أحسن من القبوريين بكثير، بكثرة عبادتهم، وصلاتهم، وكثرة بكائهم من خشية الله، ولكن لما اعتقدوا هذه العقيدة، وهي الخروج على ولي أمر المسلمين أمر النبي ﷺ بقتالهم، ووعد من قتلهم بالأجر العظيم، فتحقق ذلك على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فنكأ بهم نكاية عظيمة، وقتلهم الله على يده ﷺ. فإذا كانوا مع صلاحهم وعبادتهم ودينهم يُقاتلون وأمر النبي ﷺ بقتالهم، وأباح دماءهم للمسلمين من أجل كفِّ شرهم، فكيف لا يُقاتل عُبَّاد القبور الذين ليس عندهم ورع مثل الخوارج؛ بل عندهم الشرك والبدع والخرافات، كيف لا يُقاتلون حتى يطهر الإسلام وبلاد الإسلام منهم؟.

• **قوله: (وكانوا يقولون: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله)**، ولكن يعتقدون بإلهية علي، فيغلون فيه، ويقولون: أنت هو أنت هو فاستتابهم علي ﷺ، فلم يتوبوا فحفر حفرًا وخنادق، وأوقد فيها النار، ثم أمر بإحراقهم في هذه الخنادق، وهم يقولون: (لا إله إلا الله)؛ لأنهم شقُّوا عصا طاعة

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤).

ولكنَّهم غَلَوا في علي ﷺ، واعتقدوا فيه ما يَعتقد القبوريُّون وأشباهُهم، فعاقَبَهم، عقوبةً لم يُعاقب بها أحدًا من العصاة، فإنَّه حَفر لهم الحفائرَ، وأَجَّجَ لهم نارًا، وألقاهم فيها وقال:

لَـمَّـا رأيـتُ الأمـرَ أمـرًا مـنـكـرًا ... أجَّـجـتُ نـاري ودَعَـوتُ قَـنْـبـرًا

... وقال الشاعر في عصره:

لِتَرْم بي الـمـنيَّـة حيـث شاءت ... إذا لَـم تـرم بـي فـي الـحُـفـرتَـيـن

إذا مـا أجَّـجـوا فـيـهـنَّ نـارًا ... رأيـت الـمـوت نـقـدًا غـيـر دَيْـن

والقصَّة في (فتح الباري) ....

المسلمين، وغلوا في علي حتى جعلوه إلهًا مع الله ﷻ، فكيف لا يُقاتل مَنْ جعل مع الله إلهًا من الموتى والمقبورين.

• **قوله**: (**ولكنَّهم غَلَوا في علي ﷺ**)؛ غلوا في علي ﷺ حتى اعتقدوا فيه الإلهية.

• **قوله**: (**واعتقدوا فيه ما يَعتقد القبوريُّون وأشباهُهم**)؛ أي: اعتقدوا فيه ما اعتقده القبوريون الذين نحن بصدد الرد عليهم، ومع هذا قتلهم علي ﷺ شر قتلة، وكان ابن عباس يقول: لو أن الأمر لي لقتلتهم بالسيف ولم أقتلهم بالنار؛ لأنه لا يعذب بالنار إلا الله ﷻ؛ فهو وافق عليًّا في قتلهم.

وقول علي ﷺ:

لَـمَّـا رأيـتُ الأمـرَ أمـرًا مـنـكـرًا ... أجَّـجـتُ نـاري ودَعَـوتُ قَـنْـبـرًا

قنبر: من رجال علي، أمره أن يحرقهم، فأحرقهم. هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، رابع الخلفاء، أحرق هؤلاء الذين غلوا فيه، فكيف بالذين يغلون في القبور، ويعبدونها من دون الله؟

• **قوله**: (**والقصَّة في (فتح الباري)**)؛ أي: القصة ذكرها الإمام الحافظ ابن حجر في (فتح الباري).

وفي غيره من كتب الحديث والسير[١].

• **قوله: (وفي غيره من كتب الحديث والسير)**؛ أي: القصة مذكورة في غير (فتح الباري) من كتب الحديث في شأن الخوارج وما فعله علي ﷺ مع غلاتهم، وفي كتب السير والتواريخ مثل: تاريخ ابن كثير، وتاريخ ابن جرير، وتاريخ الذهبي.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧٠)، الشريعة للآجري (٤/ ١٩٨٦).

وقد وقع إجماعُ الأمَّة على أنَّ مَن أنكر البعثَ كَفَر وقُتِل، ولو قال: لا إِلٰه إلا الله، فكيف مَنْ يجعل لله ندًّا؟!.

فإن قلتَ: قد أنكر ﷺ على أسامة قتلَه لِمَن قال: (لا إِلٰه إلا الله)، كما هو معروف في كتب الحديث والسير.

قلتُ: لا شكَّ أنَّ مَن قال: (لا إِلٰه إلا الله) من الكفار حَقَنَ دمَه ومالَه حتى يتبيَّن منه ما يُخالف ما قاله؛ ....

❁ الشرح:

• **قوله: (وقد وقع إجماعُ الأمَّة على أنَّ من أنكر البعثَ كَفَر وقُتِل)**؛ مَنْ أنكر البعث قُتل؛ لأنه كافر، قال الله - جلَّ وعلا -: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التغابن: ٧]، فوصفهم بالكفر؛ لأنهم زعموا أن لن يُبعثوا، فدل على أن مَنْ أنكر البعث يكفر ولو كان يقول: (لا إِلٰه إلا الله)، فإذا كان مَنْ أنكر البعث يكفر ويُقتل فكيف بمن يستغيث بغير الله من الأموات والأولياء والصالحين، ويذبح لهم، ويحجُّ لهم ولقبورهم ويعكف عندها، كما لا يخفى من مظاهر الشرك الآن عند الأضرحة؟.

• **قوله: (فكيف من يجعل لله ندًّا؟!)**؛ أي: شريكًا وهم القبوريون.

• **قوله: (فإن قلت: قد أنكر ﷺ على أسامة قتلَه لِمَن قال: (لا إِلٰه إلا الله)، كما هو معروف فيكتب الحديث والسير)**؛ هذا سبق أن أجبنا عنه، وسيجيب عنه المؤلف؛ لأن أهل الشر يتلمسون الشبهات، ويتمسكون بالآيات والأحاديث المشتبهات، ويُلَبِّسون بها على الناس، وهي ليست لهم بل هي عليهم.

• **قوله: (قلتُ: لا شكَّ أنَّ مَن قال: (لا إِلٰه إلا الله) من الكفار حَقَنَ دمَه ومالَه حتى يتبيَّن منه ما يُخالف ما قاله)**؛ فمن قالها دخل في الإسلام وعومل معاملة المسلمين، فكان الواجب على أسامة رضي الله عنه أن يكفَّ عنه، حتى

ولذا أنزل الله تعالى في قصَّته[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ الآية [النساء: ٩٤]، فأمرهم الله تعالى بالتثبُّت فيشأن مَن قال كلمةَ التوحيد، فإن تبيَّن التزامُه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن تبيَّن خلافُه لَم يحقن بمجرد اللفظ ماله ودمه.

يتبين منه ما يخالف ذلك، فإذا تبين منه ما يخالف ذلك حُكم بردته، ويُجرى عليه أحكام المرتد.

• **قوله**: (ولذا أنزل الله تعالى في قصَّته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ الآية) جاء في تفسير الآية وسبب نزولها أن جماعة من الصحابة كانوا في غزوة أو في سرية، فجاء رجل من المشركين معه غنيمة يسوقها، فأرادوا قتله، فقال: (السلام عليكم)، فظنوا أنه يتعوذ بذلك فقتلوه وأخذوا الغنم، فأنكر الله عليهم ذلك، وهم صحابة رسول الله ﷺ، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: سافرتم للجهاد، ﴿فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾؛ أي: خذوه على ظاهره حتى يتبين منه ما يخالف؛ لأن الرجل قال: السلام عليكم، فلم يقبلوا منه وقتلوه ﷺ، فعاتبهم الله[2].

• **قوله**: (**فأمرهم الله تعالى بالتثبُّت في شأن مَن قال كلمةَ التوحيد**)؛ فمن قالها يُقبل منه، ويتثبت في أمره حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وهؤلاء القبوريون تبين وبوضوح ما يناقض قولهم: (لا إله إلا الله)، وهو عبادة غير الله.

• **قوله**: (**فإن تبيَّن التزامُه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن تبيَّن خلافُه لَم يحقن بمجرد اللفظ ماله ودمه**)؛ إذا تبين منه خلاف (لا إله إلا الله) ومقتضاها لم يحقن دمه ولا ماله، ويحكم عليه بالردة.

---

(١) في بعض النسخ: في قصة مُحلّم بن جثامة.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٧٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٧١٦).

وهكذا كلُّ من أظهر التوحيد وجب الكَفُّ عنه إلا أن يتبين منه ما يخالف ذلك، ولم تنفع هذه الكلمةُ بمجردها اليهود، ولا نفعت هذه الكلمة الخوارج مع ما انضمَّ إليها من العبادة التي كان يحتقر الصحابةُ ﷺ عبادتَهم إلى جنبها، بل أَمَرَ ﷺ بقتلهم: وقال: «لَئِنْ

• **قوله**: (وهكذا كلُّ مَن أظهر التوحيد وجب الكَفُّ عنه إلا أن يتبين منه ما يخالف ذلك)؛ وهؤلاء تبيَّن منهم ما يخالف التوحيد، وهو عبادة غير الله من الأموات؛ فالمشركون يعبدون الأصنام والأحجار والأشجار، وهؤلاء يعبدون القبور والأضرحة ما الفرق بينهما، أليس كله عبادة لغير الله؟، والله لا يرضى أن يُشرك معه أحد، ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

• **قوله**: (ولم تنفع هذه الكلمةُ بمجردها اليهود)؛ أي: لم تنفع هذه الكلمة اليهود وهم ينكرون نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ولم تنفع أهل اليمامة؛ لأنهم اعتقدوا نبوة مسيلمة الكذاب، فجعلوه نبيًّا شريكًا لمحمد ﷺ، فلم تنفعهم (لا إله إلا الله).

• **قوله**: (ولا نفعت هذه الكلمة الخوارج)؛ بل قاتلهم الصحابة وهم يُصَلُّون ويصومون، بل هم أشد الناس صلاةً وصيامًا وتعبدًا وذكرًا لله وتلاوة للقرآن، حتى إن الصحابة يحقرون أعمالهم إلى أعمال هؤلاء، ولكن لما نحلوا هذه النحلة وهي الخروج على المسلمين واستباحة دماء المسلمين وأموالهم، والخروج على ولي الأمر وشق عصا الطاعة، أمر النبي ﷺ بقتالهم. ومن العلماء من يكفرهم، ومنهم من لا يكفرهم، ولكن يُقاتَلون من أجل خروجهم على ولي الأمر، ولأجل استحلالهم لدماء المسلمين.

• **قوله**: (مع ما انضمَّ إليها من العبادة التي كان يحتقر الصحابةُ ﷺ عبادتَهم إلى جنبها)، وقد أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مع صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مع صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ**»[1]؛

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٨).

أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(١)]، وذلك لمَّا خالفوا بعضَ الشريعة وكانوا شرَّ القتلى تحت أديم السماء، كما ثبتت به الأحاديث[(٢)].

فثبت أنَّ مجرَّدَ قول كلمة التوحيد غيرُ مانع من ثبوت شرك مَن قالَها؛ لارتكابه ما يُخالفها من عبادة غير الله.

أي: إن الصحابة يحتقرون أعمالهم مع أعمال هؤلاء، ومع هذا أباح الرسول ﷺ دماءهم؛ لأنهم ارتكبوا ما يقتضي إباحة دمائهم من استباحة دماء المسلمين، وخروجهم على ولي الأمر وشق عصا الطاعة.

● **قوله: (وذلك لمَّا خالفوا بعضَ الشريعة)**؛ وهذا أخف من مخالفة القبوريين؛ فالقبوريون أشركوا شركًا صريحًا، وهؤلاء خرجوا على أصول بعض الشريعة التي هي لزوم السمع والطاعة، ولزوم جماعة المسلمين، وحقن دماء المسلمين، فاستحقوا بذلك القتل.

● **قوله: (وكانوا شرَّ القتلى تحت أديم السماء، كما ثبتت به الأحاديث)** وهذا لفعلتهم الشنيعة وخروجهم على المسلمين وعلى ولاة أمور المسلمين، فجاء في الحديث أنهم شر قتلى وأنهم كلاب النار[(٣)]، مع أنهم يعبدون الله عبادة عظيمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠)، وابن ماجه (١٧٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠).

فإن قلتَ: القبوريُّون وغيرُهم مِن الذين يَعتقدون في فَسَقَة الناس وجُهالِهم من الأحياء يقولون: نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد إلَّا الله وحده، ولا نصلي لهم، ولا نصوم ولا نحجُّ.

❁ الشرح:

هذه شبهة من شبه القبوريين، وهي أنهم يقولون: نحن لا نعتقد في هؤلاء الأشخاص أحياءً أو أمواتًا، الذين نعظهم ونتبرك بهم ونمارس عند قبورهم، أو عندهم إن كانوا أحياءً شيئًا من مظاهر العبادة، نحن لا نعتقد فيهم أنهم ينفعون أو يضرون، لا نعتقد هذا؛ لأن هذا أمر لا يقدر عليه إلا الله، إذًا فما مرادهم بممارستهم هذه؟ قالوا: مجرد أنهم وسائط بيننا وبين الله، يتوسطون لنا في قضاء حوائجنا عند الله؛ لأن لهم مكانة، ولهم منزلة.

فيُقال لهم: أولًا أنتم معترفون بأن هؤلاء فسقة وأنهم لا يصلون، وأنهم يمارسون الفواحش، فكيف تقولون: إنهم صالحون ولهم مكانة عند الله؟ قالوا: هؤلاء وصلوا إلى مرتبة سقطت عنهم التكاليف بالعبادة خاصة الأولياء، فالتكاليف إنما هي على مَنْ لم يصل إلى الله، أما هؤلاء فقد وصلوا إلى الله وليسوا بحاجة إلى العبادة، هذا في حق الأحياء.

أما في حق الأموات فيقولون: هؤلاء يقربوننا إلى الله زلفى.

فالجواب: أن هذا هو قول المشركين السابقين، سواء بسواء؛ لأن المشركين الأولين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم يقولون هذه المقالة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فهم لم يعتقدوا فيهم أنهم ينفعون أو يضرون، وأنهم يقدرون على ما يُطلب منهم، ولكنهم يقولون: إنهم وسائط بيننا وبين الله، وقد ردَّ الله عليها في القرآن وحكم على أصحابها بالكفر والشرك والكذب، فكيف تعيدونها علينا بعد الإسلام وبعد أن منَّ الله على المسلمين بالإسلام، فكيف تعيدون ما كان عليه المشركون من قَبْل مع

قلتُ: هذا جهلٌ بمعنى العبادة، فإنَّها ليست منحصرةً في ما ذكرتَ، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمُّونه معتقدًا، ويصنعون له ما سمعتَه مِمَّا تفرَّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر، وغير ذلك.

الأولياء والصالحين؟ هذا عين مقالة الأولين لا تختلف عنها بشيء؛ لأن الذي أضل الأولين هو الذي أضل الآخرين، وهو الشيطان.

• **قوله**: (**قلتُ: هذا جهلٌ بمعنى العبادة**)؛ ما معنى العبادة؟ العبادة ليست مقصورة على الصلاة والحج والصيام؛ العبادة كل ما يُتقرب به إلى المعبود، وكل ما يتذلل له به فهو عبادة، سواء كانت عبادة صحيحة أو عبادة باطلة.

• **قوله**: (**فإنَّها ليست منحصرةً في ما ذكرتَ**)؛ أي: في الصيام، والصلاة والحج.

• **قوله**: (**بل رأسها وأساسها الاعتقاد**)؛ فرأسها الاعتقاد بالقلب، وكذلك الممارسات بالجوارح كالصلاة والصيام والحج... إلى آخره؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف العبادة: (اسْمٌ جامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ: مِنْ الأَقْوَالِ والأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ)[1]، هذا الاسم الجامع للعبادة.

• **قوله**: (**وقد حصل في قلوبهم ذلك**)؛ أي: حصل في قلوبهم الاعتقاد بتعظيم هؤلاء.

• **قوله**: (**بل يسمُّونه معتقدًا، ويصنعون له ما سمعتَه مِمَّا تفرَّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر، وغير ذلك**)؛ أي: لولا أنهم يعتقدون في قلوبهم في هؤلاء ما فعلوا هذه الأعمال لهم وتقربوا بها إليهم، فهذه مغالطة وجهل بمعنى العبادة أو تجاهل له.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

وقد ذكر العلماءُ أن من تَزَيَّا بزيِّ الكفَّار صار كافرًا، ومَن تكلَّم بكلمة الكفر صار كافرًا، فكيف بمن بَلَغَ هذه الرتبةَ اعتقادًا وقولًا وفعلًا؟.

الشرح:

• **قوله:** (وقد ذكر العلماءُ أن من تَزَيَّا بزيِّ الكفَّار صار كافرًا)؛ فالكفر لا يقتصر على السجود والركوع لغير الله، والذبح والنذر لغير الله، بل جاء في الحديث: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ منهم**»[1]، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: أقل أحوال هذا الحديث أنه يدل على تحريم التشبه بهم[2]. وإن كان ظاهره أن من فعل ذلك «**فهُوَ منهم**» يعني: فقد كفر، هذا ظاهر الحديث، ولكن أقل أحواله أن هذا محرم؛ لأنه ما تشبه بهم إلا وهو يجيز ما هم عليه، ويستسيغ ما هم عليه، وإلا لو كان يعتقد بطلان ما هم عليه ما تشبه بهم.

• **قوله:** (ومَن تكلَّم بكلمة الكفر صار كافرًا)؛ وقد مرَّ بنا قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] في أي شيء يخوضون؟ يقولون: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء)، أليس هذا كلام بالألسن؟ بلى، ومع هذا قال الله فيهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، وقال ﷺ: «**وإنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّم بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[3]، كلمة واحدة ولا يلقي لها بالًا أيضًا، وقد قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، فالكفر يكون بالكلام، ومن دعا غير الله فهذا كلام، ومع هذا يكفر به.

• **قوله:** (فكيف بمن بَلَغَ هذه الرتبة اعتقادًا وقولًا وفعلًا؟)؛ أي: كيف

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣٣).
(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

. . . .

بمن لم يقتصر على الكلمة الكفرية، بل صار يذبح لهم وينذر لهم، ويطوف بقبورهم، ويستغيث بهم في الشدائد، وهذا أشد من كلمة الكفر.

• **قوله**: (**اعتقادًا**)؛ بقلبه، (**وقولًا**) بلسانه، (**وفعلًا**)؛ بجوارحه.

انتهت هذه الشبهة، والحمد لله، وبطلت واحترقت.

فإن قلتَ: هذه النذورُ والنحائرُ ما حكمها؟.

قلتُ: قد عَلِمَ كلُّ عاقل أنَّ الأموالَ عزيزةٌ عند أهلها، يَسعون في جَمعها ولو بارتكاب كلِّ معصية، ويَقطعون الفيافِيَ من أدنى الأرض والأقاصي، فلا يبذلُ أحدٌ مِن ماله شيئًا إلَّا معتقدًا لِجلب نفعٍ أكثرَ منه أو دفع ضرر، فالنَّاذرُ للقبر ما أخرَج مالَه إلَّا لذلك، وهذا اعتقادٌ باطل،

الشرح:

• **قوله: (فإن قلتَ: هذه النذورُ والنحائرُ ما حكمها؟)**؛ هل هي جائزة أو غير جائزة، والجواب سيذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: **(قلتُ: قد عَلِمَ كلُّ عاقل أنَّ الأموالَ عزيزةٌ عند أهلها، يَسعون في جَمعها ولو بارتكاب كلِّ معصية)**؛ حب المال غريزة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٦ ـ ٨] المراد بالخير: المال، وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠]؛ أي: كثيرًا، فحب المال غريزة عند الإنسان؛ ولهذا يبذل كل ما يستطيع في تحصيله، ولو بالحرام وقتل النفوس، ولو بفعل الفواحش كالزنا، وغير ذلك.

• **قوله: (ويَقطعون الفيافِيَ من أدنى الأرض والأقاصي)**؛ أي: يُتْعبون أنفسهم ويتعرضون للأخطار في الأسفار البعيدة؛ طلبًا للمال.

• **قوله: (فلا يبذلُ أحدٌ مِن ماله شيئًا)**؛ نذرًا أو ذبحًا أو غير ذلك عند القبور.

• **قوله: (إلَّا معتقدًا لِجلب نفعٍ أكثرَ منه أو دفع ضرر)**؛ فكيف يبذل شيئًا هو أنفسُ شيءٍ عنده وأحب شيءٍ إليه، تعب في تحصيله، فيرخص عنده إلا لاعتقاد في قلبه؟.

• **قوله: (فالنَّاذرُ للقبر ما أخرَج مالَه إلَّا لذلك)**؛ أي: الذي ينذر مالًا للقبر ـ وقد يكون مالًا كثيرًا للأموات ـ ما فعل هذا إلا لأنه يعتقد أنها تنفعه وتضره، **(وهذا اعتقادٌ باطل)**.

ولو عرَفَ النَّاذرُ بطلانَ ما أراده ما أخرَجَ درهمًا، فإنَّ الأموالَ عزيزةٌ عند أهلها، قال الله تعالى: ﴿...وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧﴾ [محمد: ٣٦، ٣٧].

فالواجبُ تعريفُ مَن أخرج النذرَ بأنَّه إضاعةٌ لِمالِهِ، وأنَّه لا ينفعه ما يُخرجه ولا يدفع عنه ضررًا، وقد قال ﷺ: «إنَّ النَّذْرَ لا يأتي بخير، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به من البَخِيلِ»[1]، ....

• **قوله:** (ولو عرَفَ النَّاذرُ بطلانَ ما أراده ما أخرَجَ درهمًا)؛ أي: لو عرف الناذر أن ما يفعله باطل ما ضيَّع ماله الذي هو أنفس شيء وأغليو شيء عنده.

• **قوله:** (فإنَّ الأموالَ عزيزةٌ عند أهلها)؛ ولذلك يتقاتلون عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ أي: لا يسألنا أموالنا كلها، وإنما أمرنا بالتصدق بشيء منها ولو قليلًا. والزكاة سهلة يسيرة في الأموال: ربع العشر، أو نصف العشر، أو العشر كاملًا أحيانًا. والعشر واحد من عشرة، فأعلى شيء في الزكاة: العشر، وهو قليل؛ ولو أن الله طلب منا أن نخرج أموالنا كلها لبخلنا، ﴿...وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ۝٣٧﴾ [محمد: ٣٦، ٣٧]، فالأموال عزيزة عند الإنسان.

• **قوله:** (فالواجبُ تعريفُ مَن أخرج النذرَ بأنَّه إضاعةٌ لِمالِه، وأنَّه لا ينفعه ما يُخرجه، ولا يدفع عنه ضررًا)؛ أي: الواجب على العالم أن يُبين للناذر لغير الله أنه قد ضيع ماله، وأشرك بالله وعصى ربه في ذلك، هذا الواجب على العلماء؛ ولهذا قال ﷺ: «إنَّ النَّذْرَ لا يأتي بخير»، فلا يدفع ضررًا ولا يأتي بخير، «وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به من الْبَخِيلِ»؛ أي: الذي لا ينشط على العبادة إلا بنذر فهذا بخيل، ولا ينشط على الصدقة إلا بنذر فهذا بخيل، فهو لا يتصدق إلا إذا نذر، وكان ينبغي له أن يتصدق ويُخرج من غير نذر؛

---

(١) انظر معناه في صحيح البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) وجاء في مسند الإمام أحمد بلفظ: (إنَّه لَا يَأْتِي بِخَيرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ).

ويجب رده إليه.

وأمَّا القابض للنَّذر فإنَّه حرامٌ عليه قبضه؛ لأنَّه أكْلٌ لِمال الناذر بالباطل، لا في مقابلة شيء، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]؛ ولأنَّه تقريرٌ للناذر على شِركه وقُبحِ اعتقاده ورضاه بذلك، ....

تقربًا إلى الله ﷻ بأعز ما يملك ويحب وهو المال، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧﴾ [الإنسان: ٨] فهم يحبونه ولكنهم يبذلونه لله.

• **قوله**: (ويجب رده إليه)؛ يجب ردُّ هذا المال إلى الناذر؛ لأنه أخرجه وضيعه، وذلك بعد أن يُبين له، ولكن الواقع هو عكس هذا؛ وهو أن النذور يُجعل لها صناديق واستقبال وجباية عند بعض البلاد، فهم يساعدونهم ويوهمونهم أن هذا مشروع وأن هذا فيه نفع، ويقولون: الولي تقبَّل نذرك!، وهم الذين يتقبلونه، والميت لا يدري عنه ولا يرضى به، وإنما هم الذين تقبلوه وفرحوا به.

• **قوله**: (وأمَّا القابض للنَّذر فإنَّه حرامٌ عليه قبضه)؛ ولكنهم يقبضونه ويجعلون له الصناديق والإيرادات ويشجعون عليه المساكين، ويقولون لهم: هنيئًا لكم تُقُبِّلت نذوركم!.

• **قوله**: (لأنَّه أكْلٌ لِمال الناذر بالباطل، لا في مقابلة شيء)؛ فالذي يأخذ هذه النذور يأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، وهذا أعظم الباطل والعياذ بالله، فقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾؛ أي: بغير حق، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

• **قوله**: (ولأنَّه تقريرٌ للناذر على شِركه وقُبحِ اعتقاده ورضاه بذلك)؛ فأولًا: هذا أكلٌ للمال بالحرام، وثانيًا وهو أشد: أن هذا تشجيع للناذر على شركه، وإقرار له عليه.

ولا يخفى حكمُ الراضي بالشرك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ الآية [النساء: ٤٨]، فهو مثل حُلوان الكاهن ومَهر البغي، ولأنَّه تدليسٌ على الناذر، وإيهامٌ له أنَّ الوليَّ ينفعه ويضره.

• **قوله: (ولا يخفى حكمُ الراضي بالشرك)**؛ الراضي بالشرك والعياذ بالله، يكون حكمه حكمَ المشرك؛ مَنْ رضي بالشرك فهو مشرك، ولا يسلم إلا من أنكره ورده، ولا يجوز السكوت عن هذه الأمور، بل يجب بيانها للناس، ما أهلك الناس إلا سكوت العلماء، ما أهلك الأمم إلا سكوت العلماء؛ ولذلك إذا تكلم الدعاة إلى الله ﷻ فإنهم يقومون في وجوههم، ويسبونهم ويشتمونهم، ويقولون: أنتم خوارج، وأنتم وهابية، وأنتم... وأنتم... إلى آخره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ فالشرك لا يُغفر، فمن مات عليه فإن الله لا يرضى عنه أبدًا، وهذا حتى يتناول الشرك الأصغر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أما بقية الذنوب التي دون الشرك فإنها تحت المشيئة، فإن شاء الله غفرها، وإن شاء عذب بها، ثم يخرج صاحبها إلى الجنة، فلا يُخلد في النار، هذا فيما كان دون الشرك وهو من الكبائر، أما ما كان من الصغائر فإن الله يغفره بمكفرات كثيرة.

• **قوله: (فهو مثل حُلوان الكاهن ومَهر البغي)**؛ والنبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب، فالكلب لا يجوز بيعه ولا أكل ثمنه، وحلوان الكاهن وهو الذي يدَّعي علم الغيب، وحلوانه: يعني أجرته، والبغي: وهي الزانية، هذه الأمور نهى عنها الرسول ﷺ[(١)]؛ لأنها مكاسب محرمة، وهي مأخوذة في مقابلة المعاصي والكبائر.

• **قوله: (ولأنَّه تدليسٌ على الناذر، وإيهامٌ له أنَّ الوليَّ ينفعه ويضره)**؛ كما سبق، وهذا رضى بعمل الناذر وإقرار له به؛ وإيهام له أن هذا ينفعه أو يضره.

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٧٠٨٨).

فأيُّ تقريرٍ لِمُنْكَر أعظم مِن قبض النذر على الميت؟ وأيُّ تدليس أعظم؟ وأيُّ رضًى بالمعصية العظمى أبلغ مِن هذا؟ وأيُّ تصييرٍ لمنكر معروفًا أعجب مِن هذا؟ وما كانت النذورُ للأصنام والأوثان إلَّا على هذا الأسلوب، يعتقدُ النَّاذرُ جلبَ النفع في الصنم ودفعَ الضرر، فينذرُ له جزءًا من ماله، ....

❁ **الشرح:**

• **قوله: (فأيُّ تقرير)**؛ يعني: إقرار، **(لِمُنْكَر أعظم مِن قبض النذر على الميت؟)**؛ مع كونه أبطل الباطل، فهذا إقرار على أعظم المنكرات.

• **قوله: (وأيُّ تدليس أعظم؟ وأيُّ رضًى بالمعصية العظمى أبلغ من هذا؟)**؛ أي: وأي غش وأي تدليس وإخفاء للعيب أعظم من هذا التدليس على الناس؟.

• **قوله: (وأيُّ تصيير لمنكر معروفًا أعجب من هذا؟)**؛ فهم يجعلون هذا معروفًا ويشجعون عليه، ويُثنون على أصحابه بأن عندهم محبةً لأولياء الله، وعندهم رغبة في الخير ... وهذا عكس الواجب وهو الإنكار عليهم وهذا مِنْ جَعْل المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا.

• **قوله: (وما كانت النذورُ للأصنام والأوثان إلَّا على هذا الأسلوب)**؛ أي: ما سبب انتشار النذور للأصنام والأوثان إلَّا تشجيعُ هؤلاء والتغرير بهم، وإلا لو أُنْكر عليهم وبُيِّن لهم لسلمت لهم عقيدتهم، وهي أغلى شيء، وسلمت لهم أموالهم، لكنهم ذهبت عقيدتهم وذهبت أموالهم.

• **قوله: (يعتقدُ النَّاذرُ جلبَ النفع في الصنم ودفعَ الضرر، فينذرُ له جزءًا من ماله)**، هذا شيء معروف عند المشركين، أنهم يجعلون للأصنام نصيبًا من أموالهم، بل من أولادهم أيضًا؛ يقتلونهم تقربًا إلى الأصنام، مثل ما يتقرب إلى الله بذبح الهدي والأضاحي وبهيمة الأنعام؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ

ويقاسمه في غلَّات أطيانه، ويأتي به إلى سَدَنة الأصنام فيقبضونه منه،

دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، يذبحون أولادهم تقربًا إلى الأصنام، فكيف بذبح بهيمة الأنعام عندها؟ يسيبون السوائب والبحائر للأصنام، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، هذه أنواع من الأنعام يجعلونها للأصنام، وهي من أنفس أموالهم وهم يجعلونها للأصنام والعياذ بالله؛ ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فجعلوا بعض أموالهم لله، وجعلوا بعضها للأصنام، فساووا الأصنام بالله ﷻ.

ولا فرق بين الصنم والقبر؛ فكلٌّ معبود من دون الله ﷻ، والقبر إذا عُبد صار وثنًا، قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[1].

• **قوله**: (**ويقاسمه في غلَّات أطيانه**)؛ يعني: يجعلون للأصنام نصيبًا من أموالهم المنقولة والثابتة؛ كالأراضي والعقارات والأشجار والأطيان معناها: المزارع، ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] فساووا شركاءهم بالله. وإذا قرأت سورة (الأنعام) تتعجب من أفعال المشركين، ولا تظن أن هذا انتهى وزال، لا، بل هو باقٍ إلى الآن عند عبدة القبور، بل تطور.

• **قوله**: (**ويأتي به إلى سَدَنة الأصنام فيقبضونه منه**)؛ السدنة: هم الحراس الذين يقومون على تنظيف الأضرحة، وإغلاقها وفتحها وإسراجها، وإضاءتها وتبخيرها، وعمل الستائر عليها، وهؤلاء السدنة هم الذين يستقبلون أموال المساكين الذين يأتون بأموالهم ويدفعونها لهؤلاء السدنة، وبعض الدول تأخذ أغلبها وتعتبره من موارد بيت المال. فأين ذهب المسلمون الآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله؟.

---

(١) الموطأ (٥٩٣).

ويوهمونه أحقيَّة عقيدته، وكذلك يأتي بنحيرته فينحرُها بباب بيت الصنم.

وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرسلَ لإزالتها ومَحوِها وإتلافها والنهي عنها.

• **قوله**: (ويوهمونه أحقيَّة عقيدته)؛ ولفظ الأصنام ليس المراد به الأحجارَ والأشجار، بل المراد به القبور، فالقبور التي تُعبد من دون الله هي أصنام.

• **قوله**: (وكذلك يأتي بنحيرته فينحرُها بباب بيت الصنم)؛ يأتي بنحيرته من الإبل، وهي أنفس الأموال ينحرها عند عتبة القبر؛ تقربًا إلى الميت، والذين يأخذون منهم هذه النحور هم السدنة، ومَنْ وراءهم يأخذون هذه اللحوم ويعتبرونها موارد.

• **قوله**: (وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرسلَ لإزالتها ومَحوِها وإتلافها والنهي عنها)؛ بعث الله الرسل لإزالتها والنهي عنها ومقاتلة أهلها، وأولهم نوح ﷺ، وقد أنكر على قومه الغلو في الصالحين: ودٍّ، وسواعٍ، ويعوقَ، ونسرٍ، ويغوثَ، فالرسل كلهم حاربوا الشرك عند القبور، والغلو في الأولياء والصالحين.

فإن قلتَ: إنَّ الناذر قد يُدركُ النفعَ ودفعَ الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله!.

قلتُ: كذلك الأصنام، قد يدرك منها ما هو أبلغُ من هذا، وهو الخطاب من جَوفها والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان، فإن كان هذا دليلًا على حقيَّة القبور وصحة الاعتقاد فيها؛ فليكن دليلًا على حقيَّة الأصنام، وهذا هدمٌ للإسلام وتشييدٌ لأركان الأصنام.

❁ **الشرح:**

• **قوله: (فإن قلتَ: إنَّ الناذر قد يُدركُ النفعَ ودفعَ الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله!. قلتُ: كذلك الأصنام...).**

انتقل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى شبهة أخرى، وهي أنهم يقولون: إن الناذر للصنم أو المستغيث به يحصل على مقصوده وتُقضى حاجته، فهذا دليل على صحة عمله، وهذه شبهة قوية عند ضعاف الإيمان، وهي أن قضاء الحاجة وحصول الحاجة من المدعو من دون الله دليل على الجواز. ويُقال لهم: ليس حصول الحاجة دليلًا على جواز هذا النذر، فليس في الإسلام أدلة إلا الكتاب والسُّنَّة، أما حصول الحاجة فليس دليلًا؛ لأنه قد يُمتحن ويُستدرج فتُقضى حاجته من الله لأجل استدراجه والعياذ بالله، فلا يقضي الحوائج إلا الله، فالله قد يقضي حاجتهم ليستدرجهم من حيث لا يعلمون: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]، فهذا استدراج.

أو أن يكون هذا صادف قضاءً وقدرًا وليس من أجل هذا الميت الذي دعاه ولا هذا القبر الذي نذر له، بل قضيت حاجته لأن الله قدَّر أنها تُقضى، فضاءٌ وقدر صادف حصوله في هذا المكان. فليس في هذا حجة، بل الحجة بالكتاب والسُّنَّة، والكتاب والسُّنَّة ينهيان عن ذلك، أما قضاء الحاجة فليس دليلًا على جواز هذه الممارسات الشركية، وقد يكون مضطرًا؛ أي: دعا الله

مضطرًا فقضى الله حاجته؛ والله يجيب دعوة المشرك المضطر، وهو مشرك، كما دل على ذلك القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾، [النمل: ٦٢]، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: مخلصين له الدعاء، لا يدعون غيره، ولا يلتجئون إلى غيره، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]؛ أي: يعودون إلى شركهم، فيعودون إلى ما كانوا عليه، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ﴾ [لقمان: ٣٢]؛ أي: يقتصد في العبادة.

فإجابتهم أو حصول مقصودهم إما إنه استدراج من الله، أو إنه صادف قضاءً وقدرًا، أو أن الداعي مضطر، والله يجيب دعوة المضطر ولو كان مشركًا. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾؛ يعني: في السفينة، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ﴾ مَنْ يَدْعون: الأصنام أو القبور؟ لا؛ لأنها لا تقدر على هذا، ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ﴾؛ يعني: تيقنوا أنه أحيط بهم، تيقنوا الهلاك، ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣] هذه عادة المشركين أنهم يَدْعون الله مخلصين عند الضرورة فينجيهم، فإذا زالت الضرورة عادوا إلى شركهم ونسوا حالتهم الأولى.

وهذا في المشركين الأولين، أما مشركو هذه الأمة فإنما يزيد شركهم في الشدة فإذا وقعوا في الشدة صاروا يهتفون بالأولياء والصالحين، ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شرك هؤلاء أغلظ من شرك الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، أما هؤلاء فشركهم دائم الرخاء والشدة.

....

• **قوله**: (فإن قلتَ: إنَّ الناذر قد يُدركُ النفعَ ودفعَ الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله!)؛ أي: النذر أو الدعاء أو الاستغاثة، فقد يُعطي الله لهم حاجتهم.

• **قوله**: (قلتُ: كذلك الأصنام، قد يدرك منها ما هو أبلغُ من هذا)، يحصل لعبَدَتِها من حوائجهم أبلغ من هذا، كما ذكر الله في عُبَّاد الأصنام أنهم إذا وقعوا في الخطر دعوها فيعطون.

• **قوله**: (وهو الخطاب من جَوفها)؛ هذا واقع أنهم يسمعون الصوت من داخل القبر، ويحييهم ويناديهم ويقول: قضيت حوائجكم، وهذا شيطان يخاطبهم، إنما شيطان يدخل إلى القبر أو إلى الضريح ويخاطبهم فيظنون أنه الميت وهو شيطان، من أجل أن يضلهم، والشيطان يُسمع ولا يُرى؛ ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وهو يقدر على أشياء لا يقدر عليها الإنس، فهو الذي يقود هؤلاء باسم الميت أو باسم الولي، وهذه الشبهة أخطر ما عندهم.

• **قوله**: (والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان)؛ تخبرهم الشياطين بما في نفوسهم؛ لهذا لما أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد بعدما فتح مكة لهدم العزى، وهي صنم لقريش، وأرسل أبا سفيان والمغيرة بن شعبة إلى هدم اللات في الطائف، وأرسل علي بن أبي طالب لهدم مناة، فلما جاء خالد بن الوليد إلى العزى وجد عندها امرأة عجوز ناشرة شعرها وهي شيطان، فعلاها بالسيف وفلقها إلى نصفين، وهدم العزى، فدل على أن الشياطين تحضر عند هذه الأصنام، أو هذه الأضرحة، ولما أخبر النبي ﷺ بما فعل بها، قال: «**تلك العزى**»[1]؛ يعني: شيطان يكون عند هذا الصنم، «**وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدًا**»[2].

(١) أخرجه النسائي (١١٥٤٧).

(٢) الطبقات لابن سعد (٢/ ١٤٦).

....

• **قوله**: (**فإن كان هذا دليلًا على حقيَّة القبور وصحة الاعتقاد فيها؛ فليكن دليلًا على حقيَّة الأصنام**)؛ أي: هذا كان يحصل عند الأصنام، فإذا كان هذا دليلًا على صحة عباة القبور، فليكن دليلًا على صحة عبادة الأصنام.

• **قوله**: (**وهذا هدمٌ للإسلام**)؛ أن الإسلام قام على التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، فإذا عُبد غير الله انهدم الإسلام.

• **قوله**: (**وتشييدٌ لأركان الأصنام**)؛ أي: رفع لأركان الأصنام بحيث يقال: إنها حق لأنها تُقضى عندها الحوائج.

والتحقيقُ: أنَّ لإبليسَ وجنوده من الجنِّ والإنس أعظمَ العناية في إضلال العباد، وقد مكَّن الله إبليسَ من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور والتقام القلب بخرطومه، وكذلك يدخل أجوافَ الأصنام ويُلقي الكلامَ في أسماع الأقوام، ومثله يَصنعه في عقائد القبوريِّين،

۞ الشرح:

• **قوله: (والتحقيقُ)**، انتبه فهذا ردُّ هذه الشبهة الخبيثة.

• **قوله: (أنَّ لإبليسَ وجنوده من الجنِّ والإنس أعظمَ العناية في إضلال العباد)**؛ ولا سيما عند هذه الأصنام والقبور، فالشياطين تريد إغواء بني آدم بأي وسيلة أو حملهم على المعاصي إن كانوا مؤمنين موحدين فتحملهم على المعاصي التي دون الشرك، وإن كانوا مشركين تشجعهم على الشرك، فهي لا تفتأ تغوي بني آدم، كما ذكر إمامهم وقائدهم إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٧]، فهو يأتي من كل طريق، وإبليس له جنود حتى من الإنس، فدعاة الضلال هم جنود إبليس من الإنس، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فجعل من الإنس شياطين كما جعل من الجن شياطين، ويقال: إذا ذكرت الله طار شيطان الجن، أما إذا ذكرت الله عند شيطان الإنس فهو يذكر الله عشرين مرة أو أكثر منك، ويسبح ويهلل! فخطورته أشد.

• **قوله: (وقد مكَّن الله إبليس من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور والتقام القلب بخرطومه)**؛ فإبليس أعطاه الله من القدرة أنه يطير في الهواء، وأنه يلاطف الإنسان ويدخل فيه، ويتكلم على لسانه، ويدخل في الأصنام وفي القبور، وهو لا يُرى ولكنه يتكلم، كما قال الشيخ: **(وكذلك يدخل أجوافَ الأصنام ويُلقي الكلامَ في أسماع الأقوام)**؛ إذا كان يدخل في أجواف بني آدم ويوسوس لهم، فكيف لا يدخل في أجواف الأصنام، وغرف الأضرحة؟.

فإنَّ الله تعالى قد أذن له أن يُجْلِب بخيلِه ورَجِلِه على بني آدم وأن يشاركهم في الأموال والأولاد.

وثبت في الأحاديث: أنَّ الشيطانَ يستَرق السمعَ بالأمر الذي يُحدثه الله، ....

• **قوله: (فإنَّ الله تعالى قد أذن له أن يَجْلِبَ بخيلِه ورَجِلِه على بني آدم وأن يشاركهم في الأموال والأولاد)**؛ أذن له إذنًا قدريًا وليس إذنًا شرعيًا حيث قال تعالى له: ﴿...ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾، قالوا: صوته الغناء[1]، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤]، ثم قال - جلَّ وعلا -: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥]، فعباد الله المخلصون الذين أخلصوا ووحدوا له العبادة لا يستطيع الشيطان أن يقترب منهم ولا أن يجتمع معهم؛ ولهذا كان عمر ﷺ إذا مشى في طريق لا يمشي معه الشيطان فيه، ولا يلاقي عمر في هذا الطريق؛ لأنه يحترق بنوره، فالمخلصون لا يستطيع الشيطان أنه يلُبِّس عليهم أو أن يختلط بهم أو أن يداخلهم؛ لأن الله حماهم قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠]، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]، حماهم الله ﷻ وإنما يسلط الله الشياطين على هؤلاء القبوريين، وهؤلاء الضُلال.

• **قوله: (فإنَّ الله تعالى قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله)**؛ هذا إذن كوني قدري لا إذن شرعي، وأذن له أيضًا أن: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠].

• **قوله: (وثبت في الأحاديث: أنَّ الشيطانَ يستَرق السمعَ بالأمر الذي يُحدثه الله)**؛ من أعمال الشياطين أنها تسترق السمع، والسمع يعني: الوحي،

---

(١) قال ذلك الإمام مجاهد رحمه الله. انظر: تفسير البغوي (٥/ ١٠٥)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٨٨)، تفسير ابن كثير (٥/ ٩٣).

فيُلقيه إلى الكُهَّان، وهم الذين يُخبرون بالمغيَّبات ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة[(١)].

ويقصدَ شياطينُ الجنِّ شياطينَ الإنس مِن سَدَنة القبور وغيرهم بذلك البهتان والزور، فيقولون: إنَّ الوليَّ فَعَل وفعل، يُرغِّبونهم فيه ويحذِّرونهم منه، وترى العامة ملوكَ الأقطار وولاةَ الأمصار مُعزِّزين لذلك ويُوَلُّون العمالَ لقبض النذور، ....

وما يقضيه الله في السماء وتتحدث به الملائكة في السماء، فالشيطان يحاول الاستماع إلى الملائكة ولكن الشهب تقذفه، وقد يتمكن من سماع الكلمة الواحدة قبل أن يدركه الشهاب، فيلقيها إلى الكاهن، والكاهن يكذب معها مائة كذبة؛ كلمة واحدة حق يكذب معها مائة كذبة؛ لأجل لبس الحق بالباطل.

• **قوله: (فيُلقيه إلى الكُهَّان، وهم الذين يُخبرون بالمغيِّبات ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة)**؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

• **قوله: (ويقصدُ شياطينُ الجنِّ شياطين الإنس مِن سَدَنة القبور وغيرهم بذلك البهتان والزور)**؛ أي: شياطين الجن يقصدون شياطين الإنس من سدنة القبور الذين يزينونها للناس ويَدْعون إليها، فيتعاون شياطين الجن وشياطين الإنس من بني آدم.

• **قوله: (فيقولون: إنَّ الوليَّ فَعَل وفعل)**؛ أي: إن الولي أجاب دعوتك، الولي قَبِل نذرك، الولي قضى حاجتك!.

• **قوله: (وترى العامة ملوكَ الأقطار وولاةَ الأمصار مُعزِّزين لذلك ويُوَلُّون العمالَ لقبض النذور)**؛ ملوك الأقطار من أهل الضلال والسلاطين

---

(١) البخاري (٣٢١٠).

وقد يتَولَّاها مَن يُحسنون فيه الظنَّ مِن عالم أو قاضٍ أو مُفتٍ أو شيخ صوفي، فيتِمُّ التدليسُ لإبليس، وتقرُّ عينُه بهذا التلبيس.

يعينون جُبَاةً للنذور التي عند القبور، ويجعلونها من موارد بيت المال.

• **قوله**: (وقد يتَولَّاها مَن يُحسنون فيه الظنَّ مِن عالم أو قاضٍ أو مُفتٍ أو شيخٍ صوفيٍّ)؛ أي: قد يستغلون بعض طلبة العلم من أهل الضلال؛ لأن العلماء فيهم أهل ضلال، قال ﷺ: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ**»[1].

• **قوله**: (فيتِمُّ التدليسُ لإبليسَ، وتقرُّ عينُه بهذا التلبيس)؛ أي: إن إبليس يُسر إذا ساعدهم على هذا مَنْ ينتسب إلى العلم؛ فالخطر أشد مما لو ساعدهم عاميٌّ أو سلطان أو ملك؛ فإذا ساعدهم مَنْ ينتسب إلى العلم فالخطر أشد في هذا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٤).

فإن قلتَ: هذا أمرٌ عَمَّ البلادَ، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبَّق الأرض شرقًا وغربًا، ويَمنًا وشامًا، وجنوبًا وعَدَنًا، بحيث لا تجدُ بلدةً من بلاد الإسلام إلَّا وفيها قبور ومشاهدُ وأحياءٌ،

❁ الشرح:

هذه شبهة جديدة، لما قرر الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ كما سبق ـ الردَّ على شبهات القبوريين أوْرَدَ هذا الاعتراض؛ وهو أنه إذا كان الأمرُ كذلك وأن هذا محرم وشرك أو وسيلة إلى الشرك، فما جوابك عما انتشر في البلاد الإسلامية من هذه الأضرحة التي أصبحت أوثانًا تُعبد من دون الله علانية، فكيف تُركت وكيف بقيت؟.

وفي الحقيقة أن هذه شبهة خطيرة، ولكن مَنْ عندهم علم يعلم أنها شبهة باطلة؛ لأن كلَّ ما خالف الكتاب والسُّنَّة فهو باطل، ولو اجتمع عليه كثير من الناس، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ أي: هم لا يعتمدون على حجة من الكتاب والسُّنَّة، وإنما يعتمدون على الظن، والظن ليس بدليل؛ ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦].

وجواب آخر هو أن نقول: لا يزال في المسلمين ـ ولله الحمد ـ مَنْ ينكر هذه الأمور، ويبين للناس، فإنه لم يخلُ عصر ممن ينكر هذه الأمور ويبين للناس ويقيم الحجة، خذ مثلًا هذا الإمام الصنعاني، والإمام الشوكاني، وكذلك شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ الذي أنكر هذا الشيء، وألَّف فيه المؤلفات التي نفع الله بها وانتشرت، وعمَّ نفعها في البلاد الإسلامية، ولله الحمد، فلم يسكت العلماء كلهم، بل لا يزال مَنْ يقوم لله بالحجة في كل زمان.

• **قوله:** (**بحيث لا تجدُ بلدةً من بلاد الإسلام إلَّا وفيها قبور ومشاهد وأحياء**)؛ هذا ليس على عمومه، فليست كل بلدة من بلاد الإسلام فيها هذه

يعتقدون فيها ويعظِّمونها وينذرون لها، ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويُسْرِجونها، ويلقون عليها الأوراد والرياحين، ويُلبسونها الثياب، وينصعون كلَّ أمر يقدرون عليه من العبادة لها، وما في معناها من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلُّل والافتقار إليها. بل هذه مساجد المسلمين غالبُها لا يخلو عن قبر أو قريب منه، أو مَشهد يقصده المصلُّون في أوقات الصلاة، يَصنعون فيه ما ذُكِر أو بعض ما ذكر، ولا يَسَعُ عقلُ عاقل أنَّ هذا منكرٌ يبلُغُ إلى ما ذكرتَ مِن الشناعة، ويَسكتُ عليه علماءُ الإسلام الذين ثبَتت لهم الوَطأة في جميع جهات الدنيا.

الأشياء وإنما الكثير منها وهذه البلاد ـ ولله الحمد ـ كما ترون ليس فيها أيُّ قبر يُعظَّم، أو أي مسجد على قبر، وهذه البلاد السعودية في الحقيقة هي قلب العالم الإسلامي؛ لأن فيها الحرمين الشريفين قبلة المسلمين، وهي جزيرة العرب التي بُعث فيها رسول الله ﷺ، والحمد لله أن الحجة قائمة، وإن خالفها أكثر الناس، ومن أراد الحق وجده، ومن لم يرد الحق وإنما يريد أن يتبع هواه فهذا لن تملك له من الله شيئًا.

• **قوله**: (**يعتقدون فيها ويعظِّمونها وينذرون لها...**)؛ نعم هذا الغالب في بلاد المسلمين.

• **قوله**: (**ويُلْقون عليها الأوراد والرياحين**)؛ أي: يطيبونها بأنواع الطيب، والبخور، والعطورات، ترغيبًا في زيارتها.

• **قوله**: (**ويُلبسونها الثياب**)؛ أي: يسترونها بالستائر كما تستر الكعبة المشرفة.

• **قوله**: (**ويَسكتُ عليه علماءُ الإسلام الذين ثبَتت لهم الوَطأة فيجميع جهات الدنيا**)؛ هذه الشبهة عظيمة وقوية، ولكن الجواب عنها ملخص فيما ذكرناه قريبًا، وهذا يكثر كلما تأخر الزمان؛ فلقد كانت بلاد المسلمين في

....

القرون الأولى المفضلة خالية من هذه الآفة؛ لوجود الأئمة من الصحابة والتابعين، فلما استولى الشيعة الفاطميون الذين يُسمون بالباطنية وهم أضل فرق الشيعة، ومنهم القرامطة، لما استولى هؤلاء على مصر أوجدوا فيها إحياء الموالد، وأوجدوا فيها البناء على القبور، وانتشر هذا في مصر وما حولها وامتد إلى الحجاز، وكان هذا هو مبدأ القبورية والبدع، وصادف هذا رغبات الصوفية.

قلتُ: إن أردتَ العدلَ والإنصافَ، وتركتَ متابعةَ الأسلاف، وعرفتَ أنَّ الحقَّ ما قام عليه الدليلُ، لا ما اتَّفق عليه العوالِم جيلًا بعد جيل، وقَبيلًا بعد قبيل.

فاعلم أنَّ هذه الأمور التي ندَندِنُ حولَ إنكارِها، ونسعى في هَدم منارها، صادرةٌ عن العامة الذين إسلامهم تقليدُ الآباء بلا دليل،

الشرح:

• **قوله:** (قلتُ:) هذا الجواب عما سبق ذكره من المخالفات العقدية.

• **قوله:** (صادرةٌ عن العامة الذين إسلامهم تقليدُ الآباء بلا دليل)؛ يعني: هذه المشاهد التي على القبور لم يعملها علماء الشريعة، وإنما عملها العوام أو أهل الضلال كالشيعة أو الصوفية، وهؤلاء لا حجة في فعلهم، لا تجد أحدًا من العلماء المعتبرين أيدها أو أجازها أبدًا وإنما يجيزها أهل الأهواء وأهل الضلال، وأهل المطامع والرغبات، وقد أظهر الله الأئمة بعد ركود الدعوة الصحيحة كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الإمام ابن القيم وابن كثير والذهبي والمزي وابن عبد الهادي ـ رحمهم الله ـ، فقاموا بإنكار هذا وبتجديد هذا الدين، وتجديد العقيدة على منهج السلف ولله الحمد، فكان هذا شجنًا في قلوب هؤلاء، وبقيت حجة هؤلاء القبوريين حجة داحضة، أما حجة هؤلاء الأئمة فهي حجة بالغة، وهكذا، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨١، ٨٢]، فالحمد لله، فإن هذا الدين قائم وحجته قائمة، وله أتباع متمسكون به في كل زمان ومكان، قد يقلُّون في بعض الأوقات، ولكن تقوم بهم الحجة، فلا يُفقد أهل الحق في أي زمان ومكان.

ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دُبَيْر وقُبَيْبل[1]، ينشأ الواحدُ فيهم فيجِدُ أهلَ قريته وأصحاب بلدته يُلَقِّنُونه في الطفولة أن يَهتِفَ باسم مَن يعتقدون فيه، ويراهم يَنذرون عليه، ويعظِّمونه، ويرحلون به إلى مَحلِّ قبره، ويلطخونه بترابه، ....

• **قوله: (ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دبير وقبيل)**؛ أي: إن هؤلاء الضلال عوام أو أشباه عوام، ليس عندهم أدلة إلا قولهم: وجدنا فلانًا، أو وجدنا آباءنا على هذا فاتبعناهم.

• **قوله: (ينشأ الواحدُ فيهم فيجِدُ أهلَ قريته وأصحاب بلدته يُلَقِّنُونه في الطفولة أن يَهتِفَ باسم مَن يعتقدون فيه)**؛ أهل الضلال يلقنون أولادهم بالأموات المقبورين ويربونهم على هذا؛ بل يدرسونهم هذه الأمور في مدارسهم.

• **قوله: (ويرحلون به إلى محلِّ قبره)**؛ أي: يرحلون بهؤلاء الأطفال إلى هذه القبور، من أجل أن يركزوا في عقائدهم وفي قلوبهم محبة هذه الأمور الشركية؛ حتى ينشؤوا عليها من الصغر وتتمكن في قلوبهم، فتصبح معروفًا ويصبح التوحيد مُنكرًا. والتربية لها دور عظيم، قال ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ**»، فالفطرة: «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ**»[2]، فيحرفونه عن الفطرة السليمة، ويغيرون فطرته إلى هذه المنعطفات الخطيرة ويربون أولادهم على هذا.

• **قوله: (ويلطخونه بترابه)**؛ أي: يلطخون الأطفال بتراب القبر من أجل التبرك، بل قد يحملون من تراب القبور والأضرحة إلى بلادهم، وهذه فتنة عظيمة والعياذ بالله، ولو تراهم على جبل عرفات ماذا يصنعون يوم عرفة الذي هو أفضل الأيام لرأيت العجب العجاب؛ فهم يأتون من بلاد بعيدة يتعبون ويخسرون أموالًا، ويمارسون هذه الأمور في أفضل الأيام، وفي أفضل

---

(١) في نسخة: بين دنيٍّ ومثيل.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٥).

ويجعلونه طائفًا على قبره، فيَنشأ وقد قَرَّ في قلبه عظمةُ ما يعظِّمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده مَن يعتقدونه. فنشأ على هذا الصغير، وشاخَ عليه الكبيرُ، ولا يسمعون مِن أحد عليهم من نكير، ....

مكان، ويرجعون خاسرين والعياذ بالله، الناس يدعون ربهم يوم عرفة ويتضرعون إليه، وهؤلاء مقبلون على الشرك إلى أن تغيب الشمس، ثم ينصرفون من عرفة وهذه حصيلتهم من هذا اليوم العظيم.

• **قوله: «ويجعلونه طائفًا على قبره»**؛ يعني: يدربون الطفل على الطواف بالقبور.

• **قوله: (فيَنشأ وقد قَرَّ في قلبه عظمةُ ما يعظِّمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده مَن يعتقدونه)**؛ هذه هي التربية السيئة، الطفل يجب أن يُربى على التوحيد وعلى العقيدة؛ قال ﷺ: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ واضْرِبُوهُم عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ»**[1]، هذه هي التربية الصحيحة، وهؤلاء على العكس منها، حيث يربون أولادهم على الشرك، وعلى دعاء الأموات وعلى تعظيم الأضرحة.

ومن هنا يجب العناية التامة بالمناهج الدراسية، وأن تُجعل العقيدة لها الصدارة في تلك المناهج، وأن تقرر كتب العقيدة الصحيحة في المدارس، وفي سائر مراحل التعليم، ويعين المدرسون المتخصصون في العقيدة علمًا وعملًا، وألَّا يجعلون التربية على عادات الغرب وأخلاقهم، فلا يربى الأبناء على التربية الغربية، فتتغرب عقولهم، ويذكر عندهم عظماء الكفار وسيرهم وأقوالهم، ولا يُذكر لهم أئمة الإسلام، ولا سير أئمة الإسلام ولا دعوة أهل التوحيد.

• **قوله: (فنشأ على هذا الصغير، وشاخَ عليه الكبيرُ، ولا يسمعون من أحد عليهم مِنْ نكير)**؛ لأنه تأصَّل في نفوسهم، وتربوا عليه، فإذا جئت تنكر عليهم أنكروا عليك، وقالوا: أنت الضال، وأنت المخالف، أنت من الخوارج!.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥).

بل تَرَى مَن يتَّسِم بالعلمِ، ويَدَّعِي الفضلَ، وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس، أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة والحكومة، ومعظِّمًا لِمَا يعظِّمونه، مُكرمًا لِما يكرمونه، قابضًا للنذور، آكلًا ما يُنحر على القبور، فيَظنُّ العامَّة أنَّ هذا دينُ الإسلام، وأنَّه رأسُ الدِّين والسَّنَام.

• **قوله: (بل تَرَى مِن يتَّسِم بالعلمِ، ويَدَّعِي الفضلَ)**؛ وهذا أشد، أن يتولى هذا الأمر السيئ مَنْ ينتسب إلى العلم، ويوجه الناس إليه.

• **قوله: (وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس، أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة والحكومة، معظِّمًا لِمَا يعظِّمونه)**؛ فالذين وقفوا في وجه شيخ الإسلام ابن تيمية هم رؤوساء القضاة والمفتون، كما تجدون هذا في مناظراته معهم رَحِمَهُ اللَّهُ حتى سجنوه، فقد سجنوا شيخ الإسلام عدة مرات ومنعوا عنه الكتب، ومنعوا عنه الأوراق والأقلام؛ لأنه كان يشتغل وهو في السجن ويكتب، فلما منعوا ذلك صار يكتب على جدران السجن بالفحم، من حبه لنشر الخير، وفي الحقيقة ما ضرَّه هذا، ولا ضرَّ دعوته، فانتشرت دعوته ـ ولله الحمد ـ وخاب هؤلاء، والآن ليس لهم ذكر، ومؤلفاتهم بائرة ليس لها قيمة عند الناس، وكتب شيخ الإسلام يتبادر أهل الخير إلى طباعتها وتوزيعها.

• **قوله: (فيَظنُّ العامَّة أنَّ هذا دينُ الإسلام، وأنَّه رأسُ الدِّين والسَّنَام)**؛ فالعامة لا يعلمون شيئًا، وإنما وجدوا الناس على هذا وفيهم علماء الضلال فظنوا أن هذا دين الإسلام. ويقولون: أن التمسّح بالقبور من محبة للصالحين، والذي ينكر عليهم يقولون له: أنت تبغض الصالحين، فالذي لا يعبدهم عندهم فهو يبغضهم!.

ولا يَخفى على أحد يتأهَّل للنظر، ويعرفُ بارِقَةً مِن عِلم الكتاب والسُّنَّة والأثر أنَّ سكوتَ العالِم أو العالَم على وقوع مُنكر ليس دليلًا على جواز ذلك المنكر.

ولنضْرِبْ لك مثلًا مِن ذلك؛ ....

۞ الشرح:

• **قوله:** (أنَّ سكوت العالِم أو العالَم على وقوع مُنكر ليس دليلًا على جواز ذلك المنكر)؛ فالسكوت ليس دليلًا، فقد يكون الساكت له عذره، فلا يعتبر سكوته دليلًا على جواز الشيء الذي سكت عنه، فقد يكون لا يستطيع أن ينكر، لا يستطيع أن يُبين للناس، أو ليست عنده الشجاعة، فليس كل الناس عندهم شجاعة وثبات مثلما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المواقف الصلبة أمام هؤلاء حتى أظهرهم الله ونفع بعلمهم؛ فليس كل الناس يملك الشجاعة، ولو كان من الأخيار وذا علم.

• **قوله:** (ليس دليلًا على جواز ذلك المنكر) فقد يكون الساكت معذورًا، وقد يكون جبانًا، وأما أنه يسكت وهو يقدر على الإنكار فهذا ليس بعالم حقيقي، وإنما هو عالم مَصَالح: شهوات وأهواء؛ ولهذا قال ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ**»[1]، فلا يقل أحد: أنا منكر في قلبي ويخالطهم، ويسكت على ما هم عليه، فإذا كان ينكر بقلبه فليعتزلهم وليبتعد عنهم، ولا يُرى معهم أبدًا، هذا الذي ينكر بقلبه، أما أنه يخالط أهل المنكر ويقول: أنا مُنكر في قلبي! فهذا ليس صحيحًا؛ لأن مخالطتك لهم يأخذها الناس على أنك مُقِرٌّ لهم على هذا، فإذا أنكرت فلتعتزل.

• **قوله:** (ولنضْرِبْ لك مثلًا مِن ذلك)؛ يضرب لكم المؤلف الآن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

وهي هذه المكُوسُ المسمَّاة بالمجابي، المعلوم مِن ضَرورة الدِّين تَحريمُها، قد مَلأت الدِّيارَ والبقاع، وصارت أمرًا مأنوسًا، لا يلج إنكارُها إلى سَمع مِن الأسماع، وقد امتدَّت أيدي المكَّاسين في اشرف البقاع، في مكة أمِّ القرى، يَقبضون مِن القاصدين لأداء فَريضة الإسلام، ويَلْقون في البلد الحرام كلَّ فِعل حرام، وسُكَّانها مِن فُضلاء الأنام، والعلماءُ والحكَّامُ ساكتون عن الإنكار، مُعرضون عن الإيراد والإصدار، أفيَكون السكوتُ من العلماء، بل من العالَم دليلًا على حِلِّ أخذها وإحرازها؟ هذا لا يقولُه مَن له أدنى إدراك.

مثلًا على السكوت، وهل هو يعتبر دليلًا وحجة أم لا؟.

• **قوله: (وهي هذه المكُوسُ المسمَّاة بالمجابي)**؛ المكوس: هي الضرائب التي تأخذها الجمارك من أموال التجار، وهذه بلية؛ لأنها أكل للمال بالباطل وبغير حق، ولكن سكوت العلماء عنها لا يدل على جوازها، للأمور التي سبق أن ذكرتها لكم: إما أنهم لا يؤخذ بقولهم ولا يَؤْبَه بهم، وإما أنهم ليس لديهم القوة ولا الشجاعة في هذا.

والمكوس لا شك أنها محرمة، ولكنها دون الشرك، والسكوت عنها أخف من السكوت عن الشرك. ولكن يضرب مثلًا لكون السكوت حجة أو ليس بحجة.

• **قوله: (المعلوم مِن ضَرورة الدِّين تَحريمُها)**؛ لأنها أكل للمال بالباطل من غير حق، ولكنهم يقولون: هذا نظام دولي، وهذا حماية للمنتجات، ألا يقدرون أن يحموا المنتجات إلا بهذا؟.

• **قوله: (وقد امتدَّت أيدي المكَّاسين في أشرف البقاع، في مكة أمِّ القرى)**؛ هذا في وقته، كانوا يأخذون من الحجاج، فلا يحج أحد إلا ويدفع ضريبة.

• **قوله: (والعلماءُ والحكَّامُ ساكتون على الإنكار)**؛ بل الحكام هم الذين يأمرون بهذا في وقت المؤلف.

بل أضرب لك مثلًا آخر؛ هذا حَرَمُ الله الذي هو أفضلُ بقاع الدنيا بالاتفاق وإجماع العلماء، أحدَث فيه بعضُ ملوك الشراكسة الجهلة الضُّلال هذه المقامات الأربعة، التي فرَّقت عبادات العِباد، واشتملت على ما لا يُحصيه إلَّا الله ﷻ من الفساد، وفرَّقت عبادات المسلمين، وصيَّرتهم كالمِلَلِ المختلفة في الدِّين، بدعةٌ قرَّت بها عينُ إبليس اللعين، وصيَّرت المسلمين ضحكةَ الشياطين، وقد سكتَ الناسُ عليها، ووفَد علماء الآفاق والأبدال والأقطاب إليها، وشاهدها كلُّ ذي عينين، وسَمع بها كلُّ ذي أذنين.

أفهذا السكوت دليلٌ على جوازها؟ ....

❁ الشرح :

• **قوله:** (**بل أضرب لك مثلًا آخر**)؛ وهو أنه كان في الحرم المكي أربعة مقامات بحسب المذاهب الأربعة، كل مذهب له مقام ومحراب وإمام خاص، والناس يصلون متفرقين في الحرم؛ هذا المذهب الحنفي يصلي في وقت كذا، وهذا الحنبلي يصلي في وقت كذا... وهكذا. بقيت هذه المقامات إلى أن أمر الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمنع تعدد الأئمة، وأمر بأن يصلي المسلمون جميعًا خلف إمام واحد، وهذا من حسناته ومن إصلاحاته، ولكن بقيت بنايات هذه المقامات إلى زمن الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهدمها وأزال أثرها ولله الحمد. فهل كان سكوت الناس على هذه المقامات دليلًا على الجواز؟ لا.

• **قوله:** (**وصيَّرت المسلمين ضحكةَ الشياطين**)؛ حيث إن المسلمين أمة واحدة ولا يصلي بعضهم مع بعض، ولا يصلون مع إمام واحد! ولا شك أن هذا يسر العدو ويغيض الصديق.

• **قوله:** (**وقد سكتَ الناسُ عليها**)؛ فهل يُعدُّ سكوتهم حجة على جوازها؟.

• **قوله:** (**ووفَد علماء الآفاق والأبدال والأقطاب إليها، وشاهدها كلُّ ذي عينين، وسَمع بها كلُّ ذي أذنين أفهذا السكوت دليلٌ على جوازها؟**

هذا لا يقولُه مَن له إلْمَامٌ بشيء من المعارف، كذلك سكوتُهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريِّين.

هذا لا يقولُه مَن له إلْمَامٌ بشيء من المعارف)؛ أي: لا يقوله عالم، وإنما يقوله إما مغرض وإما جاهل، وإلا فقد كان المسلمون يصلون خلف إمام واحد في عهد النبي ﷺ لما فتح مكة، وفي المدينة في مسجد الرسول ﷺ.

• **قوله**: (كذلك سكوتُهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريِّين)؛ أي: إذا كان هذا سائغًا، وهو تفريق الناس على مذاهبهم، فليكن ما هم عليه من بقائهم على عبادة القبور والضرحة دليلًا على الجواز، فإن جاز هذا جاز هذا.

فإن قلتَ: يَلزمُ مِن هذا أنَّ الأمَّة قد اجتمعت على ضلالة، حيث سكتت عن إنكارِها لأعظم جهالة.

۞ الشرح:

• **قوله:** (فإن قلتَ: يَلزمُ مِن هذا أنَّ الأمَّة قد اجتمعت على ضلالة)؛ إذا قال المعترض: إنك تقول: إن الناس قد اجتمعوا على ضلالة، والأمة لا تجتمع على ضلالة ـ وهذه شبهة ـ فما الجواب عنها؟ فانتبه لها.

فالجواب عن ذلك: أن الإجماع هو: اتفاق علماء العصر على حكم مسألة شرعية: إما بالتحليل، وإما بالتحريم، وإما بالإيجاب، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ ـ هذا محل الشاهد ـ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حجة الإجماع، وهو أن المسلمين إذا أجمعوا على حكم شرعي فإنه لا تجوز مخالفته. وفي الحديث: **«لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»**[1]، فالأمة معصومة من أن تجتمع على ضلالة، والإجماع هو الأصل الثالث من أصول الأدلة، ففي أصول الفقه أن أصول الأدلة المتفق عليها ثلاثة: الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والرابع المختلف فيه وهو: القياس، فالإجماع حجة بلا شك.

والإجماع ينقسم إلى قسمين:

الأول: إجماع قطعي لا تجوز مخالفته، وهو أن يتفق قول العلماء المعاصرين على حكم شرعي، ويُنقل بالتواتر أنهم قالوا كذا، فهذا إجماع قطعي يكفر مَنْ خالفه.

الثاني: إجماع ظني، وهو أن يقول عالم أو عدة علماء بقول، ولا يظهر لهم مخالف في وقتهم، وهذا يسمى الإجماع السكوتي، وهذا موضع الخلاف، بينما النوع الأول ليس فيه خلاف.

---

(١) انظر: أبو داود (٤٢٥٥)، والترمذي (٢١٦٧).

قلتُ: حقيقةُ الإجماع اتفاقُ مجتهدي أمَّة محمد ﷺ على أمر بعد عصره، وفقهاءُ المذاهب الأربعة يُحيلون الاجتهاد من بعد الأئمة الأربعة، وإن كان هذا قولًا باطلًا وكلامًا لا يقوله إلَّا مَن كان للحقائق جاهلًا، فعلى زعمهم لا إجماع أبدًا مِن بعد الأئمة الأربعة، فلا يرد السؤال؛ فإنَّ هذا الابتداعَ والفتنةَ بالقبور لم يكن على عهد أئمَّة المذاهب الأربعة، وعلى ما نحققه فالإجماع وقوعه محال.

لما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في (العقيدة الواسطية) الإجماع، وأن منهج أهل السُّنَّة والجماعة الأخذ بالإجماع قال: «والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الخلاف، وانتشرت الأمة»[1]؛ يعني: انتشرت الأمة في الأمصار في المشارق والمغارب، ومَنْ يحيط بأقوال العلماء وهم في أقطار متفرقة؟ فهذا إجماع ظني، وليس إجماعًا قطعيًا، وهو الإجماع السكوتي.

والمؤلف الشيخ الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ يرى عدم الاحتجاج بالإجماع السكوتي، وينكر الاحتجاج به، أخذًا بالقول الثاني فيه.

• **قوله**: **(قلتُ: حقيقةُ الإجماع اتفاقُ مجتهدي أمَّة محمد ﷺ على أمر بعد عصره)**؛ هذا الإجماع القطعي، الذي لا تجوز مخالفته.

• **قوله**: **(وإنكان هذا قولًا باطلًا وكلامًا لا يقوله إلَّا مَن كان للحقائق جاهلًا)**؛ يعني: القول بأن الاجتهاد انتهى.

• **قوله**: **(وعلى ما نحققه)**؛ أي: على ما يختاره هو.

• **قوله**: **(فالإجماع وقوعه محال)**؛ يعني: وقوعه محال بعد تفرق الناس في الأقطار، وتباعدهم وكثرة الخلاف، فمَنْ يضبط أقوال الناس؟ أما يوم كانوا مجتمعين في المدينة أو في مكة فيمكن الإحاطة بأقوالهم.

---

(١) العقيدة الواسطية (١/ ١٢٨).

فإنَّ الأمَّة المحمدية قد ملأت الآفاق، وصارت في كلِّ أرض وتحت كلِّ نجم، فعلماؤُها المحقِّقون لا ينحصرون، ولا يَتِمُّ لأحد معرفة أحوالهم، فمَن ادَّعى الإجماعَ بعد انتشار الدِّين وكثرة علماء المسلمين فإنَّها دعوى كاذبة، كما قاله أئمَّة التحقيق.

• **قوله**: (**فإنَّ الأمَّة المحمدية قد ملأت الآفاق**)؛ يعني: تباعدت في البلدان، في المشرق والمغرب والشمال والجنوب، ولا سيما في ذاك الوقت، حيث لا توجد وسائل إعلام ولا وسائل نقل سريعة في ذلك الزمان.

• **قوله**: (**فعلماؤُها المحقِّقون لا ينحصرون**)؛ وكذا لا يمكن أن يُحاط بأقوالهم.

• **قوله**: (**فمَن ادَّعى الإجماعَ بعد انتشار الدِّين وكثرة علماء المسلمين فإنَّها دعوى كاذبة، كما قاله أئمَّة التحقيق**)؛ لا نقول: كاذبة، ولكن نقول: خطأ؛ لأنه يصعب جمع أقوال العلماء في أقطار الأرض على قول واحد.

ثمَّ لو فُرض أنَّهم عَلِمُوا بالمنكر وما أنكروه، بل سكتوا عن إنكاره، لَمَا دلَّ سكوتُهم على جوازه؛ فإنَّه قد عُلِم من قواعد الشريعة أنَّ وظائفَ الإنكار ثلاثةٌ:

- **أوَّلها: الإنكارُ باليد، وذلك بتغيير المنكر وإزالته.**
- **ثانيها: الإنكارُ باللسان مع عدم استطاعة التغيير باليد.**
- **ثالثها: الإنكارُ بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان.**

فإن انتفى أحدُها لم ينتفِ الآخر.

❁ الشرح:

• **قوله:** (ثمَّ لو فُرض أنَّهم عَلِمُوا بالمنكر وما أنكروه، بل سكتوا عن إنكاره، لَمَا دلَّ سكوتُهم على جوازه)؛ يعني: ليس سكوت الإنسان على المنكر دليلًا على جوازه؛ لأنه قد يكون في سكوته معذورًا أو متساهلًا، فليس سكوته دليلًا.

• **قوله:** (الإنكارُ باللسان مع عدم استطاعة التغيير باليد)؛ وهذا لمن ليس له سلطة، ولكن عنده علم ويعرف الحلال والحرام والجائز والمحرم، فهذا ينكر بالقول، ويُبين للناس، ويدعو إلى الله، وينصح الناس، ويبلغ ولاة الأمور، وهذا هو الإنكار بالقول.

• **قوله:** (الإنكارُ بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان)؛ هذا آخر المراحل إذا كان ليس عنده سلطة، وليس عنده علم يبين به فلينكر بقلبه، أو كان عنده علم ولكنه مُنع من البيان، فقيل له: لا تتكلم وإلا قطعنا لسانك؛ فهو معذور، فلينكر بقلبه.

• **قوله:** (فإن انتفى أحدُها لم ينتفِ الآخر)؛ فالإنكار بالقلب لا أحد يعجز عنه، والإنكار باليد أو اللسان قد يُعجز عنهما، ولكن الإنكار بالقلب لا أحد يعجز عنه، فلا يملك القلوب إلا الله ﷻ، ولهذا قال ﷺ: «وَلَيْسَ وَرَاءَ

ومثاله: مُرورُ فرد من أفراد علماء الدِّين بأحد المكَّاسين وهو يأخذ أموالَ المظلومين، فهذا الفردُ مِن علماء الدِّين لا يستطيع التغييرَ على هذا الذي يأخذ أموالَ المساكين باليد ولا باللسان؛ لأنَّه إنما يكون سخريةً لأهل العصيان، فانتفى شرطُ الإنكار بالوظيفتين، ولَم يبقَ إلَّا الإنكارُ بالقلب الذي هو أضعفُ الإيمان، فيجب على مَن رأى ذلك العالِمَ ساكتًا على الإنكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبَّار، أن يعتقدَ أنَّه تعذَّر عليه الإنكارُ باليد واللسان، وأنَّه قد أنكر بقلبه.

فإنَّ حُسنَ الظنِّ بالمسلمين أهلِ الدِّين واجبٌ، والتأويل لهم ما

ذلك من الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1]، وقال ﷺ: «وذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[2].

• **قوله**: (فهذا الفردُ من علماء الدِّين لا يستطيع التغييرَ على هذا الذي يأخذ أموالَ المساكين باليد ولا باللسان)؛ فهو لا يستطيع أن ينكرَ عليه باليد؛ لأنه ليس له سلطة، ولا باللسان؛ لأنه ممنوع من الإنكار.

• **قوله**: (لأنَّه إنما يكون سخريةً أهل العصيان)؛ لأنه لو أنكر بلسانه يكون عليه تسلط من السفهاء، يؤذونه أو يضربونه.

• **قوله**: (فانتفى شرطُ الإنكار بالوظيفتين)؛ أي: اليد واللسان.

• **قوله**: (ولَم يبق إلَّا الإنكارُ بالقلب الذي هو أضعفُ الإيمان)؛ أو ليس وراءه إيمان.

• **قوله**: (فيجب على مَن رأى ذلك العالِمَ ساكتًا على الإنكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبَّار أن يعتقدَ أنَّه تعذَّر عليه الإنكارُ باليد واللسان، وأنَّه قد أنكر بقلبه)؛ أي: يلتمس للعالم عذرًا أنه لا يستطيع الإنكار باليد ولا باللسان، ولا يقل: إنه أجاز هذا.

• **قوله**: (فإنَّ حُسنَ الظنِّ بالمسلمين أهلِ الدِّين واجبٌ)؛ فلا تقل: فلان مداهن، فلان فيه ما فيه.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

أمْكَنَ ضَرِبَةٌ لازب، فالداخلون إلى الحَرم الشريف، والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية التي فرَّقت شملَ الدِّين، وشتَّتت صلوات المسلمين معذورون عن الإنكار إلَّا بالقلب، كالمارِّين على المكَّاسين وعلى القبوريِّين.

ومِن هنا يُعلم اختلال ما استمرَّ عند أئمَّة الاستدلال مِن قولهم في بعض ما يستدلُّون عليه بالإجماع: إنَّه وقع ولَم يُنكر، فكان إجماعًا.

احمله على المحمل الطيب، ما دمت تجد له محملًا.

تأنَّ ولا تعجلْ بلومك صاحبًا ... لعل له عذرًا وأنت تلومُ

• **قوله: (فالداخلون إلى الحَرم الشريف، والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية التي فرَّقت شملَ الدِّين)**؛ رجع إلى المقصود، وهو أنه كان في مكة وفي المدينة مشاهد شركية: قباب وقبور في زمن سابق، فهل قدوم العلماء والحجاج إلى الحرمين وسكوتهم على إنكار هذه الأمور دليل على جوازها؟.

• **قوله: (الأبنية الشيطانية التي فرَّقت شملَ الدِّين)**؛ يقصد المقامات.

• **قوله: (معذورون عن الإنكار إلَّا بالقلب)**؛ أي: هم معذورون عن الإنكار باليد أو اللسان؛ لأن هذا أمر السلاطين ومن بيدهم السلطة والقوة، فلا يستطيع أن يغير.

• **قوله: (كالمارِّين على المكَّاسين وعلى القبوريِّين)**؛ فينكرون بقلوبهم؛ لأنهم لا يستطيعون الإنكار لا باليد ولا باللسان.

• **قوله: (ومِن هنا يُعلم اختلال ما استمرَّ عند أئمَّة الاستدلال)**؛ هذا يؤيد ما ذكرناه عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يرى عدم الاحتجاج بالإجماع السكوتي؛ لأنه ظني.

• **قوله: (إنَّه وقع ولَم يُنكَر، فكان إجماعًا)**؛ هذه العبارة تتكرر في كتب الفقه، يقول: قال فلان كذا، واشتهر ولم يُنْكَر، فكان إجماعًا؛ أي: إجماع سكوتي، إجماع ظني، وليس إجماعًا قطعيًا.

ووجهُ اختلالِه أنَّ قولَهم: (ولَم يُنكَر) رجمٌ بالغيب؛ فإنَّه قد يكون أنكرته قلوبٌ كثيرة تعذَّر عليها الإنكارُ باليد واللسان، وأنت تشاهد في زمانك أنَّه كم مِن أمر يَقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك، وأنت مُنكرٌ له بقلبك، ويقول الجاهلُ إذا رآك تشاهده: سكت فلانٌ عن الإنكار، يقوله إما لائمًا أو مُتَأَسِّيًا بسكوته، فالسكوتُ لا يستدلُّ به عارف،

❁ الشرح:

• **قوله: (ووجهُ اختلالِه أنَّ قولَهم: (ولَم يُنكَر) رجمٌ بالغيب)**؛ مَن الذي يعلم أنه لم يُنْكِره؟ فهذا رجم بالغيب لأمرين:

الأمر الأول: مَن الذي يُحيط بالعلماء في العالم الإسلامي بعد انتشار وتوسع الإسلام، ويجزم أنهم كلهم سكتوا؟.

الأمر الثاني: قد يكونون سكتوا، ولكنهم سكتوا لعذر مثل أن يكونوا مُنعوا من الكلام أو لعذر من الأعذار سكتوا من أجله.

• **قوله: (وأنت تشاهد في زمانك أنَّه كم مِن أمر يَقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك)**؛ يعني: أنت تعلم أنه في زمانك يحصل أمور أنت تنكرها بقلبك، ولكن لا تتمكن من إنكارها بلسانك ولا بيدك، ولا يكون هذا إجماعًا.

• **قوله: (وأنت مُنكرُ له بقلبك)**؛ قال ﷺ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»**[1]، فليس كل الناس يقدرون على الإنكار باليد، ولا كل الناس يقدرون على الإنكار باللسان، ولكن الإنكار بالقلب لا أحد يُمنع منه.

• **قوله: (فالسكوت لا يَسْتَدِلُّ به عارف)**؛ أي: السكوت لا يستدل به عارف بالاستدلال؛ لأنه قد يكون لعذر، أو أن الساكت لم يبلغه هذا الأمر.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

وكذا يُعلم اختلالُ قولهم في الاستدلال: (فعلَ فلان كذا، وسكت الباقون فكان إجماعًا)، مُختلًّا من جهتين:

الأولى: دعوى أنَّ سكوتَ الباقين تقريرٌ لفعل فلان؛ لِمَا عرفتَ مِن عدم دلالة السكوت على التقرير.

الثانية: قولهم: (فكان إجماعاً)؛ فإنَّ الإجماعَ اتفاقُ مجتهدي أمَّة محمد ﷺ، والساكتُ لا يُنسب إليه وِفاق، ولا خلاف، حتَّى يُعْرِبَ عنه لسانُه.

قال بعض الملوك ـ وقد أثنى الحاضرون على شخص من عمَّاله وفيهم رجل ساكت ـ: ما لكَ لا تقول كما يقولون؟ فقال: إن تكلَّمتُ خالفتهم.

• **قوله**: (وكذا يُعلم اختلالُ قولهم في الاستدلال: فعلَ فلان كذا، وسكت الباقون، فكان إجماعًا)؛ فهذا ليس إجماعًا.

• **قوله**: (فإنَّ الإجماعَ اتفاقُ مجتهدي أمَّة محمد ﷺ، والساكتُ لا يُنسب إليه وِفاق ولا خلاف، حتَّى يُعْرِبَ عنه لسانُه)؛ الإجماع الحقيقي هو اتفاق أمة محمد ﷺ على قول من الأقوال.

• **قوله**: (فقال: إن تكلَّمتُ خالفتهم)؛ هذا دليل على أنه لا يرضى بقولهم، ومع ذلك هو ساكت.

فما كلُّ سكوت رضًى؛ فإنَّ هذه منكراتٌ أسَّسَها مَن بيده السيفُ والسِّنان، ودماءُ العباد وأموالُهم تحت لسانِه وقلمِه، وأعراضُهم تحت قولِه وكلمِه، فكيف يَقوى فردٌ من الأفراد على دفعه عمَّا أراد؟ فإنَّ هذه القِبَابَ والمشاهدَ التي صارت أعظمَ ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبرَ وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه غالبُ ـ بل كلُّ ـ مَن يَعمُرُها هم الملوكُ والسلاطينُ والرؤوساء والولاةُ، ....

❁ الشرح :

• **قوله**: (فما كلُّ سكوت رضًى)؛ فقد يكون السكوت لسبب منعه من الإنكار.

• **قوله**: (فإنَّ هذه منكراتٌ أسَّسَها مَن بيده السيفُ والسِّنان)؛ أي: إن مَنْ تحدُث منهم هذه الأمور لهم سطوة وسلطة، ولا يستطيع أحد أن ينكرها ظاهرًا؛ لأنهم يبطشون به.

• **قوله**: (فكيف يَقوى فردٌ من الأفراد على دفعه عمَّا أراد؟)؛ أي: فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفع السلطان عما أراد؟ فالسلطان بيده السيف وبيده القدرة، وبيده تصريف الأمور، فمن الذي يقاومه من الأفراد؟ فالسكوت عن تلك المنكرات ليس دليلًا على الرضى بها.

• **قوله**: (فإنَّ هذه القِبابَ والمشاهدَ التي صارت أعظمَ ذريعة إلى الشرك والإلحاد)؛ يقول المبطلون: هذه القباب بُنِيَت على القبور ولم ينكرها الناس، فوجودها دليل على أنها جائزة، فيجري عليها ما ذكره المؤلف مِن أن هذه القباب مَنْ الذي بناها؟ بناها السلاطين، والسلاطين لا أحد يقدر على منعهم، فليس هذا حجة.

• **قوله**: (وأكبرَ وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه غالبُ، بل كلُّ مَن يَعمُرُها هم الملوكُ والسلاطينُ والرؤوساء والولاةُ)؛ فهم يبنونها ويحمونها،

مِن دون توسُّل به ولا هَتفٍ باسمه، بل يَدْعون له ويستغفرون، حتَّى ينقرِضَ مَن يَعرفه أو أكثرُهم، فيأتي مَن بعدهم فيجد قبرًا قد شُيِّد عليه البناءُ، وسُرِجَت عليه الشموعُ، وفُرِشَ بالفراش الفاخر، وأُرْخِيَت عليه الستورُ، وأُلْقِيَت عليه الأورادُ والزهور، فيعتقد أنَّ ذلك لنفع أو لدفع ضرٍّ،

آدم، ويأتي بطريق النصيحة، وطريق المشورة بالخير، وما أشبه ذلك، فينبغي أن يحذر من ذلك.

فكل شيء ليس عليه دليل لا نقبله، ولو حسَّنه مَنْ حسنه، فلا نقبله إلا بدليل من الكتاب والسُّنَّة.

• **قوله:** (مِن دون توسُّل به ولا هَتفٍ باسمه، بل يَدْعون له ويستغفرون)؛ هذا في أول الأمر، والشيطان لا ينظر إلى هذه الحيل، بل ينظر إلى المستقبل.

• **قوله:** (حتَّى ينقرِضَ مَن يعرفه أو أكثرُهم)؛ أي: حتى ينقرض مَنْ يعرف التوحيد، أو ينقرض أكثرهم، ويأتي بعدهم قوم جهال فحينئذٍ يَغْتَرُّون بهذه الشبهة الشيطانية.

• **قوله:** (فيأتي مَن بعدهم فيجد قبرًا قد شُيِّد عليه البناءُ... فيعتقد أنَّ ذلك لنفع أو لدفع ضرًّ)؛ أي: إذا رأى هذه المظاهر على القبر، قال: هذا قبر له شأن، وصاحبه هذا له شأن عند الله، وينفع ويضر؛ ويزينه له شياطين الإنس والجن، فتُعبد القبور بهذه الطريقة.

وهذا هو الواقع الآن؛ فالذين يبحثون عن الآثار ويعظمونها ويحيونها، يقولون: الناس عرفوا التوحيد، وأنتم لا تحسنون الظن بالناس، فالناس يعرفون التوحيد وليسوا مشركين. نقول لهم: نعم، الناس الآن يعرفون التوحيد - والحمد لله - وعلى بصيرة، ولكن نحن نخاف على المستقبل، نخاف مما يستجد فيما بعد، وأيضًا الحي لا تؤمن عليه الفتنة، فإذا وجد السبب والوسيلة فالشيطان حاضر يزين للناس هذه الأمور، فنحن نهدم هذه الوسيلة من

ويأتيه السَّدَنة يكذبون على الميِّت بأنَّه فعلَ وفعل، ....

الأصل، يكفينا سُنَّة الرسول ﷺ، وأصحابه وهم أفضل الأمة ولم يُبنَ على قبورهم، بل دفنوا مثل سائر الناس، ويُرفع القبر قدر شبر، وتوضع عليه نصائب، ويُدفنون في الصحاري، ولم يُعمل في قبورهم شيء من هذا، وهم صحابة رسول الله ﷺ.

بل إن قبر الرسول ﷺ لم يرفع إلا قدر شبر، ووضع عليه البطحاء؛ يعني: شيء من الحجارة الصغيرة تمنع التراب أن يتطاير، ووضع عليه نصائب مثل سائر القبور، وهو قبر الرسول ﷺ، وقبر أبي بكر، وقبر عمر، هكذا، مثل قبور المسلمين، لم تُرفع بتراب زائد ولا وضع عليها أشياء.

• **قوله**: (**فيجد قبرًا قد شيد عليه البناءُ، وسُرِجَت عليه الشموعُ، وفُرِشَ بالفراش الفاخر، وأُرْخِيَت عليه الستورُ، وأُلْقِيَت عليه الأورادُ والزهور**)؛ ألا يلفت هذا الأنظار؟ هذا يلفت الأنظار، ويجذب القلوب إلى هذا القبر لا سيما مع الجهل؛ ولذلك تجد الناس الآن في كثير من البلاد لا يعتبرون المساجد التي ليس فيها قبور مساجد، فهي ليست ذات قيمة عندهم ولا يذهبون إليها، وإنما يذهبون إلى المساجد التي على القبور، يسافرون لها ويجتمعون عندها ويهتمون بها، أما المساجد التي على السُّنَّة فهذه رخيصة عندهم، ولا يلتفتون إليها.

• **قوله**: (**وأُلْقِيَت عليه الأورادُ والزهور**)؛ فهم يطيبونها ويرشون عليها دهن الورد، ودهن العود والبخور.

• **قوله**: (**ويأتيه السَّدَنة يكذبون على الميِّت بأنَّه فعلَ وفعل**)؛ هذا زيادة تضليل؛ فهؤلاء السدنة من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، فيلقنون الزوار أن هذا الميت فلان يقضي الحوائج، ويُغْرُونهم بذلك من أجل أن يأخذوا منهم النقود مقابل الزيارة، ويعيشون على هذا والعياذ بالله، ويوزعون كتبًا عند القبور فيها تراجم لهؤلاء الموتى وأفعالهم، وما حصل لهم من الكرامات...! إلى آخره.

وأنزل بفلان الضَّرَّ، وبفلان النفعَ، حتى يَغرسُوا في جِبلَّتِه كلَّ باطل، ولهذا الأمر ثَبَتَ في الأحاديث النبوية اللَّعنُ على مَن أَسْرَجَ على القبور، وكتب عليها وبنى عليها، وأحاديثُ ذلك واسعةٌ معروفة، فإنَّ ذلك في نفسه منهي عنه، ثم هو ذريعةٌ إلى مفسدة عظيمة.

• **قوله: (وأنزل بفلان الضَّرَّ، وبفلان النفعَ، حتى يَغرسُوا في جِبلَّتِه كلَّ باطل)**؛ يعني: في طبع وفطرة الذي لا يغلو فيهم حتى يفسدوها.

• **قوله: (ولهذا الأمر ثَبَتَ في الأحاديث النبوية اللَّعنُ على مَن أَسْرَجَ على القبور، وكتب عليها وبنى عليها)**؛ ففي الحديث: «لَعَنَ رسولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عليها المَسَاجِدَ والسُّرُجَ»[(١)]، فهذا لعن من الرسول ﷺ لمن يزين القبور بما يُغري الجهال بها.

• **قوله: (وأحاديثُ ذلك واسعةٌ معروفة)**؛ موجودة في كتب الحديث، وفي كتب العقائد، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسائل في هذا للرد على القبوريين، ودحض شبهاتهم.

• **قوله: (فإنَّ ذلك في نفسه منهي عنه)**؛ **أولًا**: هو منهي عنه، ولا يجوز مخالفة النهي، قال تعالى: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. **ثانيًا**:

• **قوله: (هو ذريعةٌ إلى مفسدة عظيمة)**؛ فهو ذريعة إلى الفساد في العقيدة، وإلى الشرك.

---

(١) سبق تخريجه.

فإن قلتَ: هذا قبرُ رسول الله ﷺ قد عُمِّرت عليه قُبَّة عظيمة أُنفقت فيها الأموال.

قلتُ: هذا جهلٌ عظيم بحقيقة الحال؛ فإنَّ هذه القبَّة ليس بناؤها منه ﷺ، ولا من أصحابه، ولا مِن تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا مِن علماء أمَّته وأئمَّة مِلَّتِه، بل هذه القبَّة المعمولةُ على قبره ﷺ مِن أبنية بعض مُلوك مصر المتأخرين، وهو قَلَاوُون الصالحي المعروف بالملك المنصور، في سنة ثمان وسبعين وستمائة، ....

۞ الشرح:

هذه شبهة جديدة، فهم يقولون: إنَّ قبر الرسول ﷺ عليه قبة خضراء، ونراكم تنكرون القباب التي على قبور الصالحين، وقبر الرسول ﷺ قبة ولا تنكرونها.

نقول: قبر الرسول ﷺ لم يكن عليه قبة، لا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا في عهد القرون المفضلة، ولا في الصدر الأول، وإنما بُنيت عليه القبة متأخرة بقرون طويلة. ومَن الذي بناها؟ بناها أحد السلاطين بسلطته وقوته، لا بموافقة العلماء.

• **قوله: (في سنة ثمان وسبعين وستمائة)**؛ أي: في القرن السابع، فهي ما بنيت إلا في القرن السابع على يد ملك من الملوك، والملوك ـ كما تعرفون ـ لهم سلطة وسطوة، ولا أحد يقدر أن يمنعهم من ذلك، ولم يكن هذا بمشورة من أهل العلم، ولا من فعل السلف الصالح، وهذا بعد عصور الفاطمية التي جلبت القبورية على المسلمين في بلاد مصر وغيرها، وهذا الملك جاء بعدهم، وبنى هذه القبة تأثرًا بهؤلاء الفاطميين الشيعة الباطنية وهم أول مَن أدخل القبورية والصوفية على المسلمين.

ذكره في (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة)[1]، فهذه أمورٌ دولية لا دليلية، يتَّبع فيها الآخرُ الأولَ. وهذا آخرُ ما أردناه مِمَّا أوردناه لَمَّا عمَّت البلوى، واتُّبعت الأهواء وأعرض العلماء عن التنكير الذي يجب عليهم، ومالوا إلى ما مالت العامَّة إليه، وصارَ المنكرُ معروفًا والمعروفُ

• **قوله**: (ذكره في (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة))؛ هذا كتاب في تاريخ المدينة، ذكر أن الذي بنى هذه القبة هو هذا الملك في القرن السابع من الهجرة.

• **قوله**: (فهذه أمورٌ دولية لا دليلية)؛ هذه أمور دولية سلطانية، وليست دليلًا، إنما الدليل ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله، لا ما يعمله الملوك والسلاطين ولو كانوا من المسلمين، فلا يُستدل بما فعلوه.

• **قوله**: (يتَّبع فيها الآخرُ الأولَ)؛ ولا أحد يستطيع أن يقف في وجوههم.

فإن قلت: لماذا لا تُزال هذه القبة الآن؟

نقول: هذه قبة وُجدت ومرَّ عليها تاريخ طويل، ولو أزيلت لحدث فتنة بسبب إزالتها، خاصة من أهل الضلال؛ سوف يقولون: احتقرتم الرسول ﷺ! ولا تحبون الرسول ﷺ!. ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما.

• **قوله**: (وهذا آخرُ ما أردناه مِمَّا أوردناه لَمَّا عمَّت البلوى)؛ أي: هذا آخر ما أورده المصنف رحمه الله في مسألة القبور والغلو فيها.

• **قوله**: (وأعرض العلماء عن النكير)؛ هذا ليس على عمومه؛ فمن العلماء مَن يُنكر هذا ويُبين بطلانه، ولكن لا يؤخذ بقولهم.

---

(١) انظر: ص(٥٦) في المخطوط منه. وانظر: «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة» ص(١٠٨)، تحقيق أ.د. سليمان الرحيلي.

منكرًا، ولَم نجد من الأعيان ناهيًا عن ذلك ولا زاجرًا.

• **قوله**: (ولَم نجد من الأعيان ناهيًا عن ذلك ولا زاجرًا)؛ هذا باعتبار الأغلب، ولا يمنع هذا أن يكون مِن العلماء مَن أنكر ذلك؛ كما حصل من شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وممن جاء بعدهم كشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ، وهذا موجود في كتبهم ورسائلهم.

فإن قلتَ: قد يتَّفق للأحياء أو للأموات اتصالٌ جماعة بهم، يفعلون خَوَارقَ من الأفعال يَتسمَّون بالمجاذيب، فما حكم ما يأتون به من تلك الأمور؟ فإنَّها مِمَّا جلبت القلوب إلى الاعتقاد بها.

الشرح:

- **قوله: (فإن قلتَ: قد يتَّفق للأحياء أو للأموات اتصالٌ...).**

هذه شبهة ثانية، وهي أن هؤلاء الأموات يحصل لمن يتعلق بهم شيء من مقاصده وحوائجه، وأيضًا الأحياء الذين يسمونهم (أولياء) يدَّعون أن لهم كراماتٍ وأمورًا خارقة للعادة تدلُّ على أنهم أولياء؛ فيمشون على الماء، ويطيرون في الهواء، ويدخلون في النار ويمشون فيها ولا يحترقون.

فنقول: إن هذا كله تدجيل لا أصل له، هذا من السحر التخييلي، والقُمرة التي يعملونها على أعين الناس، كما حصل من قوم فرعون؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، هذا السحر التخييلي يأتون به ويموهون على الناس وهو لا حقيقة له، وهذا يسمى بالقُمرة، ويسمى الآن بـ (السيرك)، ويؤتى به في الحفلات - مع الأسف - ويقال: هذا فَنٌّ من الفنون، وهذه خفة حركة وما أشبه ذلك، وكل هذا من الباطل.

والسحر على قسمين:

سحر حقيقي: يؤثر في النفوس، وفي القلوب، وفي الأبدان، يقتل ويمرض.

وسحر تخييلي: وهو ما يُسمى بالقُمرة، وهذا هو الذي يحصل على أيدي هؤلاء الدجالين؛ يمسكون الحيَّات ويعملون أشياء لا حقيقة لها، وإنما هي تخييل على الأعين، فإذا ذهبت القُمرة عادت الأمور إلى ما كانت عليه، فيجعلون الحشرات كأنها خراف وأغنام، ثم إذا راح السحر عادت حشرات على طبيعتها، والعصا يزوِّرونه كأنه حية، فإذا ذهب السحر عاد عصا ليس فيه

قلتُ: أما المتسمُّون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة

شيء. زور ودجل وهذه حقيقة كراماتهم التي يزعمون مجرد خوارق شيطانية؛ فمشيهم على الهواء ليس بصحيح، وإنما تحملهم الشياطين، وكذلك مشيهم في النار ليس بصحيح، وإنما يمشي بجوار النار فيظن الرائي أنه دخل فيها، وهو لم يدخلها، وإلا فالنار لا يدخلها أحد ـ والعياذ بالله ـ وإنما يدخلها بالتخييل والقُمرة وغير ذلك.

فهذه فتن عظيمة وإنما قد أضلت الكثير من الناس الذين لا يعرفون حقيقتها، وهي تأتي على أيدي الصوفية والخرافيين الذين يدَّعون الولاية. وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان) أن الخوارق للعادات على قسمين: خوارق هي من الله وهي كرامات لمن تجري على أيديهم. وخوارق شيطانية، ليست إلا من صنع الشيطان لأوليائه؛ لأجل التضليل، فلا يُغْتر بها.

ويُنْظَر في حال مَن تجري على يديه هذه الخوارق؛ لأنه ربما يقول قائل: أنا لا استطيع أن أفرق بين هذا وهذا، نقول: انظر إلى حال مَنْ تجري على يديه، فإن كان مستقيمًا على طاعة الله، مجتنبًا لمحارم الله، ملتزمًا لفرائضه فهذه كرامة من الله ﷻ لا ننكرها، وأما إن كانت تجري على يد سحرة، أو على يد كفرة، أو على يد زنادقة فهي خوارق شيطانية لا يُغتر بها.

• **قوله: (فإن قلتَ: قد يتَّفق للأحياء أو للأموات اتصالُ جماعة بهم، يفعلون خوَارقَ من الأفعال يتَسمّون بالمجاذيب)**، المجذوب: مَنْ ليس له عقل، يقولون: هو ليس له عقل؛ لأنه ولي من أولياء الله.

• **قوله: (فما حكم ما يأتون به من تلك الأمور؟ فإنَّها مِمَّا جَلَبَت القلوبَ إلى الاعتقاد بها)**؛ هذه شبهة خطيرة ـ والعياذ بالله ـ ضل بها الكثير من الناس، وهذه قد تكون أشدَّ من البناء على القبور.

• **قوله: (قلتُ: أما المتسمُّون بالمجاذيب الذي يلوكون لفظ الجلالة**

بأفواههم، ويقولونها بألسنتهم، ويخرجونها عن لفظها العربي، فهم مِن أجناد إبليس اللعين، ومِن أعظم حُمُر الكون الذين ألبستهم الشياطين حُلَل التلبيس والتزيين، فإنَّ إطلاقَ الجلالة منفردًا عن إخبار عنها بقولهم: (الله الله) ليس بكلام ولا توحيد، وإنَّما هو تلاعبٌ بهذا اللفظ الشريف، بإخراجه عن لفظه العربيّ، ثم إخلائه عن معنى من المعاني، ولو أنَّ رجلًا عظيمًا صالحًا يُسَمَّى بزيد وصار جماعةٌ يقولون: (زيد زيد) لَعَدَّ ذلك استهزاءً وإهانةً وسُخرية، ولا سيما إذا زاد إلى ذلك تحريفَ اللفظ.

بأفواههم)؛ من أعمالهم الخبيثة الذكر الذي يقولونه؛ فهم لا يقولون: لا إلٰه إلا الله، بل يقولون: الله الله! وبعضهم لا يقول: الله الله؛ بل يقال: هو هو! ويسمون هذا ذكرًا، فهل الاسم المفرد يكون ذكرًا؟! (الله الله) هل هذا ذكر؟! لا، لا بدَّ أن يكون جملة مثل: (الله أكبر)، (لا إلٰه إلا الله)، (أستغفر الله)، (سبحان الله)، هذا هو الذكر، لا بدَّ أن يكون كلامًا تامًّا وليس كلمة واحدة فقط مثل: (الله الله)، (هو هو) وبعضهم يبرر هذا الفعل فيقول: أنا أخاف أن أموت قبل أن أكمل قول: (لا إلٰه إلا الله)، فأقول: (الله الله)، وهكذا يتدرج بهم الشيطان ـ والعياذ بالله ـ إلى هذا الحد.

• **قوله: (فإنَّ إطلاقَ لفظ الجلالة منفردًا عن إخبار عنها بقولهم: (الله الله) ليس بكلام ولا توحيد)**؛ هذا ليس بكلام، بل هذه كلمة، وأنتم تعلمون أن النحاة يفرِّقون بين الكلمة والكلام؛ فالكلمة: قول مفرد، والكلام: قول مركب من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل؛ أي: جملة مفيدة. يقول ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ في الألفية:

كلامُنَا لفظٌ مفيدٌ كاستقِمْ ... واسمٌ وفعلٌ ثم حرفُ الكَلِمْ
واحدُه كلمةٌ والقولُ عمْ ... وكلمةٌ بها كلامٌ قد يَؤمْ

• **قوله: (ولو أنَّ رجلًا عظيمًا صالحًا يُسَمَّى بزيد وصار جماعةٌ يقولون: (زيد زيد) لَعَدَّ ذلك استهزاءً وإهانةً وسُخريةً)**؛ أي: لو وقع واحد أمام الملك

ثم انظر هل أتى في لفظةٍ من الكتاب والسُّنَّة ذكرُ الجلالة بانفرادها وتكريرها، أو الذي فيهما هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل؟. وهذه أذكار رسول الله ﷺ، وأدعية آله وأصحابه خالية من هذا الشهيق والنهيق والنعيق ....

واسمه زيد، وقال: زيد زيد، فالملك سيغضب عليه، ويعتبر هذا سخرية منه.

ويقال: أن أحد المشايخ من أهل نجد كان عند أحد الأشراف في مكة وهو عون الشريف، والناس يقولون: (هو هو)، فقال الشيخ للشريف: يا أمير، هذا لهو ولعب، فقال الشريف: هذا ذكر؛ فقال الشيخ: أليس اسمك عونًا، لو جاء شخص وقال: عو عو، هل ترضى عنه؟ قال: لا، قال: إذًا هذه سخرية من الله. فعند ذلك قبل الشريف كلامه ومنع هذا، بسبب دعوة هذا العالم.

• **قوله: (ثم انظر هل أتى في لفظةٍ من الكتاب والسُّنَّة ذكرُ الجلالة بانفرادها وتكريرها)**؛ يعني: هل جاء في الكتاب والسُّنَّة الذكر بلفظ (الله) أبدًا؛ الذي جاء: (لا إلٰه إلا الله)،(الله لا إلٰه إلا هو)، (أستغفر الله)، (لا حول ولا قوة إلا بالله)؛ جمل مفيدة، هذه هي الأذكار، أما هذا الذي يقولونه فهو كلام كذب وافتراء على الله وعلى رسوله، وليس هذا ذكرًا لله ﷻ.

• **قوله: (وهذه أذكار رسول الله ﷺ، وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق)**؛ إذا راجعت كتب الأذكار الواردة عن الرسول ﷺ وعن أصحابه لا تجد هذه فيها الألفاظ: (الله الله)، أو (هو هو)، بل تجد: (لا إلٰه إلا الله)، (أستغفر الله)، (لا حول ولا قوة إلا بالله)، (ما شاء الله)... إلى آخره، هذا هو الموجود في الأذكار الشرعية والأحاديث النبوية والآيات القرآنية، وليس فيها أسماء مفردة كما يقولون.

• **قوله: (الشهيق) عند الصوفية (والنهيق)** صوت الحمار، فشبههم بالحمير **(والنعيق)** صوت الغراب، فشبههم بالغربان.

الذي اعتاده مَن هو عن الله وعن هدي رسول الله ﷺ وسَمْتِه ودلّه في مكان سحيق.

ثم قد يُضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماءَ جماعة من الموتى، مثل (ابن علوان) و(أحمد بن الحسين) و(عبد القادر) و(العَيْدَرُوس).

• **قوله: (الذي اعتاده مَنْ هو عن الله وعن هدي رسوله ﷺ وَسْمتِه ودلّه في مكان سحيق)**؛ يعني: بعيد عما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

• **قوله: (ثم قد يُضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماءَ جماعة من الموتى، مثل (ابن علوان) و(أحمد بن الحسين) و(عبد القادر) و(العيدروس))**؛ يزعمون أن هؤلاء أولياء، وبعضهم بالفعل أولياء، ولكنهم لا يرضون بهذا العمل، وذكر هنا رَحِمَهُ اللَّهُ أنهم ربما يذكرون مع اسم الله المفرد بعض مَنْ يسمونهم بالأولياء، فيقرنون اسم مَنْ يزعمون أنه ولي مع اسم الله عَزَّ وَجَلَّ في أذكارهم، وهذا شرك ومساواة بين الله وبين عبده، وهكذا الشيطان لا يقف عند حدٍّ. قال الله ـ جلَّ وعلا ـ محذرًا إياه منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [النور: ٢١]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، فهذا من خطوات الشيطان يستدرج بها الإنسان شيئًا فشيئًا، فمَن خرج عن المشروع وقع في الممنوع؛ فالذي يخرج عن الذكر المشروع الوارد في الكتاب والسُّنَّة يقع في الذكر المُبْتَدَع الذي ما أنزل الله به من سلطان.

• **قوله: (مثل: (ابن علوان))**؛ فيقولون: الله ابن علوان.

• **قوله: (أحمد بن الحسين)**؛ فيقولون: الله، أحمد بن الحسين، فيقرنون اسم المخلوق بالله.

• **قوله: (وعبد القادر)**؛ هو عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، إمام جليل وهو بريء ممن ينتسبون إليه من القادرية، وهو إمام من أئمة الحنابلة، وهو إمام جليل وعابد من العباد.

• **قوله: (والعيدروس)**؛ هذا في حضرموت في اليمن، يزعمون أنه ولي من أولياء الله، وله ضريح عندهم، يقولون: بالله يا عيدروس يا محيي النفوس!.

بل قد انتهى الحالُ إلى أنَّهم يفرُّون إلى أهل القبور من الظلم والجور، كعلي رومان وعلي الأحمر، وأشباههما.

❁ الشرح:

● **قوله:** (بل قد انتهى الحالُ إلى أنَّهم يفرُّون إلى أهل القبور من الظلم والجور)؛ إذا وقعوا في ظلم من الولاة أو غيرهم أو جور، يلجؤون إلى هذه القبور ليخلصوهم من المظالم والظلم، فهذا التجاء إلى غير الله ﷻ، حتى قال شاعرهم:

يا خائفين من التَّتَرْ لوذوا بقبر أبي عُمَرْ
عوذوا بقبر أبي عُمَرْ يُنْجيكُمُ من الضَّرَرْ

إلى آخر هذا الهذيان والعياذ بالله، ولا يلوذون بالله إذا مسهم جور أو ظلم؛ فلا يلجؤون إليه ولا يدعونه، وإنما يلجؤون إلى الموتى.

● **قوله:** (كعلي رومان وعلي الأحمر، وأشباههما)؛ هؤلاء رجال يزعمون أنهم أولياء، والله أعلم بأحوالهم، وحتى لو كانوا أولياء فلا يُلجأ إليهم ولا يُستغاث بهم؛ لأن هذا شرك بالله ﷻ.

وقد صان الله ﷻ رسولَه ﷺ وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضُّلَّال، فيجمعون أنواعًا من الجهل والشرك والكفر.

۞ الشرح:

• **قوله**: (وقد صان الله ﷻ رسولَه ﷺ)؛ أي: صان الله رسوله من هذه البدع وهذه الشركيات.

• **قوله**: (أهل الكساء)؛ وهم أهل بيته ﷺ.

• **قوله**: (وأعيانَ الصحابة عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضُّلَّال، فيجمعون أنواعًا من الجهل والشرك والكفر)؛ يعني: لا يلجؤون إلى الرسول ﷺ ـ علمًا بأن اللجوء إليه ﷺ لا يجوز ـ ولكن يتركون الرسول ويلجؤون إلى ابن علوان، وإلى فلان وعلان. ولا يلجؤون إلى أعيان الصحابة، وهو أيضًا لا يجوز. وهذا يدل على أن هؤلاء الذين يلجؤون إليهم أحبُّ إليهم من رسول الله ﷺ، وأحبُّ إليهم من أعيان الصحابة، وأحب إليهم من أهل البيت.

والالتجاء لا يكون إلا له ﷻ، وهذا الرسول ﷺ يقول لأقرب الناس إليه: «**يَا عَبَّاسُ بن عبد المطلب لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»[1]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]، هذا حال الرسولُ ﷺ أفضل الخلق، فكيف بغيره؟ الرسول ﷺ لا يملك لغيره نفعًا ولا ضرًّا، بل لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؛ لأنه مخلوق عبدٌ لله ﷻ، فكيف بغيره؟.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣).

....

• **قوله**: (وقد صان الله ﷻ رسولَه ﷺ)؛ أي: صانه عنهم وعن ألسنتهم، فلا يلجؤون إليه ولا يستغيثون به.

• **قوله**: (عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضُّلَّال)؛ أي: الذين يهتفون بأسماء مَنْ يزعمون أنهم أولياء، والله أعلم بحالهم، ولو كانوا أولياء لم يَجُزْ الالتجاء إليهم؛ لأنهم فقراء إلى الله، أموات لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فهم بحاجة إلى مَنْ يدعو لهم ومَنْ يتصدق عنهم، ومن يُهدي إليهم ثوابَ عمل صالح ويستغفر لهم؛ فالميت بحاجة إلى الحي، وليس الحي بحاجة إلى الميت.

• **قوله**: (فيجمعون أنواعًا من الجهل والشرك والكفر)؛ فهذا جهل ليس من العلم الشرعي، وهو شرك وكفر.

فإن قلتَ: إنَّه قد يتفق مع هؤلاء الذين يلوكون الجلالة، ويضيفون إليها عمل أهل الخلاعة والبطالة خوارقُ عادات ....

۞ الشرح :

هذه شبهة أخرى، وهي أنهم يقولون: إن هؤلاء الذين نحن نلهج بذكرهم ونلجأ إليهم عند الشدائد لهم كرامات وخوارق، والكرامة لا تجري إلا على يد ولي، فهؤلاء أولياء، ولولا أنهم أولياء ما جرى لهم تلك الخوارق والكرامات، فنحن نلجأ إليهم لأنهم أولياء الله، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]، ولكنهم لا يذكرون الآية الثانية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣]؛ فأولياء الله من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾، وليس أولياء الله المشعوذين والدجالين والكذبة، والذين لا يُصَلُّون ولا يجتنبون الفواحش ويقولون: إنهم ليس عليهم تكليف! فقد وصلوا إلى الله، وليسوا بحاجة إلى الأعمال، ولا إلى العبادة.

• **قوله: (خوارق العادات)**؛ وهي الأمور التي تجري على خلاف العادة، هذه تسمى خوارقَ، وهذه لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إن جرت على يد نبي من الأنبياء فهي معجزة، كالعصا لموسى، وإحياء الموتى لعيسى، والقرآن لمحمد ﷺ، فإذا جرى خارق العادة على يد نبي فهو معجزة من المعجزات النبوية.

الحالة الثانية: وإن جرت على يد عبد صالح فهي كرامة، ولا تحصل الكرامة له إلا باتباع النبي.

الحالة الثالثة: إذا جرت هذه الخوارق على يد فاجر أو ساحر، فإن هذه خوارق شيطانية ليست بمعجزات، وليست بكرامات؛ مثل المشي على الماء، والدخول في النار، وغير ذلك مما تعمله الشياطين مع أوليائها، ويظن الناس أنها من كراماتهم وإنما هي من أعمال الشياطين، يعملها الشياطين على يد

وأمورٌ تُظنُّ كرامات؛ كطعن أنفسهم بالآلات الحادة، ....

هؤلاء ليغروا الناس بهم، وأن هذه كرامات، وأنهم أولياء، فليُتنبه لهذا الأمر.

وقد نبه على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان)، وكذلك له قاعدة في الكرامات والمعجزات، وقد بيَّن هذا وفصَّل.

● **قوله**: **(وأمور تُظنُّ كرامات)**؛ وهذ ليست كرامات؛ ويوهمون الناس بها.

● **قوله**: **(كطعن أنفسهم بالآلات الحادة)**؛ يطعنون أنفسهم بالسكاكين ولا تضرهم، وهذا ليس بصحيح، بل هذا تدجيل وقُمرة وتخييل، فهو لا يطعن نفسه حقيقة، وإنما يصور الشيطان للناس أنه يطعن نفسه، وبعضهم يعمل حيلة خفية؛ كأن يأتي بشيء على شكل السكين أو السيف مملوء بالدم، أو شيء مجوف يشبه السيف، أو يشبه السكين فيطعن به نفسه، فإذا اصطدم بجسم الإنسان انفجر منه الدم فيظن الرائي أن هذا الدم من الإنسان، وأن هذه كرامات كما يقولون، وهي ليست كرامة.

أو يأكلون النار بأفواههم،وهذا غلط؛ فهم لا يأكلون النار ولا يقربونها، وإنما هذا تخييل شيطاني، وكذا يظهرون أنهم يمسكون الحيات ولا تضرهم، وهذا تخييل؛ لأن الشيطان يتصور بصورة حية، ويقع في يد هذا الفاجر فيمسكه، ويظنون أن هذه كرامة، وحين يمسك الحية ولا تضره ولا تلدغه، وما أشبه ذلك.

ولما ادعى قوم يُقال لهم: البطائحية، وهم الرفاعية على عهد الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنهم يدخلون النار، قال: تعالوا أنا وإياكم ندخل النار، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار قبل أن ندخل النار، وهي مادة تزيل الشعوذة التي على أرجلهم؛ فهم يدهنون أرجلهم بشيء واقٍ من النار، فامتنعوا؛ لأنهم يعرفون أنهم إذا تجردوا من هذه المادة فالنار ستحرقهم،

وحملهم لِمثل الحَنَش والحيَّة والعقرب، وأكلهم النَّار، ومسِّهم إياها بالأيدي، وتقلُّبهم فيها بالأجسام.

فخَصِمهم رَحِمَهُ اللَّهُ وأبطلهم أمام الناس(١).

• **قوله:** (**وحملهم لِمثل الحَنَش والحيَّة والعقرب**)؛ يظن الرائي لهم أنها حية وعقرب، وفي الحقيقة هو الشيطان يتصور بصورة حية أو عقرب.

• **قوله:** (**وأكلهم النَّار**)؛ وهم لا يأكلون النار ولا يقربونها وإنما هذا تخييل، والتي معهم ليست بنار حقيقة، إنما هي سحر وقُمرة، مثل سحر قوم فرعون قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، لم يقل ﷻ: سحروا الناس، بل قال: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، فهم يأتون بأشياء من الحيل التي لا ينتبه لها الناس، فيظنون أنها كرامات،، وهي حيل شيطانية.

• **قوله:** (**ومسِّهم إياها بالأيدي، وتقلُّبهم فيها بالأجسام**)؛ وهذا مثل فعل أحدهم حين يستلقي على الأرض وتدهسه السيارة وهو نائم على المسامير، وهو كذاب؛ فلم تمر عليه السيارة، وإنما سحر أعين الناس وهي بعيدة عنه، فهذا مثل قول الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]؛ يعني: العِصي التي ألقاها قوم فرعون حيث حشوها بالزئبق والمواد المتحركة فصارت تتحرك كأنها حيات. وقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾؛ يعني: يُخيل إلى موسى عليه السلام، ﴿...مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه: ٦٦، ٦٧] من هذا المشهد العظيم، فأوحى الله إليه: ﴿...لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٨، ٦٩]، فلما ألقى عصاه ـ عليه الصلاة والسلام ـ التهمت كل ما في الوادي من سحرهم، حتى خشوا على أنفسهم أن تلتهمهم هذه الحية،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٦٥).

....

وطلبوا من موسى أن يكفَّها عنهم، عند ذلك علم السحرة أن هذا ليس سحرًا، وإنما هو من صنع رب العالمين فأسلموا؛ قال تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠]؛ لأنهم أهل فن بالسحر فعرفوا أن هذا ليس بسحر، ولا من صنع موسى ﷺ، وإنما هو من صنع الله ﷻ، فعند ذلك تابوا إلى الله وأسلموا.

وانعكس هذا على فرعون وقومه؛ فالسحرة الذين أتوا بهم صاروا ضدهم الآن، وانقلبوا عليهم، وصاروا مع موسى ﷺ، بعد أن اجتمعوا ضده أمام الناس يوم الزينة، واجتمع الناس وهم يقولون: لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين، فهو مشهد عظيم، لله فيه حكمة من أجل إظهار الحق علانية، وعلى مرأى ومسمع من فرعون وقومه؛ حتى تبين الحق ولله الحمد.

● **قوله**: **(كطعن أنفسهم بالآلات الحادة، وحملهم لِمثل الحَنَش والحيَّة والعقرب، وأكلهم النَّار، ومسِّهم إياها بالأيدي، وتقلُّبهم فيها بالأجسام)**؛ وهذه الأشياء يعملونها الآن فيما يسمونه بالسيرك، ويسمونها رياضة، وهي رياضة شيطانية؛ فالذي يعمل لهم هذه الأعمال ويعينهم عليها هي الشياطين؛ فهذا يمشي على الحبل، وهذا يدخل في النار، وهذا يبلع النار، ويلفظها، وهذا يبلع المسامير والزجاج! وهذا كله عمل شياطين، وليس بصحيح، إنما هو سحر تخييلي وقُمرة.

قلتُ: هذه أحوالٌ شيطانيَّة، وإنَّه لَمُلَبَّسٌ عليك إن ظننتَها كرامات للأموات، أو حسنات للأحياء؛ لَمَّا هَتفَ هذا الضال بأسمائهم، وجعلهم أندادًا وشركاءَ لله تعالى في الخلق والأمر، فهؤلاء الموتى والمقبورون أنت تفرض أنَّهم أولياء الله تعالى.

فهل يَرضَى وليُّ الله أن يجعلَه المجذوبُ أو السالكُ شريكًا لله

❁ الشرح :

• **قوله: (قلتُ: هذه أحوالٌ شيطانيَّة)**، وليست كرامات، وإنما هي أحوال شيطانية، وخوارق شيطانية.

• **قوله: (وإنَّه لَمُلَبَّسٌ عليك إن ظننتَها كرامات للأموات)**؛ والعلامة واضحة أنها ليست كرامات، وإنما هي شيطانيات، فما هي العلامة؟ العلامة هي حال مَنْ تجري على يده؛ هل هو عبد صالح أم فاجر؟ فإن كانت تجري على يد عبد صالح فهي كرامة، وإن كان على يد كافر فاجر فهي خوارق وأعمال شيطانية. ويجب الفرقان بينهما، بأن يُنظر في حال مَنْ تجري على يديه، فلا يلتبس علينا هذا الأمر.

• **قوله: (لَمَّا هَتَفَ هذا الضال بأسمائهم، وجعلهم أندادًا وشركاء لله تعالى في الخلق والأمر)**؛ ثم جاءت الشياطين على ألسنة الأموات تخاطب مَنْ يدعوهم، وتقول: قضينا حاجتك، ويحضرون له أشياء، ويقولون: قد جاءك بها الولي، وهم في الحقيقة يسرقونها من أموال الناس، ويقولون: هذه كرامة الولي! فلا يغتر بهذا.

• **قوله: (فهؤلاء الموتى والمقبورون أنت تفرض أنَّهم أولياء الله تعالى)**؛ ونحن لا نجزم لأحد أنه ولي الله، إلا مَنْ شهد له الرسول ﷺ، أما هذا فنحن لا نجزم له بذلك ولكن نُحسن به الظن، ونقول: نرجو له الخير، أما إننا نقول: هذا ولي لله بدون دليل، فلا يجوز هذا.

• **قوله: (فهل يَرضَى وليُّ الله أن يجعلَه المجذوبُ أو السالكُ شريكًا لله**

تعالى وندًّا؟ إن زعمتَ ذلك فقد جئت شيئًا إدًّا، وصيَّرتَ هؤلاء الأموات مشركين، وأخرجتهم ـ وحاشاهم عن ذلك ـ عن دائرة الإسلام والدِّين، حيث جعلتهم أندادًا لله، راضين فرحين، وزعمتَ أنَّ هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضُّلَّال المشركين، التابعين لكلِّ باطل، المنغمسين في بحار الرذائل، الذين ....

تعالى وندًّا؟)؛ ولي الله لا يرضى أن يُجعل ندًّا لله، ولي الله لا يرضى أن يُستغاث به، ولا أن يُذبح له، إذًا لا يكون وليًّا لله إذا رضي بأن يُعمل الشرك ويُنسب إليه، فهو حينئذٍ ليس وليًّا لله، وإنما هو ولي للشيطان، ولكن الولي الصحيح لا يرضى بهذا بل يُنكره، ويجاهد أهله يوم أن كان على قيد الحياة.

• **قوله: (إن زعمتَ ذلك فقد جئت شيئًا إدًّا)**؛ إن زعمت أنه وليٌّ لله وهو يرضى بالشرك فقد زعمت شيئًا إدًّا؛ أي: شيئًا عظيمًا مُنْكرًا.

• **قوله: (وصيَّرتَ هؤلاء الأموات مشركين)**؛ هذه مصيبة أخرى يحكم على هؤلاء الأموات الصالحين بأنهم مشركون، وهم أولياء لله وليسوا بمشركين، ولا كانوا يرضون بهذا، فهو كَذِب على الأموات.

• **قوله: (وأخرجتهم ـ وحاشاهم عن ذلك ـ عن دائرة الإسلام والدِّين)**؛ لأن مَنْ رضي أن يُعبد مع الله أو أن يُستغاث به، أو أن يُذبح له فإنه يخرج من التوحيد إلى الشرك، ولا يكون وليًّا لله ﷻ؛ سواء كان حيًّا أو ميتًا.

• **قوله: (حيث جعلتهم أندادًا لله، راضين فرحين، وزعمتَ أنَّ هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضُّلَّال المشركين)**؛ وهي ليست كرامات، وإنما هي أحوال شيطانية، وإذا تكلم الميت ـ بزعمهم ـ فليس الميت هو الذي تكلم، بل الشيطان؛ فالشيطان يختبئ عند القبر، ويجيب الداعي والسائل على أنه الميت، وقد يظهر بصورة الميت أمام مَنْ يأتون إليه، وهو شيطان يتصور لهم، ويقول: أنا فلان وقد قضيت حوائجكم، والميت لا يخرج من قبره إلا يوم القيامة.

• **قوله: (التابعين لكلِّ باطل، المنغمسين في كل بحار الرذائل، الذين**

لا يَسجدون لله سجدة، ولا يذكرون الله وحده.

فإن زعمتَ هذا، فقد أثبتَ الكرامات للمشركين الكافرين وللمجانين، وهدمتَ بذلك ضوابطَ الإسلام وقواعد الدِّين المبين والشرع المتين.

لا يَسجدون لله سجدة، ولا يذكرون الله وحده)؛ كيف تزعم أنهم أولياء، وهم منغمسون في كل باطل وكل رذيلة وجريمة؟ يقولون: هؤلاء ليس عليهم تكاليف؛ فقد خرجوا من التكاليف ووصلوا إلى الله؛ ولذلك لا يحرم عليهم شيء، ولا يجب عليهم شيء؛ لأنهم وصلوا! انظر كيف يتدرج الشيطان بابن آدم، فلا أحد يخرج من العبودية أبدًا؛ فالله ـ جلَّ وعلا ـ قال لنبيه وهو أفضل الخلق: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، لا أحد يخرج عن العبودية لله ﷻ، وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

• **قوله: (الذين لا يسجدون لله سجدة، ولا يذكرون الله وحده)**؛ فهم يقولون: ليس علينا سجود؛ فنحن أولياء الله؛ لأننا خاصة الخاصة بزعهم!.

• **قوله: (فإن زعمتَ هذا، فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين وللمجانين)**؛ وهذه ليست بكرامات، وإنما هي خوارق شيطانية، وفرق بين خوارق الشيطان وكرامات الرحمٰن.

• **قوله: (وهدمتَ بذلك ضوابطَ الإسلام وقواعد الدِّين المبين والشرع المتين)**؛ وهذا ما يريده الشيطان؛ يريد هدم الإسلام وإبطال التوحيد، وأن يحل محله الشرك، هذا ما يريده شياطين الإنس والجن، ليس شياطين الجن فقط؛ بل مِن الإنس مَنْ يَدْعون إلى هذه الأمور ويزينونها ويؤلفون الكتب فيها ويحسنونها للناس، فهؤلاء شياطين أيضًا.

وإذا عرفتَ بطلان هَذين الأمرين علمتَ أنَّ هذه أحوالٌ شيطانية وأفعالٌ طاغوتيَّةٌ، وأعمالٌ إبليسيَّة، يفعلها الشياطين لإخوانهم مِن هؤلاء الضالِّين؛ معاونةً من الفريقين على إغواءِ العباد[1].

❁ الشرح :

• **قوله**: (وأفعالٌ طاغوتيَّةٌ)؛ أي: أحوال طاغوتية وليست كرامات، وإنما هي أحوال شيطانية للابتلاء والامتحان.

• **قوله**: (معاونةً من الفريقين على إغواءِ العباد)؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]، ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ فالجني استمتع بالأنسي بأن خضع له وعظَّمه، والإنسي استمتع بالجني بأن خدمه وأعانه على مطالبه، فكلٌّ منهما استمتع بالآخر، ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾؛ هذا ما يقولونه يوم القيامة إذا سألهم الله ﷻ في موقف القيامة، بل إن الشيطان يقول لأهل النار: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢]؛ يعني: لا أنا أقدر على إغاثتكم وإنقاذكم، ولا أنتم تقدرون على إغاثتي وإنقاذي؛ فلا أحد منهم ينفع الآخر يوم القيامة فهم في النار، والعياذ بالله.

---

(١) هنا زيادة في المتن عدة صفحات، ليست موجودة في سائر النسخ؛ رأى شيخنا حفظه الله حذفها.

وقد ثبتَ في الأحاديث أنَّ الشياطينَ والجانَّ يتشكَّلون بأشكال الحيَّة والثعبان، وهذا أمرٌ مقطوعٌ بوقوعه، فهم الثعابين التي يُشاهدها الإنسانُ في أيدي المجاذيب، وقد يكون ذلك مِن باب السِّحر، وهو أنواع، وتعلُّمُه ليس بالعسير، بل بابُه الأعظمُ هو الكفرُ بالله وإهانةُ ما عظَّمه الله، مِن جَعْل مُصحَف في كَنيف ونحوه.

فلا يَغتَرَّ مَن يشاهدُ ما يَعظُمُ في عينيه من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها خوارق، فإنَّ للسِّحرِ تأثيرًا عظيمًا في الأفعال، وهكذا الذين يقلبون الأعيانَ بالأسحار وغيرها، ....

الشرح:

هذه النتيجة لكل ما سبق، وهذا تعليق المصنف رحمه الله.

• **قوله: (وقد يكون ذلك من باب السِّحر، وهو أنواع)**؛ فقد يكون هذا سحرًا تخييليًّا، الذي يسميه الناس القُمرة؛ فيأتي بالحشرات على أنها خراف، فإذا انتهت القمرة عادت حشرات.

• **قوله: (بل بابُه الأعظمُ هو الكفرُ بالله)**؛ فالذي يُسَهِّل السحرَ هو الكفرُ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

• **قوله: (وإهانةُ ما عظَّمه الله، من جَعْلِ مُصحَفٍ في كَنيف ونحوه)**؛ يعني: مَنْ أطاع الشياكين وأهان المصحف خدموه، وإهانته المصحف بأن يلقيه في مزبلة، يلقيه في حُشٍّ، ثم يخدمونه.

• **قوله: (وهكذا الذين يقلبون الأعيانَ بالأسحار وغيرها)**؛ الأسحار: جمع سحر، وهي القُمرة؛ حيث يحول الشيء إلى غير حقيقته، مثل هؤلاء الذين يأتون إلى أصحاب المصارف ومعه ورقة عادية ويقول له: أريدك أن تصرف لي هذه الورقة من فئة الخمسمائة ريال؛ فينظر فيها، فإذا ألوانها كالخمسمائة، ثم بعد ما يقوم المسكين بصرفها يتبين لها أنها أوراق ملونة عادية.

وقد ملأ سَحَرَةُ فرعون الوادي بالثعابين والحيات، حتى أَوْجَسَ في نفسه خِيفَةً موسى ﷺ، وقد وصفه الله بأنَّه سِحرٌ عظيمٌ.

والسِّحرُ يَفعَلُ أعظمَ من هذا؛ فإنَّه قد ذكرَ ابنُ بَطوطة[1] وغيرُه أنَّه شاهد في بلاد الهند قومًا توقَدُ لهم النارُ العظيمةُ، فيلبسون الثيابَ الرقيقة، ويخوضون في تلك النار، ويخرجون وثيابُهم كأنَّها لَم يَمسَّها شيءٌ.

• قوله: (وقد ملأ سَحَرَةُ فرعون الوادي بالثعابين والحيَّات)؛ ولكنها ما قامت أمام عصا موسى ﷺ، وعصا موسى واحدة، وهذه عِصي كثيرة ملأت الوادي، فلما ألقى موسى عصاه ابتلعتها كلها؛ لأن هذا حقٌّ وهذا باطل؛ قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

• قوله: (وقد وصفه الله بأنَّه سِحرٌ عظيمٌ)؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

• قوله: (قد ذكرَ ابنُ بَطوطة)؛ هو صاحب الرحلة المشهورة.

• قوله: (ويخوضون في تلك النار، ويخرجون وثيابُهم كأنَّها لَم يَمسَّها شيءٌ)؛ فهم لم يدخلوا في النار، وإنما هذا قُمرة على الأعين فقط.

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص(٨٤).

بل ذكر أنَّه رأى إنسانًا عند بعض ملوك الهند أتى بوَلَدَيْن معه، ثم قَطَّعَهُما عضوًا عضوًا، ثمَّ رَمَى بكلِّ عُضوٍ إلى جهة فِرَقًا، حتى لَم يرَ أحدٌ شيئًا من تلك الأعضاء، ثمَّ صاح وبكى، فلم يَشعر الحاضرون إلَّا وقد نزل كلُّ عضوٍ على انفراده، وانضمَّ إلى الآخر، حتى قام كلٌّ واحد منهما على عادته حيًّا سَوِيًّا، ذكر هذا في رحلته[١]، وهي رحلة بَسيطة وقد اختُصِرَت، طالعتُها بمكة عام ست وثلاثين ومائة وألف، وأملاها علينا العلامةُ مفتي الحنفية في المدينة، السيد محمد بن أسعد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي (الأغاني)[٢] لأبي الفَرَج الأصفهاني بسنده: أنَّ ساحرًا كان عند الوليد بن عقبة، فجعل يَدخُلُ في جَوف بقرة ويخرج،

❁ الشرح:

• **قوله**: (ثمَّ صاح وبكى، فلم يَشعر الحاضرون إلَّا وقد نزل كلُّ عضوٍ على انفراده)؛ بسبب صيحته وبكائه، وقالوا: هذا ولي من أولياء الله.

• **قوله**: (حتى قام كلُّ واحد منهما على عادته حيًّا سَوِيًّا)؛ فالشخص لم يتقطع ولم يتفرق وإنما هو على حاله، ولكن هذا تخييل من الشيطان.

• **قوله**: (طالعتُها)؛ أي: الإمام الصنعاني.

• **قوله**: (وفي (الأغاني))؛ كتاب أدب مشهور للأصفهاني، وفيه قصص وحكايات.

• **قوله**: (كان عند الوليد بن عقبة)؛ الوليد بن عقبة كان أميرًا من بني أمية.

---

(١) الذي أورده ابن بطوطة هو صبيٌ واحد فقط، ثم قال بعدها: «وكان القاضي أفخر الدين إلى جانبي، فقال لي: والله ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو، وإنما ذلك شعوذة». انظر: ص (٣٢٣) المرجع السابق.

(٢) انظر: كتاب الأغاني (٥/١٥٦) ولها عدة روايات.

فرآه جندب ﷺ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيفه، فلما دخل الساحرُ في البقرة، قال جندب: أتأتون السِّحر وأنتم تبصرون؟ ثمَّ ضرب وسط البقرة، فقطعها، وقطع الساحرَ معها، فانذعر الناسُ، فحَبَسَه الوليدُ، وكتب بذلك إلى عثمان ﷺ، وكان على السجن رجل نصراني، فلمَّا رأى جندبًا يقوم الليلَ ويصبحُ صائمًا، قال النصراني: والله إنَّ قومًا هذا شرُّهم لَقَوْمُ صِدق، فوَكَّلَ بالسِّجن رجلًا، ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهلها، فقالوا: الأشعث بنُ قيس، فاستضافه فرأى أبا محمد - يعني الأشعث - ينام الليلَ ويصبح فيدعو بغدائه، فخرج مِن عنده وسأل: أيُّ أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا: جَرير بن عبد الله، فوجده ينام، ثم يصبح فيدعو بغدائه. فاستقبل القبلةَ فقال: رَبِّي رَبُّ جُنْدُب، وديني دينُ جندب، وأَسْلَمَ.

وأخرجها البيهقي في (السنن الكبرى)[1] بمغايرة في القصة، فذكر بسنده إلى أبي الأسود: أنَّ الوليد بنَ عقبة كان في العراق يلعب بين يديه

• **قوله**: (فرآه جندب)؛ هو جندب بن كعب ﷺ.

• **قوله**: (فلمَّا رأى جندبًا يقوم الليلَ ويصبحُ صائمًا)؛ أي: في السجن يصلي بالليل، ويصوم بالنهار، وهو صحابي ﷺ.

• **قوله**: (والله إنَّ قومًا هذا شرُّهم)؛ شرَّهم لأنه مسجون، ومع هذا يصوم بالنهار ويصلي بالليل.

• **قوله**: (فقالوا: جَرير بن عبد الله)؛ هو صحابي أيضًا.

• **قوله**: (فوجده ينام، ثم يصبح فيدعو بغدائه)؛ يعني: إنه ليس بكثير صلاة الليل، ولكنه يذكر الله.

• **قوله**: (فاستقبل القبلةَ فقال: رَبِّي رَبُّ جُنْدُب)؛ أي: أسلم هذا النصراني.

---

(١) (١٦٢٧٩).

ساحر، فكان يضرب رأسَ الرجل ثم يصيح به، فيقوم صارخًا، فيَرُدُّ إليه رأسَه، فقال الناس: سبحان الله! يُحيي الموتى! ورآه رجلٌ من صالحي المهاجرين، فلمَّا كان مِن الغَدِ اشتمل على سيفه، فذهب يلعب لعبَه ذلك، فاخترط الرَّجل سيفَه فضرب عنقه، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسَه! فأمر به الوليد دينارًا صاحبَ السجن فسجَنَه. انتهى.

• **قوله**: (**إن كان صادقًا فليحيي نفسَه**)؛ أي: كان يحيي الموتى فليحيي نفسه.

• **قوله**: (**فأمر به الوليد دينارًا صاحبَ السجن فسجَنَه**)؛ هذه رواية ثانية للقصة، والخلاصة: أن هذا الساحر قتله هذا الصحابي بين يدي الوليد، وتحداه وقال: إن كان صادقًا في إحياء الموتى فليحِيي نفسه.

بل أعجبُ من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي بإسناده في قصة طويلة[١]، وفيها: أنَّ امرأةً تعلَّمت السِّحرَ مِن المَلَكَيْن ببابل: هاروت وماروت، وأنَّها أخذت قمحًا، فقالت له بعد أن ألقته: اطلع، فطلع، فقالت: أَحْقِل، فأحقل، ثمَّ تركته، ثم قالت: أيبَس، فيبس، ثم قالت له: اطحن، فأطحن، ثمَّ قالت له: اختبز فاختبز، وكانت لا تريد شيئًا إلَّا كان.

والأحوال الشيطانيةُ لا تنحصر، وكفى بما يأتي به الدَّجَّال،

❁ الشرح:

• **قوله:** (أنَّ امرأةً تعلَّمت السِّحرَ مِن المَلَكَيْن ببابل: هاروت وماروت) هذا فيما سبق.

• **قوله:** (اطحن، فأطحن)؛ يعني: تأمره فيمتثل أمرها.

• **قوله:** (وكانت لا تريد شيئًا إلَّا كان)؛ أي: كانت لا تريد شيئًا إلا حصل؛ لأنها تعلمت السِّحر.

• **قوله:** (وكفى بما يأتي به الدَّجَّال)؛ أي: في آخر الزمان؛ فإنه أعظم المشعوذين وأعظم الكذابين؛ يأتي بأشياء غريبة، فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ويأمر الأرض فتخرج الكنوز التي فيها، ويقتل الرجل ثم يأمره فيعود حيًّا، هذه كلها يجريها الله على يديه لأجل شدة الفتنة، ولهذا فتنة الدجال هي أشد الفتن؛ وقد قال ﷺ: «**إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ**»[٢]، فكان أشدُّ الأنبياء تحذيرًا من فتنة الدجال نبيَّنا محمدًا ﷺ؛ ولهذا أمرنا أن نستعيذ من فتنته في كل صلاة في التشهد الأخير: «**اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا والْمَمَاتِ، ومِنْ فِتْنَةِ**

---

(١) (١٦٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٥٧).

والمعيار اتِّباع الكتاب والسُّنَّة ومخالفتهما.

انتهى ما أوردناه ـ ولله الحمد ـ أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، كلَّما ذكره الذاكرون، وغَفَلَ عن ذكره الغافلون.

المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[1].

• **قوله**: (والمعيار اتِّباع الكتاب والسُّنَّة ومخالفتهما)؛ فكلُّ ما يُرَوَّج، وكلُّ ما يُقال ويُفخَّم، فالمرجع فيه الكتاب والسُّنَّة، وهو الميزان الذي يُحِقُّ الحق ويُبطل الباطل، فالحمد لله، أنه لم يتركنا لهذه الأشياء، بل أنزل علينا كتابًا بين أيدينا نرجع إليه؛ قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فما وافق الكتاب والسُّنَّة واتبعهما فهو حق، وما خلفهما فهو باطل.

• **قوله**: (انتهى ما أوردناه)؛ أي: انتهى الكتاب وجزاه الله خيرًا، وأثابه ونفعنا به.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٧).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة



مفكرة

